

العـدد الخامس ـ السنة الحادية عشرة ـ ذو الحجة ـ محرم 1388 مارس ـ ابريل 1968

في هـــذا العـــدد :

تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهمان

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الخامس
السنة الحادية عشرة
ذو الحجة - محرم : 1388
مارس - ابريل : 1968
ثمن العدد
درهمـــان

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حســاب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث نقدا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 10-308 ـ 03-327 ـ الرباط

كلمة العدد

عام جديد

يهل على المسلمين اليوم عام هجري جديد ... فيستقبلون مطلعه متفائلين مستبشرين ، متاملين مستلهمين ، وقد غمرهم شوق غالب ، وتطلع متلهف الى ما يخبئه لهم الغد المحجب القريب من آمال عذاب ، تندمل لها الجفون القريحة ، وتلتئم معها القلوب الجريحة ، وتنتعش الجدود العاثرة . فقد عرفوا سنة ذاقوا حلوها ومرها ، ولمسوا خيرها وشرها ، ونعموا - احيانا - بسلامها ، كما اصطلوا بنارها وسعيرها ، فادمت القلوب ، وأرمضت النفوس ، وأطارت النوم من معاقد الاجفان ..

فالمسلمون يحتفلون في عامهم الوليد بذكرى الهجرة النبوية الشريفة التي كانت حدا فاصلا بين النور والظلام ، والوثنية والوحدانية ، وحدثا هاما فريدا من الاحداث الاسلامية الكبرى التي يجب ان تظل فى قلوب المسلمين ، حاملة اليهم سمات القوة والعظمة التي تدفعهم الى دعم حياة نامية متجددة متطورة تحوطها العزة ، وتؤيدها الكرامة ، ويدعمها التعاون ، وتحمل للنفوس المكروبة المحروبة ، والقلوب المتباينة المختلفة برد اليقين ، ونفحات الهدى ، وحرارة الايمان ...

وان هذه الذكرى العظيمة الخالدة ، ذكرى الهجرة النبوية ، لترجع بنا الى المواقف الحاسمة التي كان الرسول عليه السلام يقفها صامدا أمام قريش واحلافها ، فنستخلص منها فى حياتنا اصدق العبر ، واجمل الصور ، ونستجلي سمو العقيدة ، ونتاسى بثبات محمد عليه السلام فى جل مواقفه البطولية ، وعقيدة صحبه التي كانت تتحطم على صفاتها كل الاهواء ، ومختلف النزعات ...

لقد عز على المشركين ان يروا انتصار دعوة محمد عليه السلام ، وانتشار نوره الهادي الذي عم الوجود ، وكبر عليهم ما دعاهم اليه الرسول ، وعسر عليهم هضم تلك التعاليم الاسلامية السامية ، والاصول العامة رغم معرفتهم بها ، وشق عليهم ان يفارقوا عبادة الاصنام ، واللات والعزى ، وما كانوا عليه من انحلال خلقي ، وتصدع اجتماعي ، فقعدوا للرسول عليه السلام كل مرصد ، ومكر به الذين كفروا

ليثبتوه ، وعذبوه في نفسه ، وفي قومه ، وفي اصحابه ليحملوه على ترك ما يدعوهم اليه ، وسخروا من دعوته ، واستهزأوا به والله يستهزيء بهم ، ويمدهم في طغيانهم يعمهون، فما استكان ولا تردد ، ولا تلكأ ، ولا لان ، بل بقي عليه السلام صامدا أمام عنادهم الجامد، وعتوهم الجامح ، وتعنتهم الاعمى الى ان فتح الله عليه الفتح المبين . ودخل الناس في دين الله افواجا ، افرادا وازواجا ، وعز الاسلام بعمر واضرابه ، فعز بهم الحق ، وارتفعت عن كاهل الدين اثقال يعانيها ...

لقد ظلت قريش وأحلافها تؤذي المسلمين ، وتسيء اليهم ، وتحرض ضدهم، وتضمر لهم كل عداوة وبغضاء ولكنهم ــ بالرغم عن ذلك ــ كثر سوادهم ، واخذ محمد عليه السلام يعرض نفسه على القبائل ، وان كان لم يفز بطائل ، ولا كفت قريش عن مساءتها اليه ، ومع ذلك كبر الشأن ، وانفسحت ابواب الامل ، لكن الوسائل المؤدية الى نشر الدين الاسلامي ، والتفكير في امر قريش ، وفي الراحة من عنادهم وتصلبهم وجحودهم بقي واجبا قائما ملحا ، ولا سيما بعد ان حوصر المسلمون في الشعب ، ونقضت الصحيفة ، ومات ابو طالب وخديجة ، وازداد اذى قريش ، وردته القبائل عما كان يدعوها اليه من الدخول في الاسلام ، وتوالت السنون على هذه الحال ... فكان من الطبيعي ان يفكر النبي عليه السلام في مخرج حاسم يفرج الكرب ، ويزيل المحنة ، ويفسح مجال الامل والرجاء ، فكانت الهجرة من مكة الى المدينة ، وكان التوجه الى يثرب والله معه ، وكان النصر المؤزر معقودا في لواء النبي العظيم عليه السلام ، الذي اطمأن على مصير دعوته وأمته ، وكانت الفرحة الكبرى للمدنيين الذين اظهروا استعدادا للذياذ عن هذه العقيدة الاسلامية الراسخة التي استقرت في حنايا ضلوعهم ، ووقعت من نفوسهم موقع الماء القراح من ذي الغلة الصادي

تتجلى عقيدة التوحيد في جل مواقفه صلى الله عليه وسلم مع القرشيين واحلافهم كما تتجلى في أعماله وتصرفاته ، فحياته سلسلة موصولة الحلقات من مظاهر هذه العقيدة ، ايمان لا تزعزعه الشدائد ، واستمساك في مزالق الفتنة والمحنة ، وعمل دائب في نصرة الله واعزاز دينه .

روى ان الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمي ، والاسود بن عبد المطلب ، وامية بن خلف في جماعة آخرين من صناديد قريش وساداتهم ، اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له : « هلم يا محمد ، فاتبع ديننا ، ونتبع دينك ، ونشركك في امرنا كله ، تعبد آلهتنا سنة ، ونعبد الاهك سنة ، فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه ، واخذنا حظنا منه ، وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرنا، واخذت حظك منه » .

فقال محمد : « معاذ الله ان نشرك به غيره » .

وانزل الله ردا على هؤلاء هذه السورة الكريمة :

« قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ، ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين » فغدا رسول الله الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش ، فقام على رؤوسهم ، ثم قرأ عليهم السورة ..

فايسوا منه عند ذلك ، وطفقوا يؤذونه ، ويؤذون اصحابه حتى كانت الهجرة ..

لقد كان عليه السلام موقنا بعقيدته ، مومنا بدعوته ومبداه ، يعلم أصحابه الصبر على مكاره الراي ، والشجاعة في مواطن الباس والمحنة ، والاستشهاد في سبيل الحق ، فلا يرضى بانصاف الحلول ، ولا بالمساومة في العقيدة ، تلك العقيدة التي كانت

لصحبه غذاء القلب ، وسكينة النفس ، وطمانينة الروح ، ومبعث حرارة تنعش القلوب المكلومة المظلومة المحرومة ، فتدفعها الى الامام ، وتملأها بالامل والرجاء .

فما احرى ابناء هذا الجيل اليوم الذين يتنافسون على الشهوات ، ويتهالكـــون على الرخيص من الملذات ، ان يستوحوا عبرا من حادث الهجرة النبوية ، ويتحرك ذلك الايمان الراسخ فى نفوسهم ليتحول من الصورة المجردة الى الحقيقة الماثلة فتنحـــل مشاكلنا التي نعاني منها ونكابد ما تنوء به العصبة اولو القوة .

وما اجدرنا اليوم ان نملأ هذا الفراغ الروحي الذي نشكوه ، بالعمل النافع الجاد، المثمر الصالح ، ونهجر هذه الحياة الرخوة اللينة التي فككت اجزاء الامة الواحدة الى وحدات يسهل هضمها وبلعها والتغلب عليها بعد ان كانت فى عهود العز والفخار شوكة وشجى فى حلـــق الحاســـد الواغـــر .

وان لنا أملا كبيرا فيما بقي عند المسلمين اليوم من صبابة ذلك الايمـــان الذي قاد اولئك الصحابة ، أسد الغابة ، وسهام الاصابة ، الى رحاب السعادتين ، والــذي يحتاج اليوم الى اثـــارة وتحريك وتنظيـــم .

وأملنا ان يكون اشراق هذا العام الجديد باليمن والاقبال ، والرضى والسعود ، والفوز والتوفيق ، وان لايكون كأخيه الدابر مشؤوم المنازل أخرق ! ! ..

اني أرى نـــارا اعد هشيمهـــا ، ❊ وثقابهـــا ، لكنهـــا لم توقـــد

دعوة الحق

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من خلال النطق الملكي

« ـ وليس « الناظر » الحارس الامين على الشيء المحبس ، فاذا كانت الشريعة تطالبه بصيانة متمولاته الخاصة ، فانها بالاحرى تطالبه بصيانة متمولات المحبسين الذين جعلوها وقفا على مصلحة العباد ، من طلبة العلم ، والقائمين بشعائر الدين ، والمعوزين والفقراء وعابري السبيل » .

من الخطاب الذي القي بمناسبة تسليم الظهائر الى النظار الجدد ، يوم الخميس 16 شعبان عام 1375 هـ الموافق 29 مارس سنة 1956 م .

« ... ولكي نعيد للاوقاف الاسلامية مركزها الرئيسي في التوجيه الروحي ، نظمنا دروس الوعظ والارشاد ، ووجهنا الخطباء الدينيين نحو تجديد أساليبهم ، وشكلنا هيئة من العلماء ، لاعطاء دروس دينية وفقهية ، في جميع أنحاء المغرب الحاضرة والبادية على السواء ، ومن الجهة الاجتماعية ، فقد اهتمت وزارة الاوقاف بتحسين اجور الموظفين الدينيين تحسنا ملموسا ، وتبنت تبعا لما أمرناها به ، عائلات الشهداء الذين اعدم آباؤهم في سبيل القضية المقدسة ، وساهمت في اسعاف طلبة المعاهد الدينية ... » .

من خطاب الذكرى التاسعة والعشرين لجلوس العاهل الكريم على عرش اسلافه المقدسين — الاحد 14 ربيع الثاني عام 1376 هـ — الموافق 18 نونبر 1956 م .

...

« ... ان حرصنا على الاعتصام بحبل الدين ، والتشبث بمبادئه ، والسير على سننه ، ليعد أحد العوامل الاساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين

بالرغم عما اعترض سبيلنا من عراقل ، وما منينا به من أهوال وخطوب ، وسيظل عاملا اساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة كامة تواقة الى حياة راقية كريمة » .

من الكلمة الافتتاحية التي توج بها جلالة الملك محمد الخامس — نور الله ضريحه — أول عدد من مجلة « دعوة الحق » الصادرة في غضون شهر يوليوز 1957 .

« ... المساجد مهوى افئدة المسلمين ، واماكن للتذكير والتفكير في ملكوت الله وعظمة خلقه ، يجتمع فيها المؤمنون لاداء شعائر الدين ، والنظر فيما يعود عليهم بالخير والمصلحة ، اذ في تشبث المسلمين بعقيدتهم وقيمهم الاخلاقية ، ضمان لرابطتهم واتحادهم ، واستمرار لكيانهم في العالم » .

من الخطاب الذي القاه جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه — بواشنطن ، اثناء زيارته للمعهد الاسلامي يوم الاثنين 2 جمادى الاولى 1377 هـ — 25 نونبر 1957 .

« ان الثقافة الاسلامية جزء من مقوماتنا الوطنية ، ولا يسعنا ونحن نشيد صرح نهضتنا الحديثة ، الا ان نستمسك بها ، ونحافظ عليها ، حفظا لكياننا ، وربطا لحاضرنا بماضينا ، وتيسيرا لاسباب التقدم والتطور التي يجعلها الاسلام في متناول ايدي الذين يعتنقونه ، ويسيرون طبق تعاليمه الخالدة ، على ان هذه المحافظة ، لا تعني — كما قد يتوهمه البعض — الوقوف عند حدود معرفة الاحكام الشرعية ، والقواعد اللغوية، بل تفسح المجال لاستيعاب العلوم والفنون ، على اختلافها ، لتكون ثقافتنا الاسلامية حينئذ ثقافة كاملة ، نطيق بها المساهمة في اقامة ركن الحضارة الجديدة ، كما ساهم أجدادنا بها في اقامة ركن الحضارة القديمة » .

من الخطاب الذي القي بتارودانت ، بمناسبة تدشين المعهد الاسلامي بهذه المدينة ؛ يوم الجمعة 20 ذي القعدة 1378 هـ — 29 مايو 1959 .

« ... يجب ان تكون شخصيتنا الاسلامية بارزة في جميع مظاهر النهضة ، وان تاريخ المغرب نفسه ليشهد بان ازهى عصورنا هي العصور التي كان التمسك بالاسلام فيها من ابرز المميزات ، وان كل حركة تحريرية اصلاحية ، انما قامت على اسس القيم الروحية ، ففي اطار ديننا الاسلامي السمح سنصوغ كل عمل وكل اصلاح ، لان المكاسب الدنيوية ليست غاية في حد ذاتها ، لانها مكاسب محدودة . اما المكاسب الروحية ، فليست لها حدود ، لانها هي الوجود ، ولانها هي التي تمكن الفرد من حسن التصرف في مكاسبه الدنيوية ، وتكيف تصرفه بالخصال الحميدة ، حتى لا تكون في المجتمع شحناء ولا بغضاء ولا تفرقة » .

من الخطاب الذي القي بالرباط بمناسبة الذكرى الاولى لجلوس جلالة الحسن الثاني على عرش جدوده المنعمين ؛ يوم السبت 26 رمضان 1381 هـ — 3 مارس 1962 م .

« ... وفيما يرجع لنشاط وزارة الاوقاف ، اوفدنا وزيرنا فيها الى جل الاقاليم للتعرف على احتياجات المواطنين فى الميدان الديني ، وعلى ضوء دراساته ومشاهداته أمكن بناء عدد من المساجد ، واصلاح وتجديد مئات اخرى ، كما يوجد تحت الدرس ، مشروع بناء عدد من المساجد فى الاحياء العصرية التي تزايد سكانها المسلمون .

وقامت وزارة الاحباس ايضا بتوفير العدد الكافي من الوعاظ والمرشدين ، لتزدهر بهم من جديد ، حلقات الثقافة الاسلامية ، ويكون المسلمون على بينة كاملة من شؤون دينهم وآدابه السامية ، وأخلاقه العالية » .

من الخطاب الذي القي بالرباط، بمناسبة الذكرى الثانية لجلوس حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني ايده الله ، على عرش اسلافه المنعمين ، يوم الاحد 7 شوال 1382 هـ — 3 مارس 1963.

« .. واذا كان المغرب رفض قبل الاسلام جميع الفتوحات المادية والتاثيرات المعنوية ، فانه تقبل الهداية الاسلامية فى اول عهودها الزاهرة باطمئنان ورضى ، اذ وجد فيها رائده الروحي ومصدر انطلاقه لحياة العزة والكرامة ، فقد اثبت التاريخ انه حافظ على أصول ذلك الهدى ، واحتضنه وحمله فى امانة الى مختلف الآفاق ، ثم انتصب عليه قيما حفيظا حين ابتلى العالم الاسلامي بالنكسة التي تلافاها لحسن الحظ أجدادنا المقدسون ، فى هذا الوطن العزيز » .

من الخطاب الذي القي بالرباط ، بمناسبة انشاء « دار الحديث » يوم الثلاثاء 26 رمضان 1383هـ — 11 فبراير 1964 م .

« ... ونظرا لما اولانا اليه من شرف الامامة وأناط بنا من واجب المحافظة على شعائر الدين الاسلامي الحنيف أصدرنا أوامرنا لوزارتنا فى عموم الاوقاف فى نطاق تنمية الوعي الاسلامي وتيسير أسباب العبادة لشعبنا بمواصلة حملات الوعظ والارشاد بجميع جهات المملكة ، وبناء المساجد بالمدن والقرى والاحياء المفتقرةاليها، وقد شيد 46 مسجدا خلال سنة 1966 ووقع اصلاح مئات أخرى من المساجد ، وقمنا ببعث الثقافة الاسلامية بطبع طائفة من كتبها القيمة منها والنفيسة ، واعتنينا بالمدارس العتيقة بالبادية حتى عادت الى ازدهارها السابق ، وصار الطلاب يلقنون فيها القرآن الكريم بمختلف قراءاته ، ومبادىء العلوم الدينية واللغوية .. »

من خطاب العرش الذي القاه صاحب الجلالة نصره الله يوم 3 مارس سنة 1967 .

ان عنايتنا بالمحافظة على القيم الاسلامية وبنشر التعاليم الدينية لا تقل عن اهتمامنا باشاعة الرخاء والازدهار والطمانينة بين افراد شعبنا .

ولم نفتا نوجه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لبناء المساجد وتعهدها بالاصلاح والصيانة والتجهيز حتى تبقى بيوت الله عامرة يذكر فيها اسمه ويتلى فيها كتابه العزيز .

واننا لنتمم هذا العمل بما نامر به من احياء التراث الاسلامي وطبع المخطوطات النادرة وتنظيم دروس للوعظ والارشاد فى جميع انحاء مملكتنا .

وقد اكتسى شهر رمضان المبارك فى هذه السنة حلة جليلة فى بلادنا تجلت فى الدروس الوعظية التي أشرفنا عليها بنفسنا وفى توجيه شعبنا الى ما فيه صلاحه فى الدين والدنيا ، ولقد شارك فى القاء هذه الدروس الوعظية طائفة من أجلة علمائنا وعلماء بعض الاقطار العربية الشقيقة .

وقد عنينا خلال السنة المنصرمة بطبع المصحف الشريف فصدرت هذه الطبعة فى الحلة القشيبة وفق رغبتنا ومبتغانا وانجزنا فى السنة نفسها بناء ثلاثة عشر مسجدا جديدا واصلاح ما يزيد على مائة مسجد ، وأصدرنا أوامرنا لوزارتنا فى الاوقاف والشؤون الاسلامية بالشروع فى تشييد واحد وعشرين مسجدا فى مختلف مدن مملكتنا وقراها .

من خطاب العرش الذي القاه جلالة الحسن الثاني يوم 3 مارس عام 1968 .

نصّ الخطاب الملكي لعيد العرش

احتفل الشعب المغربي في جو من البهجة والحبور بالذكرى السابعة لتربع جلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله وأيده على عرش اسلافه المنعمين .

وقد تراس العاهل المفدى حفلة عيد العرش برحاب المشور السعيد حيث القى خطاب العرش الذي استعرض فيه مختلف المنجزات التي حققتها بلادنا في شتى المجالات والآفاق وما سينجز في عهده الزاهر في المستقبل القريب .

وكان جلالة الملك محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله ، وحضر هذا الحفل العظيم أعضاء الحكومة ورؤساء البعثات الدبلوماسية والامراء وأصهار صاحب الجلالة ورئيس المجلس الاعلى ووكيل الدولة العام ونواب كتاب الدولة والجنرالات واعضاء الدواوين الملكية وعدد كبير من الشخصيات المدنية والعسكرية ووفود من الاقاليم وعدد كبير من الضباط السامين .

كما حضرت جموع غفيرة من المواطنين الى المشور السعيد للاستماع الى قائد البلاد حفظه الله وهو يلقي خطاب العرش الذي استغرق القاؤه ما يقرب من الساعتين
وفيما يلي نص الخطاب الملكي السامي :

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

تلتقي مشاعرنا ومشاعرك في مثل هذا اليوم من كل سنة منذ ان القى الله الينا زمام أمرك وحملنا امانة الرعاية لشؤونك ، والسهر على مصالحك ، تلتقي لقاء يتسم بطابع خاص ، ويمتاز عن كل لقاء يتم بيننا في سائر ايام السنة بسمة ليس لها نظير ولا شبيه — ذلك لان اجتماع الكلمة على الاحتفال بهذه الذكرى ، واتحاد العواطف ، والتلاف القلوب للاعراب في هذا اليوم المشهود عن المسرة والابتهاج ، والافتخار والاعتزاز ، وشكر النعمة ، ما سلف منها وما بقي ، والامل المنقود الصادر عن الثقة والاطمئنان ، كل هذا انما هو اجتماع واتحاد ، والتلاف حول العرش وما يرمز اليه العرش من معاني الاستمرار والاستقرار ، والولاء المتبادل الممتد عبر السنين والاجيال ، والوفاء الثابت الذي جرى عليه الملك والشعب مدى العصور الطوال ، فليس احتفالك كل سنة في مثل هذا اليوم بذكرى جلوس عاهلك على عرش اسلافه المنعمين ، الا احتفالا بتلك الصلة الوثيقة الرابطة بين عرش هذه المملكة وحامي

حماها ، وبين شعب هذه البلاد ، واحتفاء بتلك الاصرة الجامعة التي احكمها اتحاد الاماني ، وتوافق المطامح ، وتواكب الجهود والتضحيات .

التحام العـــرش والشعب

لقـــد ادرك اسلافك ــ شعبي العزيز ــ منــذ نيف وثلاثة قرون ما لهذه الصلة من قيمة ثمينة ، وقدر نفيس ، فحرصوا عليها حرص الشحيح ، واتخـــذوا من توثيق عراها وتنميتها واحكامها منذ انتشرت الوية هذه الدولة فوق ارض هذا الوطن ، اتخذوها خطـــة رسموها لانفسهم ، وهدفـــا ترامت اليه امانيهـــم ومطامحهم ، فبلغوا من هذا المقصد ما املوا ، ونالوا من هذا الغرض ما اليه ذهبوا ومالوا ، وأشاع الله في قلوب اجدادنا المقدسين الذين تعاقبوا على عرش هذه البلاد الحب الصادق ، ذلك الحب الـــذي يورث الرعايـــة والعناية ، والاهتمام بصغير الشؤون وكبيرها ، والثقة التي تدفع الى العمل الصالح ، وتخلق الراي السديد ، والنظر الذي لا يحيد عما فيه العائدة الجميلـــة ولا يميل . وشاءت العناية الالاهية ان يكون ذلك التجاوب، ويتولد ذلك الوئام ، ويتاصل ذلك الانسجام ، ويعظـــم التبادل ، وتغزر مادة التعاطف ، وتقوى عوامل التكاتف بين ملوك هذه الامة وشعوبهم ، فلم يختلـــج في صدر الرعية مطمح من المطامح ، ولا امل من الآمـــال ، ولم يخامر نفوسها فرح او ترح ، على اختلاف الازمنـــة والعصور ، وتبدل الاحـــوال وتجدد الظـــروف ، الا تأججت في نفوس الجالسين على عرش هذه البـــلاد ، جميع هذه العواطف والمشاعر ، وحفزها هذا الوجدان الى الاخذ بما يؤكد دواعي المسرة والابتهاج ، ويوفـــر اسباب الطمانينة والارتياح ، ويكفل تحقيق الرغائـــب والمطالب ، ويضمن دفع الشدائد والنوائب ، وكان لهذا اللقاء بين العواطف ، ولهذا الالتحـــام بين الارادات ، عبر العصور الســـالفة والازمان الخالفة ، الاثر الحميد الذي طبع مجرى تاريخ هذه البلاد منذ اشراق فجـــر الدولة العلوية الى يومنا هذا ، فلم يشعر اجدادك واسلافك ــ شعبي العزيز ــ في يوم من الايـــام ، او في حال من الاحوال ، سواء في السراء والضراء ، او في الشـــدة والرخاء ، ولم تشعر انت من بعدهم بفاصل من الفواصل التي تجعل الحاكمين بمعزل عن المحكومين ، او حائل يحول دون الالتقاف والائتلاف ، او بعائق يقف في وجه اتحاد المصالح والغايات والاهداف ، ولم يشعر اسلافي المكرمون الملوك المنعمون خلال الاحقاب المتتابعة مـــن تاريخنا الحافل بالمكرمات والامجاد ، ولم اشعـــر انـــا بعدما اناط الله بي مقاليد امرك فيما تصرفت فيه من وجوه ، ودعيت اليه من اعمال ، وحملت من اعبـــاء ، وهديت اليه من سبيل ، لم اشعر بما يوهن العزائـــم ، ويفت في الهمم ، ويكذب الظن ، ويخيب الامل ، بـــل درجت فراسة الشعب المغربي على الصدق ، وتوالـــى حسن ظنه وتتابع جميع اختياره ، ورجحت ارجـــاء ثقته وبرزت في الخطوب والملمات والظروف المدلهمات، درجت تلك السجايا التي فطر عليها ، والمزايا التي طبع عليها ، وصلحت نيات ملوكه وخلصت طواياهم ، فهداهم الله الى الصراط المستقيم ، ووفق خطاهم الى التدبير السليم ، وعرفهم من مصادر الحكم وموارده ما صلحت به الاحوال ، وطاب به المآل ، فسارت بمـــا اجتمعت عليه قلوب الحاكمين والمحكومين ، واتحدت حولـــه كلمتهم ، سارت سفينة هذه المملكة الى شاطىء النجاة على الرغم مما اعترض سبيلها من صعاب واحتف بهـــا من مكاره واحدق بها من اخطار .

تجـــاوب أصيـــل ومستمـــو

ان هذا التجاوب الاصيل الذي يستمد قوته من الماضي القريب والبعيد ، وعن الحاضر الزاهر العتيد ، وهذا الولاء المتبادل والوفاء المشترك ، والتعلق بالقيـــم التي تتمثل في العـــرش وفي شخص من قيضه الله لاعتلائه ، وقيادة هذه الامة ، كل هذا خليـــق بامدادنا بالحول والطول للتغلب على ما يمكن أن يعترض سبيلنا من عقبات ، وبتوطيد عزمنا على المضـــي قدما فيمـــا نستهدفه من ارساء قواعـــد مستقبلنـــا على الاسس المكينة والدعائم المتينة ، وارشادنا الى أصلح الاسبـــاب وانجع الوسائل المؤدية الى ما يعود على بلادنا بالحسنى وزيـــادة .

شعبـــي العزيـــز :

لقـــد دابنا كلما حلت هذه الذكرى وتوجهنـــا اليك بالخطاب على استعراض ما انجزناه من اعمـــال وطويناه بهذا الانجاز من مراحـــل ، وما بقي علينا ان نتقطع اليه من انجاز وتحقيق تتميما للعمل الذي بداناه، واستكمالا للبناء الذي بنيناه لتكون على بينـــة مـــن مساعينا وبصيرة من جهودنا ، وليكون علمك محيطـــا باننا نخطو كل سنة خطوات ، وتتقـــدم كل حقبـــة درجـــات .

لا يهدأ لنا بال حتى يكون يومك احسن من امسك وغـدك أفضـل مـن يـومـك

واننا لا يقر لنا قرار ولا يهدأ لنا بال تفكيرا فيما يعود عليك بالعائدة الحسنة ، وتدبيرا لشؤون الدولة على تباين وجوهها وتعدد الوانها لتتصل الجهود المجدية الناجعة وتتلاحق المساعي المثمرة النافعة ، حتى يكون يومك احسن من امسك ، وغدك افضل من يومك ، وحتى يتوالى سيرنا في الطريق القويم الذي اوضحناه ويطرد الرقي المنشود الذي رسمناه في شتى الميادين وسائر المجالات ؛ ولقد انتظمت السياسة التي سلكناها خلال السنة المنصرمة اعمالنا المنجزة ومشاريعنا المدروسة الماثلة للتطبيق والمشاريع التي ما تزال رهن البحث والدرس والتمحيص ، فاشتملت على ما يهم الميدان الداخلي ، وعلى ما يتصل بمواقفنا في الحقل الدولي ؛ وما سلكناه في هذا المضمار من سبيل واخترناه من مقاصد واهداف ، فالاستعراض الذي اعتدنا أن نقوم به بمناسبة هذه الذكرى سيلم بالجانبين معا من جوانب تفكيرنا وتدبيرنا وبالوجهين على السواء من وجوه اخذنا وردنا وانقطاعنا الى ما انقطعنا اليه من شؤون .

الشـؤون الماليـة والنقـديـة

شعبـي العزيـز :

ان كثيرا من المشاريع التي وضعناها وانجزناها والاعمال التي قمنا بها وحققناها في بحر السنة المنصرمة مما له مساس بالمجال الداخلي هو وليد تفكيرنا المتصل وجهدنا المسترسل ، كما هو وليد اللقاءات بشعبنا افرادا وجماعات خلال تنقلاتنا العديدة عبر اقاليم مملكتنا شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، بغية معرفة الحاجات ، والاحاطة بالمشاكل والمتطلبات . فلما تم لنا ما كنا نريده من هذا الاستطلاع ، وعكفنا على استيعاب الرغائب ودرس المآرب والمطالب ، فنفذنا من هذا الفحص والاستكناه الى مكامن القوة والضعف ومظان النقص والوفرة ، ومسارب الداء ، وسبل العلاج والدواء .

ولم نقتصر فيما وضعناه من مشاريع واتخذناه من تدابير على أعمال الصيانة والمحافظة والإبقاء على ما تتوفر عليه بلادنا من تجهيز ينتظم الميادين الاقتصادية ، والاجتماعية ، وانما استهدف سعينا التحسين والتكميل ، والتوسيع والتجديد ، والتنمية والتشييد .

سياستنـا الماليـة

ولتكون شعبي العزيز عالما تمام العلم بسياستنا في الميدان الداخلي ، فاننا نرى لزاما علينا ان نعرض عليك قبل كل شيء الخطوط الكبرى لسياستنا المالية والنقدية ، لما لهذه السياسة من اثر في مختلف وجوه نشاط الدولة ؛ ولما تخضع اليه ميزانيتنا من ضرورة اعتبار مداخيل الدولة ومراعاتها اجتنابا لكل تفريط او تقصير ، وتفاديا لكل اختلال يمكن أن يصيب ميزان المداخيل والمصاريف ، وتنكبا لما عسى أن يترتب عن هذا الاختلال من سيء النتائج ووخيم العواقب .

وعلى أساس هذه الاعتبارات ، وحرصا منا على توجيه الطاقات الانتاجية للبلاد الوجهة التي تتفق والنمو الذي نبتغيه ، وضع القانون المالي لسنة 1967 كما وضع نظيره لسنة 1968 .

ففي السنة الماضية تم تنفيذ قانون المالية في ظروف مرضية ، فرغم ارتفاع نفقات الاستثمار وضعف المساعدة الخارجية، تمكنت الخزينة من مجابهة اداءاتها بحيث سددت سبعة وعشرين مليون « 27 » درهم من تسبيقات معهد الاصدار

وحيث ان سياسة التقتير الصارمة التي التزمناها في الميدان المالي منذ سنة 1964 ، قد اسفرت عن النتائج الايجابية ، فان هذه السياسة قد روعيت في وضع قانون المالية الذي يحدد الميزانية العامة لسنة 1968 .

انمـاء التوفير والزيادة في موارد التمويل

وشعورا منا بضرورة تزويد البلاد بانظمة نقدية ومالية تساير متطلبات نموها الاقتصادي والاجتماعي، صرفنا قسطا من عنايتنا في السنة الماضية الى اعادة تنظيم الاجهزة الخاصة بالقرض وتوسيع السوق المالية قصد انماء التوفير والزيادة في موارد التمويل الخاصة بالاقتصاد الوطني .

وقد اصدرنا في شهر ابريل الماضي ، تحقيقا لهذه الغاية مرسوما ملكيا يتضمن القانون التنظيمي للمهنة البنكية والقرض ، ويعتبر بمثابة الاطار القانوني الاساسي للسياسة النقدية .

وعملنا على مضاعفة التوفير وتوجيهــه نحــو الاعمال المنتجة عن طريق النشاط الذي يقوم به كــل من صــندوق الايداع والتدبير وبورصة القيــم بالدار البيضاء التي امرنا بتنظيمها طبقا للمرسوم الملكي الذي اصدرناه في هذا الشأن ، ويهدف هذا التنظيــم الى تقوية فعالية مراقبة الدولة في الشؤون المتصلة بالقيم المنقــولـــة .

وقــد اخــذت وزارتنا في المالية في تطبيــق اصلاحات اساسية في ميدان التوفير والسلف ، فانشا الصندوق الوطني للسلف الفلاحــي سبعة وخمسين « 57 » صندوقا محليا لفائدة صغار الفلاحين ونحــن على وشك اصدار نصوص تشريعية تقضي باحداث صناديق جهوية للتنمية وتنظيم السلف الخاص بالعقار والفنـــادق .

جهــود الدولــة لمواجهة حالــة الجفاف

هذا وقد منينا خلال سنتين متواليتين بجفاف اضطرت معه الدولة الى اتخاذ التدابير لمواجهة الحالة وذلك بضمان وتوفير الحبوب الكافية حتى لا يترتب عن هذا الجفاف ما يترتب عنه عادة من مسغبة وخيمة العواقب ، جسيمة الاضرار ، الا أن الجهد الذي افرغته الدولة نهوضا باعباء مسؤوليتها تفاديا لهذه العواقــب قد كلفها استيراد الحبوب ما بين فاتح يوليوز 1966 و 30 يونيه 1967 مبلغ قدره خمسة ملايير ، كمــا ان استيرادها سيكلف الدولة مائتين وسبعة وسبعيــن مليونا وخمسمائة الف درهم في المدة الفاصلة بين فاتح يوليوز 1967 و 30 يونيه 1968 ، وهو تكليف عظيم ، الا ان الله الرؤوف بعباده وقانا شر ظروف عصيبـــة وايــام يابسات .

هذا وقد بلغت استسلافات البنك الوطني للانماء الاقتصادي لتمويل التجهيزات الصناعية ما يزيد على ثلاثة وخمسين مليون « 53 » درهم وذلك لغاية 30 سبتمبر من السنة الماضية ، وقد توصل هذا البنــك من الخزينة بقرض طويل الامد قدره مليون وسبعمائة وواحد وخمسون الفا وثلاثمائة وثمانيــة وثمانــون « 388 751 1 » درهما وذلك ليتمكن مــن مواجهـــة جميــع التزاماتـــه .

الاشغـــال العموميـــة

دعائــم اساسيـــة للتنميـــة

واذا كانت سياستنا المالية تعكس ما نبذله مــن جهود في مضمار التنمية ، فان اختصاصات وزارتنــا في الاشغال العمومية والمواصلات تكتسي من الاهميــة ما ليس به خفاء للصلة التي لاعمال هذه الوزارة باقتصاد البلاد ، وذلك ان بنــاء الطرق والجسور والموانـــيء والمطارات وتوسيع شبكة المواصلات والنقل ، وتعهدها بالصيانة المستمرة ، وتوليد الطاقة الكهربائية وتشييد السدود كل هذا من الاعمال التي تعد دعائم اساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وان نظرة سريعة الى منجزاتها واعمالها لخليقة بأن تدل على ما تضطلع به هذه الوزارة في مجال النمو الاقتصادي ، وان من الجدير بالتنويه أن شبكة الطرق في بلادنا يزداد طولها منذ فجر الاستقلال بمعدل سنوي قدره 500 كلم تقريبا ، وبفضل هذا المجهود اصبحت البلاد متوفرة على شبكة طرقية متنوعة ممتدة تصــل خطوطها المحكمة البناء بين اطراف وطننا المحبوب .

وقد امتازت السنة الفارطة باشغال توسيع ميناء اسفي واقامة ارصفة اضافية في ميناء كــل من الدار البيضاء وطنجة ، فضلا عــن الشروع في الدراسات المتعلقة بتجهيز موانيء جديدة .

أما شبكـــة السكك الحديدية التي يبلغ طولها : 778 1 كلم فقد عنيت مصالح وزارتنا في الاشغــال العمومية بتمتين بعض خطوطها ، ومنها الخط الواصل بين طنجة والقصر الكبير ، يضاف الى هذا توسيــع مجموعة الفنادق التابعـــة للمكتب الوطنـــي للسكك الحديديـــة .

وتم خلال السنة الفارطة ايضا انجاز البرنامج الهام الرامي الى تجديد مطار الرباط وسلا وتوسيعــه بحيث اصبح قادرا على استقبال اضخــم الطائرات واحدثها ، كما قاربت اشغال توسيع مطــار طنجـــة نهايتها ، وانجزت الدراسات الخاصة باعداد مطــار الدار البيضاء ــ النواصر الذي نحرص اشد الحرص على أن يكون من المطارات الدولية ذات الشأن العظيم .

وتعددت في السنة المنصرمة وسائل توليد الطاقة الكهربائية فاقيم في سيدي قاسم مولد تبلغ طاقتـــه خمسة عشر الفا وستمائة « 600 15 » كليواط ، كمــا

تم استخدام المعمل الكهربائي بمشرع قليلة الذي تبلغ طاقته السنوية المحتملة 60 كليواط في الساعة .

الاتجــاه الى تشييد السدود لتعميم الرخاء

وبرز نشاط وزارة الاشغال العمومية والمواصلات بخصوص السدود الكبرى ، وذلك بالشروع في تشييد سد ءايت عادل على وادي تاساوت ، وتمتين سد النخلة ، كما انتهى في صيف السنة الفارطة العمل من بناء سد مشرع قليلة وذلك في الوقت الذي توبعت فيه الدراسات المتعلقة بانشاء سد زاوية نورباز ، وسد عربات ، وسد ماسة . وان مما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام اننا دشنا خلال مقامنا الاخير باقليم قصر السوق الاعمال الاولى لبناء سد الحسن الداخل على وادي زيـز .

ولنا وطيد الامل ان نشرع خلال هذه السنة في اعمال تشييد سد ماسة ، كما نامل من وراء اقامة هذه السدود كلها التي تساهم اريحية الشعب المغربي في تشييدها الحصول في اجل قريب غير بعيد على اطيب الثمرات وازكى الفوائد وتحقيق الرخاء وتعميم الازدهار بغزارة المحاصيل واطراد نمو الانتاج .

التجــارة والصناعــة والمعــادن

ان التجارة والصناعة بنوعيها العصري والتقليدي والمعادن كانت وما تزال موضع اهتمامنا ومناط ءامالنا لما تدره جميعها علينا من ارباح وتفيدنا من تشغيل لليد العاملة ، ولانها احدى الوسائل التي تساهم في خلق الازدهار بهذه البلاد وبالتالي في تقدمها ورقيها وانطلاقها

تقدير لم يخطيء وتدبير حقق الظن والرجاء

وفي علمك شعبي العزيز اننا اقدمنا وليس العهد ببعيد ، على تاميم تجارتنا الخارجية الخاصة بانتاجنا من الفلاحة والمصبرات والصناعة التقليدية ، ومنذ ذلك الحين واهتمامنا بهذا التاميم ونتائجه عظيم ، وحرصنا على نجاحه شديد ، وان مما يبعث المسرة في قلبنا ، ان تقديراتنا لم تخطيء ، وان تدبيرنا حقق ظننا ورجاءنا ، فقد قام مكتب التسويق والتصدير بالمهمة التي عهدنا بها اليه قياما محمودا ، واستطعنا ان نحسن ميزان الاداءات بشكل ملموس ، بما وفره علينا هذا التاميم من عملة صعبة ومن تزايد في دخل المنتجين

الذين افادوا ايما افادة من تسويق منتوجاتهم رغم الصعوبات التي تعترض سبيلنا في تصريف هذه المنتوجات .

والى جانب هذا فقد ساهمت تجارتنا الخارجية في تنويع اسواقنا ، فتزايدت صادرتنا خلال سنة 1967 بنسبة تتراوح ، حسب المنتوجات ، بين 15 و 25 في المائة من حيث الكمية ، وترتب عن هذا ازدياد دخلنا بنسبة تتراوح بين 10 و 15 في المائة ، وفاقت كمية صادراتنا من الحوامض في السنة الماضية بما قدره 100 الف طن عن السنة التي قبلها ، وبلغت قيمة صادراتنا من الحوامض وحدها نحو 000 000 390 درهم في السنة 67 ، وبهذا احتلت هذه المنتوجات الدرجة الثانية بعد الفوسفاط من حيث التصدير .

ان التجربة التي خاضها مكتب التسويق والتصدير والتي حققت النتائج التي توخيناها جعلتنا نعهد اليه بتسويق منتوجات اخرى كالقطن ، وبذلك اصبح هذا المكتب مكلفا بتسويق 80 في المائة من صادراتنا على وجه الاجمال باستثناء المنتوجات المعدنيـة

ولم يكتف المكتب بهذا ، وانما اخذ بعين الاعتبار الوسائل المحدودة التي يتوفر عليها صغار المنتجين، فعمل على بذل الوسائل المالية لهم مساعدة على الاستمرار في الانتاج والمحافظة على جودته .

تنشيــط الحركــة التجاريــة

ورغبة منا في تنشيط الحركة التجارية وتوسيع امكانياتها ، عملنا في السنة الماضية على تغيير نظام الواردات وتبسيط الاجراءات المتعلقة بجلب البضائع من الخارج ، وقد راعينا في هذا التنظيم توفير قسط كبير من حرية الاستيراد مع المحافظة على توازن ميزان الاداءات وحماية الصناعة والفلاحة ، وان من شان هذا النظام ان يساعد على انعاش الحياة الاقتصادية والتجارية والمالية في مملكتنا .

التعاون مع دول المغرب العربـي

هذا ولم يغب عنا ما للتداول مع دول المغرب العربي في الشؤون الاقتصادية من كبير اهمية ، فقد شاركت بلادنا في اجتماع وزراء الاقتصاد لدول المغرب العربي الذي انعقد في تونس في شهر نوفمبر الماضي،

تم خلال هذا الاجتماع وضع مشروع اتفاق يقضي باقامة مرحلة انتقالية مدتها خمس سنوات وبتضمن برنامجا للتعاون بين هذه الدول في ميدان المبادلات التجارية وتنسيق الجهود الاقتصادية والصناعية .

اقامة نظام تفاضلي مع السوق الاوربية

ولما توليه من عناية بالغة بعلاقتنا بالمجموعة الاقتصادية الاوربية ، فقد استؤنفت المحادثات بيننا وبينها ، وتبودلت خلال هذه المحادثات وجهات النظر حول اقامة نظام تفاضلي في الميادين الفلاحي والصناعي

وفي اطار جهودنا الرامية الى تنويع مصادر الاستيراد ومواقع التصدير ، اجرينا اتصالات ببلاد افريقية اسفرت عن ابرام اتفاقين ، احدهما مع النيجر، والاخر مع السودان ، وسيكون لهذين الاتفاقين الاثر الحميد في تصدير منتوجاتنا .

تدابير لنظام الواردات

ولاجل النهوض بالصناعة الوطنية ، اتخذنا في السنة الماضية عدة تدابير استهدفت في جملتها اضفاء جانب من المرونة على نظام الواردات من المواد الاولية وادوات التجهيز الضرورية ، وتوجيه استيراد هذه المواد والادوات توجيها يكفل لنا ايجاد منافذ لانتاجنا الوطني ، كما استهدفت تخفيض اثمان المنتوجات المصنوعة في المغرب ودراسة عدد من المشاريع الهامة وخاصة ما يتصل منها بقطاعات التغذية والنسيج والكيماويات .

صناعات متعددة الاشكال

وفضلا عن انشاء مصنعين للسكر في ناحية الغرب ، فان الصناعة الغذائية الاخرى ظفرت بنصيبها من الاهتمام كصناعة الزيت والمواد المستخلصة من السمك وغيرها وذلك بما تم توظيفه من اموال في هذا السبيل .

وعلاوة على الاستثمارات الاخرى التي اتجهت نحو توسيع الصناعات الكيماوية وغيرها مثل مصافي البترول ووحدات اللدائن والعجلات ومصانع الورق وادوات البناء وايجاد معمل للزفت بمدينة المحمدية فقد فرغ من الدراسة المتعلقة باحداث مصنع بالدار البيضاء لتحويل المعادن .

وتأكيدا لاهمية الاستثمارات الصناعية ، نشير الى ان المصالح العامة وحدها ساهمت في هذا المجال خلال السنة الماضية مساهمة ارتفع مبلغها الى 260 مليون درهم اي ما يساوي 46 في المائة من جملة الاستثمارات الماذون بها .

الاهتمام بالصناعة التقليدية

اما اهتمامنا بالصناعة التقليدية ، فانه ليستجيب لرغبتنا المزدوجة في المحافظة على هذا التراث الوطني الحي ، وجعله مسايرا لمتطلبات الحياة العصرية والنماء المرغوب فيه .

وقد تم في هذا الشأن انجاز بناء مراكز التكوين المهني ، كما تم خلال السنة الماضية بناء معهد النسيج والغزل بمراكش ، ومركز تحت الاحجار الكريمة بفاس ، ومركز الدباغة والجلود ببني ملال ، ومعهد النسيج بالقصر الكبير .

هذا وتتولى ادارة الصناعة التقليدية الدعاية لترويج منتوجات الصناع باعداد الفهارس وطبع المنشورات وتوزيعها واقامة المعارض وتنظيم شهر الصناعة التقليدية كل سنة ، كما توالي هذه الادارة مراقبة المصنوعات للمحافظة على جودتها .

البحث والتنقيب عن مصادر جديدة للثروة

ولئن كان للنشاط المعدني والبترولي مكانة مرموقة في اقتصاد البلاد ، فان المغرب يتوفر ، ولله الحمد ، على مناجم ذات اهمية عالمية تتجلى فيما يصدره الى الخارج من ثرواتنا المعدنية ، وهذا ما يحفزنا الى تحسين وسائل الاستغلال المعدني وتوسيع اسواقه والبحث والتنقيب عن مصادر جديدة للثروة الكامنة في باطن الارض .

انتاج الفوسفاط يتضاعف

وان من حسن حظنا ان بلادنا تتوفر على كميات طائلة من الفوسفاط ، فالى جانب ما لنا من هذه الثروة بالمواقع المعروفة كاليوسفية وخريبكة ، فان مناجم ابن جرير ستحقق ما نطمح اليه من توازن اقتصادي واجتماعي بين انحاء مختلفة من مملكتنا ، وسيكفل لنا استغلال هذه المناجم ، زيادة على ارتفاع الانتاج ، ما نتطلع اليه من بعث حياة مليئة زاخرة بين سطات

ابراج الشبكة الهيرتيزية الواصلة بين مكناس وميدلت، وبالحبل المحوري بين ميدلت وقصر السوق . وتواصلت الجهود لتجهيز القرى باقامة مراكز تليفونية جديدة ، فتم تجهيز ما يزيد على مائة جماعة قروية .

وبالاضافة الى المشاريع الجديدة التي وقع انجازها في مجال المواصلات السلكية واللاسلكية على الصعيدين الوطني والدولي ، والتي منها تعميم المواصلات بواسطة التلكس ، ابرم اتفاق بين بلادنا وشركة امريكية هامة يقضي بانشاء محطة للمواصلات بواسطة الاقمار الصناعية بغية تحقيق الاتصال السريع والمباشر بمختلف قارات العالم .

وقد انشأنا عددا من المكاتب والوكالات البريدية الجديدة في شتى انحاء المملكة ، وبهذا اصبحت البلاد متوفرة في نهاية التصميم الثلاثي على 264 مؤسسة بريدية انجز معظمها بمناسبة اليوم التاسع من شهر يوليوز في السنة الماضية تحت شعار التنمية القروية .

حملة توعية لفائدة التوفير والادخار

وقامت وزارتنا في البريد في السنة الماضية طبق تعليماتنا بحملة توعية واسعة لفائدة التوفيرات استجابة للنداء الذي وجهناه لشعبنا في هذا السبيل بنتائج حميدة تجلت في افتتاح 40.580 حسابا جديدا، كما تجلت في ارتفاع مبلغ الوفر من 67 مليون درهم الى 98 مليون درهم .

رفع مستوى الشغالين وتحسين حالتهم

وفي ميدان الشغل والشؤون الاجتماعية واصلنا خلال السنة الفارطة عملنا الرامي الى تحسين حالة الشغالين ورفع مستواهم ، فاصدرنا نصوصا تشريعية جديدة تقضي بتحديد مسطرة لبقاء المؤسسات الصناعية والتجارية مستمرة في نشاطها وتفرض عليها بذل تعويض في حالة استغنائها عن العمال ، والغاية من هذه التدابير هي السعي لايقاف حركة عن العمال وتأمين العمل الى بلوغ سن التقاعد لليد العاملة من جهة ، وبذل تعويض للعمال المطرودين عن الضرر الحاصل لهم وتمكينهم هم واسرهم من وسائل العيش ريثما يتاح لهم الحصول على شغل جديد من جهة اخرى ، ومن اهم ما نهتم به تشغيل اليد العاملة ، وللحصول على الشغل لعمالنا فقد ابرمنا اتفاقات اضافية مع المملكة الليبية والجمهورية الفيدرالية الالمانية . ونحن بالاضافة الى هذا بصدد دراسة اتفاق تشغيل مع هولاندا ، ولقد عكفت مصالح وزارتنا في الشغل والشؤون الاجتماعية على وضع مخطط شامل لليد العاملة ، يقع تنفيذه بتعاون مع المكتب الدولي للشغل ، ويولي هذا المشروع اهمية كبرى للتكوين المهني الذي سينظم تنظيما جديدا يحقق الغاية التي نتوخاها في هذا السبيل . واذا كانت وزارتنا في الشغل والشؤون الاجتماعية قد انجزت بنسبة 100 في المائة الاهداف المرسومة في المخطط الثلاثي في ميدان التكوين المهني بما فتحته من مراكز جديدة في مراكش وآسفي ووجدة والعرائش ، وبتاسيع طاقة المراكز الموجودة بنسبة 75 في المائة ، فاننا نعمل على توجيه التكوين المهني توجيها جديدا يتلاءم مع مقتضيات التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد ، بما يجب ان ينتجه من ترضية الحاجات الحقيقية لمختلف القطاعات كيفا وكما ، وتنويع التكوين المهني واشتراك القطاع الخاص في هذا المجهود عن طريق تعميم التدريب في المعامل والمصانع .

وقد انشأنا في مدينة الدار البيضاء تنفيذا لهذه الخطة المعهد الوطني لتكوين الاطارات التقنية ، اما في ميدان الشؤون الاجتماعية فاننا اصدرنا عدة نصوص تشريعية تستهدف بصفة خاصة تحسين سير الجمعيات التعاضدية .

التعليم :

حرصنا على تكوين جيل صالح

ان عنايتنا الخاصة منذ الاستقلال بشؤون وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ، لتأخذ من تفكيرنا نصيبا غير يسير ، وذلك استجابة لرغبتنا ورغبة رعايانا في التربية والتعليم ، وحرصا منا على تكوين جيل صالح مؤهل تأهيلا صحيحا للعمل في جميع الميادين ، ورغم سياسة التقتير التي خضع لها مختلف الوزارات ، ارتفعت ميزانية الوزارة خمسة اضعاف اي من مائة مليون درهم الى ما يزيد على خمسمائة مليون درهم ، وهي ميزانية تمثل اربعة في المائة من الدخل الوطني وما يعادل 6 ، 17 من الميزانية العامة .

تعميم التعليم والسعي لحل مشاكله

ولقد كان من نتائج التحرر الاجتماعي والسياسي الذي واكب فجر الاستقلال والسنوات التالية تأثير

قوي أدى الى نجاح ملموس من حيث الكم ، لقد عمم التعليم ، ولكن هذا التعميم وضع عدة مشاكل ، وقعت محاولة حلها باتخاذ تدابير ان ترتب عنها فسح المجال لقبول عدد كبير في المدارس ، فانها اسفرت عن عواقب لاتبعث على الرضى والارتياح ، ذلك ان التعليم الذي كان ينبغي أن يحتفظ بالمستوى الخليق بتاهيل شبابنا للاضطلاع بالمسؤوليات والقيام بالمهام التي يستوجبها نمو البلاد ورقيها ، اصبح من جراء هذه التدابير في مرحلة التعليم الابتدائي وفي المرحلة الاولى من التعليم الثانوي لا يستجيب لرغبة البلاد في ان تتوافر لديها الافواج من المتعلمين الاكفاء ، فتعليمنا يعاني ازمة شديدة تستدعي العلاج السريع ، لان مستوى المعلمين ببلادنا ضعيف ، ولان ابناءنا لم يوجهوا التوجيه الكفيل بضمان رصيد من الاطارات الصالحة التي تشعر بلادنا بالحاجة الماسة اليها ، ولان طلبتنا لم يرغبوا الترغيب الضروري في اقتناء العلوم واكتساب المعارف الفنية التي لاغنى عنها لكل امة تود ان تتدارك النقص اللاحق بها وتطوي المراحل لتبلغ شأو الامم التي تقطع الاشواط تلو الاشواط وتحث الخطى مستهدفة الرقي المطرد والتقدم المتواصل .

اصلاح التعليم وتكوين المعلمين تكوينا سليما

ولذا فان المخطط الخماسي يرمي الى اصلاح حالة التعليم ، وبين ان هذا الاصلاح لا يمكن ان يتحقق الا باصلاح المعلمين والاساتذة وتكوينهم تكوينا سليما يحصل به ارتفاع مستوى التلاميذ ، فاذا نحن ظفرنا بالمعلمين المستوفين شروط الكفاية والخبرة والاقتدار على التوجيه المستجيب لمتطلباتنا ، فاننا سنضع حدا للازمة التي نعانيها ونبلغ الغاية التي نتوخاها ، واننا لعازمون على صرف بالغ عنايتنا وكبير اهتمامنا في اجل قريب الى توفير اسباب النجاح لهذه الخطة التي لا نرى مناصا من اتباعها .

... وتكوين اطارات التفكير والتنفيذ

زد على هذا انه لا يحسن بنا ونحن نرغب في ان تثب بلادنا الوثبة الكبرى ، ونجد ليتأتى لنا سعيا وراء النمو والازدهار سقي مليون هكتار أن تعوزنا اطارات التفكير والتنفيذ في الوقت الذي تكون فيه بلادنا غاصة بشباب لا يمكن ان يرجى منه المساهمة الفعالة المجدية بسبب انحطاط مستواه ، ولا يمكن ان يضطلع بدور نافع في المجهود الذي نحن مطالبون بتقديمه وبذله ، فالحاجيات الملحة علينا تستلزم ان نولي جانب تكوين الاساتذة والمعلمين ما هو خليق به من رعاية ليساهم المعلمون والاساتذة بدورهم في مجهود الامة ، وذلك باعداد الاداة من العاملين الكفاة في مجال التنمية المقصودة .

شؤون القضاء :

قانون جديد للتنظيم القضائي

وفيما يخص الوضع القضائي في البلاد ، فقد اوليناه عناية خاصة تبلورت في الخطوة الحاسمة التي سجلتها وزارة العدل هذه السنة لتركيز قضائنا على امتن الاسس واقواها ودعم اجهزته بأحدث التنظيمات واجداها .

ونشير في هذا الصدد الى ان التجربة التي باشرناها منذ فجر الاستقلال الى الآن ، اظهرت بصفة جلية ان عددا من المحاكم لاتوجد في المواقع المناسبة لها ومحاكم اخرى قد تعين احداثها ، كما ان قانون التوحيد قد فرض عدة اجراءات اصبح من الواجب معها تكييف انظمتنا على ضوئه وحسب مقتضياته .

ولمعالجة هذه الحالة بصفة اكثر فعالية اصدرنا في شهر يوليوز من السنة الفارطة مرسوما ملكيا بمثابة قانون جديد للتنظيم القضائي .

وهكذا اصبحت المملكة تتوفر على ثلاث محاكم استينافية وست عشرة محكمة اقليمية ، وسبع وعشرين محكمة للسدد ، ومائة واحدى وتسعين ملحقة يوجد مقرها بجانب مركز كل جماعة قروية .

كما عالجنا في القانون المذكور قضية تفتيش المحاكم وتنظيم سيرها واتاحة الفرصة لمراقبة نشاطها وانتاجها .

وقد استأثرت باهتمامنا ايضا مشكلة قلة الاطر التي تعانيها وزارة العدل ، نتيجة لما جد في مختلف مرافقها من اصلاحات وتطورات ، فاتخذنا لتعزيز اجهزتها وضمان حسن سيرها عدة تدابير ، منها اصدار تعليماتنا لفسح مجال العمل في هذا القطاع الحيوي للشباب الذي نال تكوينا قانونيا وتثقيفيا .

نشاط وزارة الداخلية

الـدور الفعـال لـوزارة الداخليـة

وقامت وزارتنا في الداخليـة بدور فعـال في الميدانين الاقتصادي والاجتماعي معـا ، فعلاوة على ما تضطلع به من مهمة السهـر على امن المواطنيـن والمحافظة على النظـام ، فقد انطنا بعهدتها بتنسيق اعمال المصالح التقنية وتعبئة الطاقات ، ذلك أن مـن الضروري ان تكون وزارتنا في الداخلية متتبعة للتطور الوطني ، وان تعمل على أن يندمج المواطنون في نظـام اقتصادي واجتماعي لا يستقر على حال لما يطرأ علـى عالمنا اليوم من تبدل سريع وعلى التقنيات بجميـع فروعها من نشوء وارتقاء ولمـا للنمو من متطلبات .

نجـاح تجربـة التنميـة الاجتماعيـة

وقد وجهت وزارتنا في الداخلية جهودها اعتبارا لما سلف ، وجهة اقتصادية ، سعيا منها وراء تمكين المواطنين من وسائل المشاركة في العمـل الذي نحـن بسبيله ، ليتأتى بذلك استعمال الطاقات الموجـودة ابلغ استعمال واجداه ، فبعد النجـاح الـذي حالف التجربة التي باشرناها باقليم بني مـلال على اساس التنمية الجماعية ، اصدرنا تعليماتنا بتطبيـق هـذه التجربة في اقاليم مملكتنا كافة ، فكان مـن نتائجهـا توجيه الفلاحين ، وتحسين الوسائل الزراعية ، وتعميم استعمال الاسمدة ، وبالاضافـة الى ما تم تشييده لفائدة منكوبي الغرب وتافيلالت من دور السكنى يبلغ عددها 300 4 سكن ، فقد انتهت دراسة برنامج واسع النطاق يهم بناء 000 60 مسكن في البادية ، ومن جهة اخرى فان وزارتنا في الداخلية عملت على شن حملـة لاعطاء الجماعة مدلولها الحقيقي ، وعلى انجاز التجهيز الضروري لتحسين مستوى المواطنين في البادية ، وان مما نرتاح اليه شديد الارتياح ان جهـود الهيئـات المنتخبة والسكان واعوان الدولة تآزرت لانجاز هـذا التجهيـز .

التنويه بمجهود القوات الملكية المسلحـة فـي نطـاق التنميـة

ويطيب لنا ، شعبي العزيـز ، ونحن نستعرض مختلف المرافق ، ونرسـم صورة للاعمـال والمنجزات التي بوشرت في مختلف الميادين ، ان نسجـل باعتزاز وافتخار ، استمرار قواتنا المسلحـة الملكيـة في بذل المجهود الذي عهدنا اليها ببذله في اطار التنمية التـي ننشدها ، بفضل ما تتوفر عليه من وسائل وما تواصله من سعي قصد بقائها في مستوى القـوات العصرية ، فان قواتنا المسلحة الملكية تأخذ بنصيبها في المساهمـة ببعث تنمية البلاد ، وتحافظ على الخصال التي أوثرت عنها ، والتي تجعل منها اداة صالحة لمواجهة كل حالة تتطلب تدخلها . ولقد اعدنا النظر في تنظيمها وعنينـا على الخصوص باحداث المدارس ومراكز التكوين لتكون اطاراتها قادرة على الاضطلاع بجميع المهام ذات الصبغة الوطنية ، هذا ولم يخب ظننا فيما توخيناه من فرض الخدمة العسكرية الاجبارية التي يتلقى خلالها شباب يفدون من مختلف الآفاق ، وينالون في مدة من الزمن تكوينا يبث في نفوسهم مبادىء صالحـة ويستفيدون منه عند انتهاء فترة الخدمة العسكرية بما يكتسبونه مـن خبـرة ومعـارف .

تنميـة التجهيـز الصحـي

وفي ميدان الصحة العمومية ، لم تنقطع جهودنا الرامية الى تنمية التجهيز الاساسي ، حرصا منا على تيسير وسائل الوقاية والعلاج للمواطنين في جميـع انحـاء مملكتنـا .

وفي هذا السبيل تم توفير خمسمائة واربعيـن (540) سريرا موزعة على ستة مراكز ، وسيتم قريبا تشييد مستشفيين جديدين احدهما في سوق اربعـاء الغرب ويتوفر على مائة وعشرين (120) سريرا والثاني في الرماني وبـه ثمانون (80) سريـرا .

وقـد وقع فتح ثلاثة مراكـز صحية حضرية وقروية وثلاثة وثلاثين (33) مستوصفا قرويا .

تجديـد المستشفيـات وتكوين الاطبـاء

وفي الوقت نفسه وقـع تجديـد عدد مـن المستشفيات الموجودة ، وزودت بمعـدات للفحـص والعلاج ، كما ادخلت اصلاحـات عصرية على خمسة وتسعين (95) مستوصفا قرويا ، وبذلك اتسع بشكل محسوس نطاق الخدمات الصحية التي تتجلـى فـي التطعيم ، ورعاية الامومة والطفولة ، ومكافحة الامراض المعدية ، والتربية الصحية التي لا مناص منها لتوفيـر السلامة البدنية والعقلية للمواطنين .

هذا فضلا عن العناية الكبرى التي نوليها لتكوين الاطباء المغاربة وتجهيز المركز الجامعي بما هو في حاجة اليه من أدوات وآلات .

اصلاح الوظيفة العمومية

واهتماما منا بشؤون الموظفين ، سواء كانت هذه الشؤون تتعلق باستقرارهم أو بالضمانات التي قررنا ان يتمتعوا بها ، وثقة منا بان اطارات الدولة لن تألو جهدا في الاسهام بالنصيب الوافر من العمل على تحقيق برامجنا الهادفة الى النماء والرخاء ، فقد اصدرنا خلال السنة الماضية سائر النصوص الاساسية المتعلقة باصلاح الوظيفة العمومية ، فأصبحت أطر الدولة على اختلاف درجاتها تتوفر على نظم محكمة روعي في اعدادها تبسيط مسطرة التسيير ، ومحو الفوارق ، وذلك بتوحيد قواعد ترقية الموظفين وسن قوانين متشابهة فيما يرجع لولوج الاسلاك الادارية ونظام الاجور عملا بالقاعدة التي أقررناها في توجيهاتنا الملكية والرامية الى ان يتساوى الموظفون فيما يتقاضونه من مرتبات كلما اتحد أو تجانس مستواهم في التكوين العام وفي الاضطلاع بالمسؤوليات .

عملية ادماج الموظفين

وتنفيذا لهذه النظم والقوانين ، فقد شرعت وزارتنا في الشؤون الادارية في عملية ادماج الموظفين في الاسلاك الجديدة المنبثقة عن الاصلاح ، متعاونة في ذلك مع وزارة المالية ومختلف الوزارات التي يعنيها الامر ، وقد قطعت الى الآن في هذا المضمار مراحل شاسعة ، ولن تنصرم السنة الحالية حتى تكون العملية قد انتهت أو اشرفت على الانتهاء .

نظام جديد للتقاعد

وبجانب هذا فقد وافقنا على مشروع مرسوم ملكي سيسن بمقتضاه نظام جديد للتقاعد والمعاشات، تراعى في أحكامه متطلبات مغربة الوظيفة العمومية ، ويؤخذ فيه بعين الاعتبار واقع البلاد في الميدان الاقتصادي والاجتماعي وضرورة تبسيط المسطرة الجاري بها العمل الآن ، ليتسنى للموظفين ان يحصلوا — دون تأخير و تماطل — على رواتب عند احالتهم على التقاعد تفوق الرواتب التي يكفلها لهم القانون الصادر في عهد الحجر والحماية .

المحافظة على القيم الاسلامية

ان عنايتنا بالمحافظة على القيم الاسلامية وبنشر التعاليم الدينية لاتقل عن اهتمامنا باشاعة الرخاء والازدهار والطمأنينة بين أفراد شعبنا .

ولم تفتأ توجه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لبناء المساجد وتعهدها بالاصلاح والصيانة والتجهيز حتى تبقى بيوت الله عامرة يذكر فيها اسمه ويتلى فيها كتابه العزيز .

احياء التراث الاسلامي

واننا لنتمم هذا العمل بما نأمر به من احياء التراث الاسلامي وطبع المخطوطات النادرة وتنظيم دروس للوعظ والارشاد في جميع انحاء مملكتنا .

وقد اكتسى شهر رمضان المبارك في هذه السنة حلة جليلة في بلادنا تجلت في الدروس الوعظية التي اشرفنا عليها بنفسنا وفي توجيه شعبنا الى ما فيه صلاحه في الدين والدنيا ، ولقد شارك في القاء هذه الدروس الوعظية طائفة من اجلة علمائنا وعلماء بعض الاقطار العربية الشقيقة .

طبع المصحف الشريف والعناية بتشييد المساجد

وقد عنينا خلال السنة المنصرمة بطبع المصحف الشريف ، فصدرت هذه الطبعة في الحلة القشيبة وفق رغبتنا ومبتغانا ، وانجزنا في السنة نفسها بناء 13 مسجدا جديدا واصلاح ما يزيد على مائة مسجد ، واصدرنا أوامرنا لوزارتنا في الاوقاف والشؤون الاسلامية بالشروع في تشييد 21 مسجدا في مختلف مدن مملكتنا وقراها .

عنايتنا واهتمامنا بوسائل الاعلام القائمة على التوعية والتعريف

وقد كان لوسائل الاعلام التي تتوفر عليها بلادنا حظ كبير من اهتمامنا وعنايتنا لما نيط بهذه الوسائل من امل في التوعية والتثقيف ، والتعريف باهدافنا ومنجزاتنا ، فعملنا على توسيع شبكة الارسال عن طريق الاذاعة والتلفزة وتقويتها وعلى الزيادة في ساعات الارسال وتنويع البرامج الموجهة للداخل والخارج ، فأقمنا جهازا بآيت ملول في اقليم اكادير

ليستفيد هذا الاقليم من برامجنا ، كما أننا جادون في بناء مركز بوجدة وءاخر بازيلال قوي الطاقة شديد الفعالية ، ونالت التلغزة من جهتها نصيبا من الاهتمام والرعاية ، ولن يمضي الا وقت يسير حتى تنتظم شبكة التلفزيون جميع مملكتنا .

الشبيبة والرياضة :

العقل السليم في الجسم السليم

ان اهتمامنا بتربية الشبيبة جسميا وعقليا وروحيا ، يتزايد باستمرار ، لعلمنا ان الشبيبة هي اقدر على تحمل المسؤوليات والمشاركة المجدية في المجهود الرامي الى تنمية البلاد ، كلما استقامت اخلاقهم وسلمت اجسامهم واتسعت مداركهم وتفتحت عقولهم .

ولذلك سعينا الى تعميم الثقافة الشعبية والتربية البدنية ، بحيث شملت برامج الدولة في هذا الميدان خلال السنة الماضية اربعمائة وثلاثين الفا من المواطنين من بينهم مائة الف امرأة .

وقد نظمت في السنة الماضية لفائدة الشبيبة عدة رحلات سياحية داخل القطر وخارجه ، واقيمت دورات تدريبية متعددة استفاد منها ثلاثة ءالاف وخمسمائة شاب ، كما قطع الانعاش النسائي خطوات موفقة في القرى والمدن بما نظم من تداريب لصالح المرأة وتثقيفها ومساعدتها على الرقي الاجتماعي ، وشاركت بلادنا في مهرجانات رياضية دولية هامة سواء ما اقيم منها في المغرب او في اقطار اخرى .

اما في ميدان التربية الشعبية ، فقد انتهت السنة الماضية بتنظيم موسم ثقافي حافل استمر اسبوعين كاملين وشمل جميع انحاء مملكتنا .

وقد قررنا احداث المعهد الوطني للشبيبة والرياضة لتكوين الاطر المتخصصة في كل ما يتصل بشؤون الشباب والرياضة والتثقيف الشعبي .

شؤون المقاومة وقدماء المحاربين

الاهتمام بحالة المقاومين وعائلات الشهداء

لقد عني المغرب ملكا وحكومة منذ فجر الاستقلال بقدماء المقاومين ، ولم يدخر وسعا في سبيل اسعاف عائلات الشهداء والمعطوبين ، وضمان حياة هادئة كريمة لغير هؤلاء ممن قاوموا وصابروا وكان لهم حظ مشكور في محاربة الاحتلال لتظفر البلاد بالحرية والاستقلال ، ولقد قطعنا والحمد لله مرحلة التقنين والتنظيم لفائدة قدماء المقاومين ، وعكفت اللجنة الوطنية للمقاومة على درس الملفات واحصاء عدد الذين قاوموا حقا وابلوا البلاء الحسن الذي لا ينكر ، عاملة تارة بقاعدة مملكتنا او متنقلة عبر الاقاليم ، ولا سيما بعد اعلان حالة الاستثناء مستعينة في احصائها وتمحيص الملفات برجال السلطات والادارة العامة للامن الوطني ، فاستطاعت ان تدرس بفضل طريقة التنقل في البحث في اقل من سنتين عددا كبيرا من الوثائق والمستندات فاعدت الملفات ونفذت الاجراءات القانونية ، فنالت طائفة من عائلات الشهداء والمعطوبين المعاشات التي قررتها النصوص القانونية لفائدتهم . وعلاوة على هذا فقد وزعت اعانات نقدية على اسر من استشهدوا وعلى الذين اصيبوا بعطب وعلى المعوزين وذوي الفاقة من قدماء المقاومين خلال السنة المنصرمة ، والعمل موصول لبذل معاشات اخرى واعانات نقدية وتوظيف من لم يظفر لحد الان بمنصب اداري عملا بالنصوص التي اصدرناها وايجاد العمل في مرافق شتى لطائفة كبيرة من قدماء المقاومين والمحاربين ، ومن جهة اخرى فان وزارتنا في الخارجية على اتصال بالدولتين الفرنسية والاسبانية حتى يظفر قدماء المحاربين بما لهم من حقوق قبل هاتين الدولتين .

الفلاحة :

استمرار العناية والاهتمام بالقطاع الفلاحي والاصلاح الزراعي

شعبي العزيز :

ان الميادين التي اطلعناك على ما انجزناه فيها متأثرة ومؤثرة في قطاع نوليه من عنايتنا ومن اهتمامنا باستمرار واتصال ، الحظ الاوفى والنصيب الاوفر ، ولن تنقطع هذه العناية ولن يفتر هذا الاهتمام لايماننا بانه القطاع الذي يتحكم في الازدهار الذي نريده لبلادنا، فاذا رأيت الجانب الكبير من جهودنا مصروفا لشؤون الفلاحة التي تحتل الصدارة من بين الاسبقيات التي حددناها ، فما ذلك الا لاننا نعتقد اعتقادا راسخا ان الفلاحة ونموها وما يستتبعه هذا النمو من غزارة في الموارد ، كل هذا يتقيد به ويرتهن باتساع نطاق الصناعة والسياحة والاشغال العمومية والمواصلات

والتشغيل ، كما يخضع له ولازدهاره متطلبات التنمية الاجتماعية كنشر التعليم وتعزيز جانب القضاء ومضاعفة وسائل الوقاية والعلاج وتثبيت الاستقرار الذي تتفيأ ظلاله جميع انحاء مملكتنا . فمنذ ذلك الوقت الذي اناط الله فيه بعهدتنا مقاليد امورك والفلاحة وما يرتبط بها من شؤون ، شغلنا الشاغل ، وكدنا الشامل ، توالي التعليمات ، وتلاحق التوجيهات، ونسهر على ان ينفذ ما نصدره من اوامر ، ونسنه من تشريع ، تحقيقا لرغبتنا في حث السير واسراع الخطى في هذا المضمار حتى يتوفر لدينا من الانتاج والموارد ما يكفل تنشيط الميادين الاخرى وتوسيع رقعة العمل فيها .

اهتمامنا بما يتصل بالاراضي واستثمارها

وان استعراضا وجيزا للاعمال التي بوشرت تنفيذا لتوجيهاتنا ، وتطبيقا لتعليماتنا ، لخليق بان يدل دلالة واضحة على مدى اهتمامنا بكل ما يتصل بالاراضي الزراعية واستثمارها ، فقد تضمنت توجيهاتنا الملكية الصادرة في ربيع 1965 فصلا خاصا بالاصلاح الزراعي ، لم يمر الا زمن يسير حتى اصدرنا النصوص التشريعية القاضية بتنظيمه وتحديد الوجوه التي اردناها لتطبيقه ، فوزعنا الاراضي توزيعا اخضعناه لهذه النصوص ، وواصلنا اعمال الاستثمار وربطنا سيره بسير بناء السدود التي عزمنا على اقامتها في مختلف اطراف المملكة ، كما واصلنا عملية التسميد وتوزيع الزريعة المختارة ومباشرة زراعات جديدة سعيا منا في استدرار الريع على الفلاح وتمكين الصناعة من الاستفادة من هذه الزراعات ، وانقطعنا لحماية التربة من الضياع والانهيار ، فغرسنا الاشجار وانصبت جهودنا على التنمية فنالت الحظ الكبير من عنايتنا الدائبة الموصولة ، واهبنا بالفلاحين بعد التوعية والارشاد ان يتعاونوا على الحرث حتى تشمل الزراعة مساحات اوسع ، ولم نقتصر على هذا ، وانما امعنا النظر في السلف الفلاحي وما يجب ان يضطلع به من دور ، فعملنا على تسهيل بذله وتقريب الحصول عليه والتكثير من مصادره .

فبالاضافة الى ما رسمناه لسياستنا الفلاحية من اهداف تقوم في جوهرها على سد حاجات السكان من الموارد الغذائية ، وتيسير المواد الاولية لصناعات التحويل الوطنية ، والاسهام في تحسين ميزان تجارتنا الخارجية وذلك بالزيادة في حجم صادراتنا الفلاحية لصرف ما تدره هذه الصادرات من عملة صعبة في سبيل اقتناء وسائل التجهيز ، وبالاضافة الى ما نتوخاه من توسيع نطاق الميدان الاجتماعي ، فاننا نرمي من وراء سقي مليون هكتار بفضل السدود التي قررنا تشييدها بحول الله ، وبفضل ما سنتوفر عليه ان شاء الله من غزير الانتاج ، الى المشاركة ولو بحظ يسير في مكافحة الجوع الذي اصبح شبحه يخيم على الافكار ويهدد الانسانية باوخم العواقب .

جهود من اجل الفلاحين لتحسين انتاجهم وتسويق غلاتهم وتكوين ميثاق فلاحي

واليوم وقد قطعنا اشواطا بعيدة بما بذلناه للفلاحين من مساعدات ، وقمنا به لفائدتهم من مبادرات ليتمكنوا من تحسين انتاجهم وتسويق غلات اراضيهم والاستفادة من ريع مجهوداتهم ، واصبحنا مقبلين على انجاز مخطط خماسي لتنمية اقتصادنا تحتل فيه الفلاحة المقام الاول ، فقد صح عزمنا على ان تشترك جهود المواطنين بما فيهم الفلاحون على عمل يهدف الى تكثير الموارد بالاستثمار والاصلاح الزراعي ، وان يكون بين الفلاحين وبين غيرهم من افراد المجموعة الوطنية ميثاق يحدد الواجبات المفروضة والحقوق المخولة ، وستكون مصالح الدولة المختصة ، اداة للامة ، تنفذ التزاماتها ، وتسهر على حقوقها . اما الميثاق ، فانه سيتالف منه كل متراص البنيان ، متكامل الاحكام ، ترتبط فيه الالتزامات بعضها ببعض ، بحيث لايطالب الفلاح بما يفوق امكانياته الخاصة ، الا بمقدار ما تكون الامة قد قدمت له من عون ، وامدته به من مساعدة . فاذا تقاعس الفلاح عن العمل ، واخل بما عليه من واجبات ، اصبحت الامة في حل مما التزمت به ، وامكنها عند الاقتضاء ، ان تقوم بما تراه ضروريا لضمان المصلحة العامة ، وسيكون هذا الميثاق الفلاحي اطارا قانونيا ، تطبق بنوده على سبيل التدريج ، وتختلف احكامه باختلاف المناطق ، وتلتزم الامة بصفة عامة ، حسبما لديها من وسائل ، وفي حدود ما تتوفر عليه من امكانيات ، بان تضع رهن ارشارة الفلاحين مصالح الارشاد والاستثمار ، وتمدهم بالقروض ، وتقوم بما ينوبها من تجهيز ، وتعمل على تنمية البحث الزراعي بمختلف فروعه . اما الفلاح فيلتزم من جهته ، بان يسخر امكانياته الخاصة ، وما يناله من مساعدات لاستغلال ارضه على احسن وجه ، وذلك بان ينجز في الوقت الملائم ، الاعمال الفلاحية

الضرورية لتنتج الارض اقصى ما يمكن ان تنتجه حسب نوع تربتها ودرجة جودتها .

ولكن اذا كانت هذه الالتزامات كافية فيما يرجع للاراضي البور فان مناطق السقي تستلزم من المجموعة الوطنية ، ومن فلاحيها ، مجهودا اكبر ، وتفرض عليهم واجبات أعظم واوفر ، ذلك ان الامة قد صرفت وستصرف من اجل تنميتها مبالغ مالية ضخمة ، يتعين استثمارها افضل استثمار ، لتعود بالنفع العميم على مجموع الاقتصاد الوطني . وعلى هذا ، فستقوم الامة في هذه المناطق بانجاز التجهيز الخارجي من تشييد السدود ، ومد القنوات الرئيسية لتصل المياه الى رأس كل ضيعة وحقل ، ويستلزم هذا توزيع الاراضي بغية انشاء وحدات انتاجية قابلة للاستثمار المنظم ، وسن القوانين لضمان الاستقرار والاستمرار في استغلال الارض والحيلولة دون تفتيت الملكية الزراعية تفتيتا يتعذر معه استثمار القطع الصغيرة بصفة مجدية .

وفي مقابل هذه الجهود ، يجب على الفلاحين ان يقوموا في المناطق المذكورة بالتجهيز الداخلي لاراضيهم ، ويباشروا استثمارها حسب التوجيهات التي ستبذلها المصالح الفلاحية المختصة ، سواء فيما يرجع الى استعمال الماء او فيما يتعلق بنوع المزروعات وطريقة تناوبها . وستحرص الادارة اشد الحرص على أن يفي الفلاحون بالتزاماتهم ، كما انها ستتخذ الاجراءات المناسبة ان صدر اخلال أو تهاون ، فاذا تخلف فلاح من انجاز ما تتطلبه ارضه من تجهيز داخلي ، انجز هذا التجهيز على حساب الفرد الذي لم يباشره بنفسه ، واذا لم تطبق التوجيهات والارشادات المتعلقة باستثمار الاراضي ، فان بالامكان بعد الانذار والاعذار ، ان يتخذ من التدابير الصارمة ما يمكن أن يؤول الى نزع ملكية ارض الفلاح المتهاون ، بيد ان رعاية الملكية الخاصة ، وضمان الحقوق ، يقتضي أن يكون نزع الملكية عند الاقتضاء مقرونا بمنح مقابل عادل تتخذه لجنة محلية تتالف من ممثلين للوزارات المختصة ، ومن ممثلين للفلاحين ، وتستانف احكام هذه اللجنة لدى هيئة مركزية يشارك في اعمالها زيادة على الوزارات المعنية بالامر عضو من ديواننا الملكي وممثل لوزيرنا الاول .

هذا وان سقي الاراضي سينشأ عنه ارتفاع في قيمة الهكتارات ، بفضل توظيفات الدولة ومنجزاتها ، فطبيعي أن تسترد الامة جزءا من المبالغ المصروفة في هذا المضمار عن طريق الضرائب التي ستزداد كلما ازداد الانتاج وارتفع الدخل الفلاحي ، ومن طريق استرجاع قسط من فائض القيمة واعادة النظر في ثمن الماء .

تكوين جماعة مهنية

وغني عن البيان ان ميثاق كهذا يتطلب تطبيقه ان ينتظم الفلاحون في جماعات مهنية تعي المسائل الموضوعة وتعمل على حلها مع المصالح المختصة ، وان تتضافر جهود المسؤولين بوزارات الفلاحة والاصلاح الزراعي والداخلية والتجارة والصناعة والاشغال العمومية لانجاز تعهدات الامة لصالح الفلاحة في جميع انحاء مملكتنا . ولن يكون لهذا الميثاق المفعول المرتقب والمفية المرجوة ، الا اذا كنا جميعا مومنين بأن الغاية من الالتزام به هو اشاعة الرخاء الذي ننشده والرقي الذي نرومه ونقصده ، وليس بعزيز على هممنا التي تغلبت على كثير من الصعاب ان تكسب المعركة في هذا المجال .

التخطيط الخماسي

شعبي العزيز :

لم يمض على استرجاعنا للاستقلال وحرية التصرف المطلق في شؤوننا الا مدة جد وجيزة ، حتى كان التخطيط الاقتصادي والاجتماعي سبيلا من السبل التي سلكناها لتحقيق جملة من الاعمال والمنجزات ، ونتج عن تنفيذنا لمخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية تجربة وتقدم لا مراء فيهما ، حتى أن القسط الذي نصرفه من مواردنا للاستثمار لا للاستهلاك قد تزايد بصفة منتظمة ، فقد انفقنا من دخلنا الوطني في سنة 1967 ما يربو على 13 في المائة ، في حين أننا لم ننفق منه في سنة 1960 الا احد عشر في المائة ، واذا كان هذا التقدم يبدو بطيئا ، فليس بالامكان أن يؤمل اللحاق في هذا المضمار بالبلاد ذات الاطر الكافية والثراء العريض التي تصرف في سبيل الاستثمار حظا من دخلها اوفر واجزل .

الاسبقية للفلاحة في التصميم الخماسي

لقد تجلى مجهودنا بصفة خاصة في مجال الفلاحة التي ءاثرناها بالاسبقية الاولى من بين اسبقيات

التخطيط ، فاذا نحن احصينا ما انفقناه لفائدة الفلاحة في الحقبة الفاصلة بين سنة 1965 وسنة 1967 تبين لنا ان مبلغ هذا الانفاق يساوي ستين مليارا من الفرنكات ، سواء تعلق الامر ببناء السدود وصيانة التربة او بتحسين الزراعة في الاراضي البور وتربية الماشية ، وقد كلفتنا السدود وحدها صرف ستة وعشرين (26) مليارا ، واستلزم احياء الاراضي وحمايتها بالتشجير على وجه الخصوص بذل عشرة ملايير ، وتجدر الاشارة هنا الى ان الانعاش الوطني الذي رسمناه كخطة للانماء والتشغيل منذ شهر يوليوز سنة 1961 كان عاملا على تيسير توظيف هذه الاموال في الفلاحة ، فقد ساعد الانعاش الوطني على نمو البلاد سواء فيما يرجع الى السقي وغرس الاشجار وصيانة التربة أو احياء الاراضي واقتلاع الاحجار ومد الطرق والمسالك ، وان بعض الارقام لتعبر عن مدى هذه المساعدة ابلغ تعبير ، فقد بلغت أيام التشغيل طيلة المخطط الثلاثي زهاء اربعة وخمسين مليونا من الايام ، وادت الخزينة مقابلها اثنى عشر مليارا ، واستطاع الانعاش الوطني في سنة 1967 وحدها تشغيل مائة الف شخص مدة مائتي يوم ولم يساعد الانعاش الوطني على النمو الاقتصادي مساعدة فعالة فحسب ، وانما اتاح حل مشكلة قلة التشغيل ولو بصفة جزئية .

السياحة وتكوين الاطارات في المخطط الثلاثي

والى جانب الفلاحة فان المخطط الثلاثي كان قائما على اسبقيتين اخريين وهما تنمية السياحة وتكوين الاطارات ، ولم يكن من السهل الحصول في هذين الميدانين في ظرف ثلاث سنوات على نتائج باهرة ومع هذا فقد ارتفع عدد الوافدين من السياح بوجه يدعو الى التفاؤل وادى هذا الارتفاع الى فتح مجالات جديدة للعمل وتوفير للعملة الصعبة الصالحة لتجهيز البلاد ، اما تكوين الاطارات فقد اسفر عن نتائج يسرت الاسراع بمغربة الوظائف ، واتاحت لنمو البلاد ان يقوم على دعائم وطنية . هذا وان الاطارات التي سيتوفر عليها المغرب في المستقبل القريب ، ستكون اكثر عددا بفضل ما نوليه للتعليم من عناية كبيرة ، وستكون مستجيبة لجميع متطلباتنا ، كفيلة بسد حاجاتنا ؛ ذلك أن الاطفال الذين يختلفون الى المدارس الابتدائية يساوي عددهم مليونا ومائتين وخمسين الفا ، وان تلاميذ المدارس الثانوية يبلغون مائة واربعين الف تلميذ ، وهؤلاء جميعهم هم اطارات المستقبل وعمدة المغرب غدا .

واذا كان المخطط الثلاثي جعل الفلاحة في طليعة الاسبقيات ، فانه لم يهمل الصناعة ولم يغفل عن نموها . الا ان هذا القدر الضخم من الاستثمارات في الفلاحة والسياحة والصناعة وتكوين الاطارات لم يكن بالامر الميسور لولا الجهود التي بذلتها الامة ، ولئن استفاد المغرب من مساعدات خارجية ، فان جملة صالحة من تجهيزاته ادى كل مواطن ثمنها بما بذله من جهد في سبيل الادخار . ولن يفوتنا في هذا المقام ان نلفت النظر الى ان بقاء ثمن السكر في المستوى الذي حددناه كان له الاثر الحاسم ، وان قبولك ـ شعبي العزيز ـ لما اتخذناه من تدبير في هذا الشان ، مثال رائع من امثلة التضحية التي يتحملها كل بلد واع لحاجاته ومدرك لغاياته يؤثر البذل والسخاء بغية الرقي والنماء ، وهكذا فقد تحقق في السنوات الاخيرة تقدم لا ينكر وان كانت معالمه تكاد تكون محجوبة عن العيان ، لان الاستثمار في الفلاحة وتكوين الرجال بوجه خاص ، لا يؤتي على الفور ثماره ، بل لا تبرز نتائجه الا بعد مرور حقبة من الزمن ، وانه ليتعين علينا ان لا ننسى هنا الازدياد المطرد في عدد سكان مملكتنا بمعدل اربعمائة واربعين الف مولود كل سنة وهو عدد يقتضينا أن نواجه ما يلزمه من تغذية وتربية وعلاج وتشغيل .

علينا مضاعفة الجهود

ومهما يكن من امر ، فان علينا أن نواصل في المستقبل جهودنا ، بل علينا أن نضاعفها حرصا على التحرر من التخلف ، ورغبة في الانطلاق نحو التنمية الاقتصادية ، وهذا التحرر وهذا الانطلاق هما الهدفان اللذان يرمي اليهما المخطط الخماسي . وسيكون هذا المخطط الذي يتضمن الاسبقيات التي حددناها في المخطط الثلاثي اطارا لعملنا بعون الله الى غاية سنة 1972 ، فاذا كنا نرغب حقا في ان يوازي ارتفاع انتاجنا الفلاحي ازدياد عدد سكان بلادنا،فان من آكد الواجبات علينا ان نضاعف الجهود في مجال التنمية الفلاحية . الا ان الفلاحة التقليدية التي تعتمد على انتاج الحبوب وحدها ، لا يمكنها ان تضطلع بسد حاجاتنا ، ولذا فانه يتحتم علينا أن نستبدل بعض الاساليب وبعض الزراعات بغيرها ، وان نواصل في نطاق واسع بناء

السدود قصد استثمار الاراضي القابلة للسقي البالغة مساحتها مليون هكتار . واذا نحن قابلنا بين انتاج الاراضي المسقية وانتاج الاراضي البور ، فان الفرق بين الانتاجين كبير ، كما ان الفرق بين قيمة المنتوجات في هذا القطاع وذلك بين شاسع . فنحن لا نستغل من اجل السقي الا مليارين اثنين بالامتار المكعبة من المياه الغزيرة التي تروي اراضينا والتي تبلغ كميتها مائة وعشرة ملايير متر مكعب . ومن جهة اخرى فاننا لم نستقص بعد المواقع العديدة التي يمكن ان تقام فيها السدود . فسياسة بناء السدود على صعيد واسع ، اذا كان سلوكها امرا مرغوبا فيه من الوجهة الاقتصادية ، فانها سياسة لا يحول دون انتاجها اي حائل فني . وهذا ما دعانا الى تخصيص ملايير عديدة لبناء السدود في السنوات الخمس المقبلة في نطاق المخطط الخماسي ، وسيتطلب منا تنفيذ هذا المخطط مضاعفة الجهود سواء فيما يرجع الى السياحة او الى تكوين الاطارات ، وسيكون على الدولة في مجال السياحة زيادة على اعداد وسائل الايواء ، ان تبذل للمستثمرين المساعدات والمنافع ، وان تهيء المناطق السياحية لتشجيعهم على توظيف رؤوس اموالهم اكثر من ذي قبل في هذا القطاع ، لتتوفر لدينا الاسباب الكفيلة بتقوية امكانياتنا في هذا المضمار ، وترغيب العدد الوفير من عشاق السياحة في الرحلة الى بلدنا .

وسنسلك في تكوين الاطر السبل التي تفرضها علينا الحاجيات المتوقعة لاقتصادنا ، فعلى شبابنا ان يوجهوا النصيب الاوفر من عنايتهم الى اقتناء العلوم واكتساب المعارف التقنية لتحقق الاهداف الثمينة المطلوبة .

عناية المخطط الخماسي بالصناعة

والى جانب الفلاحة والسياحة وتكوين الاطر فان المخطط الخماسي يعنى بالصناعة ، سواء منها الصناعة العصرية او الصناعة التقليدية ، كما يعنى بالمعادن والصناعة المعدنية ، وبرنامجنا الصناعي يعتمد على تحويل المنتوجات الفلاحية ، مثلما يعتمد على الصناعات التي يمكن للمغرب أن ينال بفضلها مكانا في السوق الدولية بسبب مناخه وموارده الطبيعية وكثرة اليد العاملة فيه .

وبالتعمير والسكنى في البادية

ولقد اهتم المخطط الخماسي اهتماما لا يخلو من طرافة بالتعمير والسكنى في البادية ، فنص على برنامج للبناء واسع النطاق ، اذ ما دامت الفلاحة تكون اسبقية الاسبقيات في بلادنا ، فان علينا أن ناخذ بعين الاعتبار هذا الامر في سياستنا الاعمارية حتى نكفل لليد العاملة التي ستدعى الى العمل بما قررناه من استثمارات هامة في الفلاحة الاستقرار في مواطن الانتاج .

وتحقيق مختلف الاستثمارات

وقد ضمنا المخطط الخماسي على وجه الاسبقية المشاريع التي تهم التجهيز الاساسي الضروري لتحقيق الاستثمارات الفلاحية والصناعية والسياحية ، اذ لابد للصناعة مثلا من شبكة للطرق تؤدي اليها وتنطلق منها وتساعد على نقل المنتجات . وفضلا عما للتوظيفات الخاصة بالتجهيز الاساسي من ارتباط بتحقيق وانجاز مشاريع تهم قطاعات اخرى ، فان اهم ما سنهتم به من اعمال في هذا المجال ، هو تحسين وصيانة وتعهد الشبكة التي تتوفر عليها بلادنا .

بيد انه لايكفي ان يتضمن مخطط من المخططات قائمة مشاريع التوظيف والاستثمار ، ولو كان اختيار هذه المشاريع اختيارا يتصف بالاحكام والدقة ، بل يجب ان تزاح عن طريق الاستثمارات كل عقبة يمكن ان تقف في وجه تحقيقها وتزال كل عرقلة لسيرها بعد الانجاز ، ولذا فان مخططنا الخماسي يتعرض للتعديلات والاصلاحات التي يجب ان تتناول الاطار القانوني حتى يمكن لهذا الاطار أن يكون عاملا من عوامل الحفز والترغيب في النمو الاقتصادي ، على انه لا فائدة من وراء تعديل القوانين واحكام وضعها اذا لم تكن البلاد متوفرة على الادارة الفعالة المنوط بها امر تطبيق هذه القوانين . ولئن كان من شان الاصلاحات التي ادخلناها على جهازنا الاداري ان يمهد السبيل للاعمال المنتظرة ، فان اصلاحات اخرى كتحقيق اللامركزية وتبسيط المسطرات تبسيطا لايخل باحتراز الدولة واحتراسها امر يتعين علينا ان نباشره حتى نقرب الادارة من المواطنين ونفضي الى تقوية انتاج مرافقنا الادارية .

فنجاح مخططنا الخماسي مرهون بتحقيق استثمارات وقع الاختيار عليها باعتبار الفائدة المرجوة منها للبلاد ، ومراعاة ما يتطلبه النمو من تقديم ما هو اهم واجدى .

الاعتماد على النفس وعلى مساعدة الاصدقاء

بيـــد ان انجاز ما نعتزم انجازه يتطلب صرف اموال طائلة سنقترض قسطا منها من البلاد الصديقة والمؤسسات الدولية ، ولا غنى لنا بعد هذا عن الاعتماد على انفسنا لتمويل ما يجب تمويله وبذل مجهود داخلي لتقتنع البلاد الصديقة والمؤسسات الدوليـة باننـا قادرون على تمويل الشطر المهم من مشاريعنا ، وسنلجأ الى مختلف وجوه الادخار الوطني والى العمـل لتدرك الغاية ونظفر بالمرام . فاذا نحن افرغنا قصارى جهودنا - وهذا شرط اساسي - فان بلوغ الاهداف التـي سطرناها في المخطط الخماسي سيؤدي الى معـدل ارتفاع سنوي في الانتاج الوطني تتجاوز نسبته بقليـل اربعة في المائة والى ارتفاع سنوي يتجاوز خمسة فـي المائة ابتدا من سنة 1973 ، وعندما تؤتي الاستثمارات الفلاحية جميع نتائجها ، فان ازدياد انتاجنا سيـوازي او يفـوق ازدياد السكـان .

تصميمنـــا على بلـــوغ المقاصـــد

وبفضل التجربة التي اكتسبناها مـن تنفيـذ المخططات السابقة ، وبفضل ما لنا من تصميم على بلوغ مقاصد مخططنا الخماسي ، فاننا سنسير بعون الله في الطريق الواضح ، والنهـج الســوي ، نحـو هدفنـا الاسمـى ، وغايتنـا المثلـى .

وسنعرض فصول المخطط الخماسي الجديد في الايام المقبلة على المجلس الاعلى للانعـاش الوطنـي والتخطيط قصد دراسته وابداء الراي فيه ، حتى اذا انتهت هذه الدراسة ، واعـرب اعضاء المجلس عـن آرائهم في مضمونه ، استأنفنا النظـر فيه واصدرنا قرارنـا بشانـه .

الشـــؤون الخارجيـــة :

مـا كـــان المغـــرب غـائبـا

شعبـي العزيـز :

تلك هي الجهـود التي صرفناها في الميـدان الداخلي ،وتلك هي الخطوط التي رسمناها للاعمـال التي تتجه همتنا لتحقيقها في المستقبل ، وقد استأثرت الشؤون الدولية الى جانب هذا بحظ كبيـر مـن اهتمامنا ، وما كان المغرب يوما من الايام غائبا ولا خاملا في هذا المجال ، بل كان وما يزال دائب الحركة ، حاضرا حضورا بارزا باسهامه ومبادراتـه ، فحفلت السنـة الماضية كسابقاتها بحضور المغرب ومشاركته في مجهود المنظمات الدولية والاقليمية ، وتمتين علاقاته بمختلف الامم والشعوب ، على اساس المساواة والاحترام والود والتعاون في الوجوه الاقتصادية والثقافية والفنيـة ، وكان لبلادنا النصيب الوافر في الدفـاع عن القيـم الانسانية المثلى ، بدعم السلام والامن في العالم ، وتقريب الشقة بين الدول الضاربة بسهم كبيـر في التقـدم الصناعي والدول السائرة في طريق النمو ، وبمحاربـة الميز العنصري واستنكار البغي والعدوان ، وبمناصرة الشعوب المهضومة الجانب والسعي لتصفية الاستعمار والاخذ بمبدأ التعايش الدولي في نطاق العدالة والكرامة

المؤازرة والتاييـد لشقيقاتنا العربيـات

لقد عرفت منطقة الشرق الاوسط خلال السنة الماضية ازمة حادة أفضت الى تلك النكبة التي حلت بالاقطار العربية عقب العدوان الصهيوني ، والتي مازال جرحها لم يندمل وآثارها قائمة لم تضمحل ، ولم تكد تنشب هذه الازمة حتى بادرت بلادنا الى اتخاذ موقف المؤازرة والتاييد لشقيقتها العربيـات ، مدفوعـة الى ذلك بدافع اواصر القربى ، وواجب التضامن ، ونصرة الحق والعدالة والقوانين المتواضع عليها بين الدول .

اقتراحنا لعقد مؤتمـر مستعجل للقمـة

لمواجهـة الحـالـــة

واقترحنا في شهر ماي قبل العدوان عقد مؤتمر مستعجل في مستوى الملـوك والرؤساء او مستـوى رؤساء الحكومات العربية لدراسة الحالة وتوحيـد الخطة والاتجاه ، وبمجرد ما شن الصهاينة عدوانهم الاثيم سارعنا الى تأكيد تضامننا مع الاقطار العربيـة الشقيقة ، وعززنا التعبير عن هذا التضامن بارسـال وحدات من قواتنا المسلحة الملكية للمشاركة في خـوض المعركة ، فلما اعلن وقف القتال لم نتوان في مواساة ضحايا العدوان ، فارسلنا الادوية والاغطية ومواد التغذيـة وغيرها ، ووجهنا الى شعبنا نداء للمساهمة في الاكتتاب ببذل المال واظهار الاريحية والسخاء لفائدة الضحايا ، فاستجاب شعبنا لندائنا بما فطر عليه وجبل في كـل كارثـة وخطب من نجدة واسعـاف .

عملنا في الميدان الديبلوماسي

وكان عملنا في المجال الديبلوماسي والحقل الدولي موسوما بسمة الداب والكد ، فطالبنا سواء في الدورة الاستثنائية أو الدورة العادية لمنظمة الامم المتحدة باعادة الحقوق المغتصبة الى اهلها وادانة المعتدين وانسحابهم دون قيد ولا شرط من المناطق العربية التي احتلوها استلابا وانتهابا ، وجلائهم عن ارض القدس الشريف التي انتهكوا حرماتها وعاثوا فسادا في رحابها .

حضور المغرب الدائم

ولم يتأخر المغرب عن المشاركة في اجتماعات وزراء الخارجية العرب المنعقدة بالقطرين الشقيقين الكويت والسودان ، وفي مؤتمر الاقتصاد المنعقد ببغداد ، وأوفدنا وزيرنا الاول لينوب عنا في مؤتمر القمة العربي الرابع المنعقد بالخرطوم ، كما شارك المغرب في اجتماع وزراء الاعلام المنعقد بمدينة بنزرت من القطر التونسي الشقيق .

الدعوة الى مؤتمر قمة خماسي

وحرصا منا على دراسة تطورات الازمة ، وخاصة بعد صدور قرار مجلس الامن الاخير ، دعونا الى عقد مؤتمر خامس بالرباط للملوك والرؤساء قصد تحديد موقف يهدف الى تحقيق انسحاب المعتدين من الاراضي العربية .

مساهمة المغرب في النشاط الدولي

وساهم المغرب في اعمال المنظمات العالمية وحضر جميع المؤتمرات والاجتماعات الدولية الهامة ، وكان دور المغرب ملحوظا في منظمة الامم المتحدة خلال دورتها الطارئة أو دوراتها العادية التي انتهت في شهر دجنبر الاخير ، كما ساهم المغرب في جميع اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية وفي ضمنها مؤتمر القمة الافريقي الرابع الذي اجتمع بكينشاسا والمؤتمر الاخير الذي انعقد باديس ابابا ، كما شارك في نطاق المغرب العربي مشاركة تجلت في اعمال المؤتمر الثاني لوزراء التعليم والمؤتمر الطبي ولجنة النقل الجوي .

صداقتنا مع الجميع

والى جانب هذه الاجتماعات والمؤتمرات ، عملنا على تمتين الروابط الاقتصادية والتجارية والفنية والثقافية بين بلادنا وبين شتى اقطار العالم ، والى توسيع مجالات الاستفادة من مساعدة الهيئات الدولية المتخصصة في شؤون المالية والاقتصاد .

السعي لاسترجاع حقوقنا في نطاق التفاوض والاقناع

وقد سعينا تحقيقا لاسترجاع حقوقنا بشأن الاراضي التي سلبناها ، سعيا يتفق والخطة التي التزمناها ، والسبل التي رسمناها .

فاذا كنا ما زلنا متمسكين بمطالبنا ، حريصين على استعادة ما اقتطع من ترابنا ، فاننا اليوم كدابنا بالامس ، مستعدون في اطار ما اتخذته منظمة الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية من مواقف وقرارات ، للتباحث والتفاوض وموالاة الاتصال لاقناع اشقائنا واصدقائنا بمشروعية هذه المطالب .

على اننا واصلنا خلال السنة الماضية ، المساعي لحمل صديقتنا الدولة الاسبانية التي تربطنا بها روابط الجوار والمودة القديمة ، على وضع القرار الذي اتخذته منظمة الامم المتحدة في شأن ايفني والساقية الحمراء ووادي الذهب موضع التطبيق والتنفيذ ، واننا لنأمل ان تسفر جهودنا المتوالية عن النتائج المطلوبة التي لن تزيد روابط الاخاء واواصر الجوار والصداقة الا قوة ومتانة .

استقبال شخصيات سامية

هذا وقد استقبلنا شخصيات سامية وفدت على مملكتنا من مختلف الاقطار الشقيقة والصديقة وفي مقدمتها جلالة اخينا الملك حسين عاهل المملكة الاردنية الهاشمية ، وفخامة الرئيس حماني الديوري رئيس جمهورية النيجر ، ونائب مستشار الجمهورية الالمانية الفدرالية ووزير خارجيتها السيد ويلي براندت ، والسيد محمود رياض وزير خارجية شقيقتنا الجمهورية العربية المتحدة ، واتاحت فرصة اللقاء بهذه الشخصيات كلها المباحثة معهم في شؤون مختلفة منها ما يشغل الراي العام الدولي ويستأثر باهتمامه

وانتباهه ، ومنها ما يتصل بالعلاقات الودية وروابط التعاون بين بلادنا وبلادهم ، ومنها ما يهم الاقطار العربية بصفة خاصة .

شعبي العزيز :

ان ما عرضناه عليك والقيناه على مسامعك لم يكن بالعرض الذي يفيد الاستقصاء ، ولا بالبيان الذي يقتضي الحصر ، وانما قصدنا الى الاجمال من غير اسهاب ، والى الالمام دون اطناب ، لتقف على اهم ما بذلناه من جهود خلال السنة المنصرمة ، وتطلع على اكثر ما اعددناه من مشاريع مردودا وريعا وعائدة ونفعا ، ولئن تبين لك مما عرضناه وبسطناه ، ان هذه الاعمال وهذه المشاريع ، هي ذات اهمية عظمى وشأن اي شان فى تطور البلاد ونهضتها ، ورقي المجتمع ورفع مستواه ، فان تحقق ما بقي علينا تحقيقه وانجازه وتطبيقه يتطلب منا المزيد من العمل والكد وتجنيد العزائم ، وتعبئة الهمم ، واستنفار المواهب والكفايات والصلاحيات ، ليتم لنا ما نريد ونبتغيه لجيلنا وللاجيال الآتية من بعدنا ، من ضمان حياة اسعد وافضل . على انه لن يتأتى المراد من اعمالنا ومشاريعنا ، ولن نبلغ القصد من مساعينا ، ولن تضمن تلك الحياة المنشودة حاضرا ومستقبلا ، الا اذا كان تجنيد عزائمنا ، وتعبئة هممنا ، واستنفار مواهبنا وكفاياتنا ، مصحوبا بادراك وشعور ، ووعي لما يسترعي اهتمام العالم المتمدن من مشاكل ، ويستوجب من ابتكار للحلول ، واستنباط لوسائل معالجة المعضلات. وعلى الرغم مما تمتاز به بلادنا من خصائص ومميزات ، وما تنفرد به من بعض الوجوه من سمات وصفات ، فاننا بحكم صلتنا الوثيقة بهذا العالم المتمدن ، وبحكم كوننا جزءا لا ينفصل عنه ، لامناص لنا من مشاطرته اهتمامه ، ولا محيد لنا عن استيعاب ما يستخلصه من نتائج ، ويفضي اليه من حلول ، ويظفر به من فوائد . ذلك ان تطور بلادنا ومسايرتها لموكب الحضارة الذي لا يتردد ولا يقف ولا يني ، ومجاراتها للاقطار التي تغذ السير فى مضمار النمو والازدهار ، كل هذا موقوف على ما لنا من استعداد للاخذ والاستمداد ، وقابلية للاستفادة والانتفاع .

تسخير المواهب وتجنيد الطاقات

وبالاضافة الى هذا كله ، فلن نبلغ المرتقى المأمول ولن ندرك الشأو المطلوب ، الا اذا كان تسخير مواهبنا وتجنيد طاقاتنا وكفاياتنا ، وانتفاعنا مما يخطوه العالم المتحضر من خطوات سريعة فى مضمار الاكتشاف العلمي والابتكار والاختراع ، مقرونا بالشعور بأن السير فى طريق النمو يلقي علينا أثقل التبعات ، ويفرض علينا أعظم المسؤوليات ، ويوجب علينا احترام كثير من الالتزامات ، فلا يمكن ان نتوقع نجاحا لاعمالنا ، ونأمل فوزا بامانينا الشاملة لميادين مختلفة ، وتحقيقا لمطامحنا التي تنتظم مجالات الاقتصاد والاجتماع ، الا اذا كنا جميعا مؤمنين بجدوى ما نقدم عليه من اعمال ، ونقبل عليه من انجاز ، ايمانا صادقا لا يعتريه على توالي الايام فتور ولا نقصان ، وكان بيننا من التضافر والتضامن والتآزر والتعاون ما يؤمن الجهود المبذولة ، والكفايات المعبأة ، والمواهب المجندة ، التناسق والانسجام ، والتكافل والوئام ، والافضاء فى نهاية المطاف الى الغاية المتوخاة ، والغرض المقصود الذي هو الانطلاق من التخلف الى النماء ، والتدرج من العوز الى الرخاء ، والارتقاء من ازدهار محدود محصور الى ازدهار شامل موفور .

نسأل الله ان يبارك نهضتنا

ان لبلادنا من الامكانيات والمقدرات ، وان لك شعبي العزيز ، من العقل والادراك والتمييز والتمحيص والحكمة البصيرة ، وان لك من حب صريح لارض آبائك واجدادك ، ورغبة صحيحة فى العمل المثمر البناء وحرص على ان تحل بلادك اسمى الدرجات ، وتبلغ بها ارفع المقامات ، ما هو خليق بأن يقيم البرهان ، ويقدم الدليل على ان وطنك العزيز سيصبح بما اضفى الله عليه من خيرات ، وبما وهبك من استعداد لاستصلاحه واستثماره ، وطموح لاعلاء شأنه ، واعزاز جانبه ، مضرب الامثال فى الجد والحيوية ، وصدق النية ، ومضاء العزيمة والاستبسال . والله المسؤول بعد هذا ان يبارك نهضتنا ، ويثبت اقدامنا ، ويوفق مسعانا ، ويمدنا بعونه على الاضطلاع بالمسؤوليات وتحمل الاعباء ويقينا مزالق الزلل وعواقب الاخطاء .

جزى الله خيرا فقيد العروبة والاسلام

شعبي العزيز :

ان ما جبلنا عليه من شيمة الاخلاص والوفاء ، ومزية رعاية العهد والبقاء ، ليقتضينا ونحن نحتفل فى هذا اليوم بالذكرى السابعة لجلوسنا على عرش

اسلافنا ، أن نتوجه بقلوبنا الطافحة بمشاعر حفظ الذمام ، الزاخرة بآيات الاجلال والاعظام ، الى روح بطل الامة الخالد ، وعلمها المجاهد ، فقيد العروبة والاسلام ، وباعث النهضة الهمام ، سيدنا ووالدنا المنعم ، محمد الخامس ، داعين له بالرحمة والغفران، والمثوبة والرضوان . فقد أمضى عمره مكافحا ومناصرا ومناضلا ومصابرا ، ولم يهن له عزم ، ولم تلن له قناة ، فغالب الصعاب ، وصارع المكائد والاهوال ، ولم ينل من نفسه تهديد ، ولم يثن من عزمه وعيد ، اسدى رحمه الله لهذا الشعب أسنى الايادي واجمل المكرمات واسمى المبرات ، وبذل في سبيل تحريره واستقلاله اعظم التضحيات ، فأثاب الله جهوده أحسن ثواب ، وكتب له الظفر وحسن المئاب ، فتحقق لك شعبي العزيز ، على يديه ، ما كنت تصبو اليه من خلاص والعتاق ، وحرية وانطلاق . وانا لنبتهل الى الله في هذا الحفل الحافل ، والمجمع الشامل ، ان يجازيه عما بذل واسدى ، واسلف وقدم بأوفى ما يجازي به النبيئين الاطهار ، والصديقين والشهداء والابرار ، ويجعل مثواه في جنات عليين ، ومقامه المحمود بين اوليائه المتقين .

حملنا الامانة بعونه تعالى

واذا كانت ارادة الله استأثرت به واختارته لجواره ، والمغرب المستقل بعد الاحتلال ما يزال في مراحله الاولى من البناء والتشييد ، والنشوء والتجديد فان هذه الارادة استخلفتنا عن بعده ، والقت على كاهلنا مقاليد السيادة واعباء القيادة ، فحملنا الامانة مؤمنين بعونه تعالى في شد أزرنا ، والاخذ بيدنا ، وتسديد خطانا ، وتيسير هدانا ، ووائقين بأنك شعبي العزيز، شعب وهبه الله من الشمائل والمزايا ، ومن الفضائل والسجايا ، ما يصح معه الاعتماد والاستناد ، ويتسنى به تذليل الصعاب ، وتتوافر به الوسائل والاسباب ، للوصول الى الهدف المقصود ، والغرض المنشود . ومنذ ذلك الحين والعناية متجهة اليك ، والرعاية موقوفة عليك ، والحدب موصول لاسعادك ، والاهتمام مقصور على رفع مكانك ومقامك ، فلا يمضي يوم من الايام ، ولا تمر ساعة من ساعات الليل والنهار ، الا كان قلبي مفعما بك ، وعقلي منقطعا اليك ، وارادتي مصروفة لما يرضيك ، معباة لما يكفل لك الهناء المديد ، والعيش الرغيد . فجميع ما يضطرب بين جوانحي من عواطف ، وجميع ما يجول في نفسي من خواطر ، وجميع ما يسعف به الخيال ، ويجود به العقل ، ليس له من مدار ، وليس له من مثابة ، وليس له من قصد الا انت وما يهمك ، سررت او حزنت ، رجوت او اعترتك خيبة امل ، رغبت في شيء او استولت عليك رهبة ، طفحت نفسك بالبشر وامتلأ قلبك باليقين ، او رانت عليك الكآبة والتبست عليك السبل ، وتقاسمتك الاشجان ، وجرى بما لاتهوى الحدثان

اجتمعنا على كلمة سواء

فكل حالة من هذه الاحوال ، تلابسني في غدوي ورواحي ، وحلي وترحالي ، وكل احساس من هذه الاحاسيس ، هو احساس يمتلك فؤادي ويملأ جوانبي، ولا يعتري هذه الاحوال تغيير أو تحويل ، الا عندما تنقشع السحب المظلمة التي تخيم على نفسك ، وتخلف المسرة الكآبة في حناياك ،والاطمئنان في وجدانك وطواياك ، ولا اجد لذة العيش ، ولا حلاوة الحياة ، وأنت كاسف البال ، مروع السرب ، تخشى الغوائل، وتتهيب الزمان ، وكل مطمح كريم سمت اليه همتك، وكل مرغوب شريف تعلق به رجاؤك ، وكل مقصد جميل ترامت اليه مطالبك ، هو مطمح من مطامحي ، ورغبة من رغائبي ، ومطلب من مطالبي ، ابذل له من جهدي وكدي ، واوليه من عنايتي واهتمامي ، طريفي وتليدي ، حتى اذا تسنى ادراكه ، وان قيل عزيز المنال عسير غير يسير ، كان الظفر به مشاعا بيني وبينك، وبلوغه قرة عين لي ولك ، لقد اتحدت مشاعري ومشاعرك ، وتناسقت أوطاري وأوطارك ، وتوشجت مصالحي ومصالحك ، واتم الله علينا النعمة المطلوبة، والمنة المخطوبة ، فسرت وإياك على المحجة البيضاء ، واجتمعت شعبي العزيز ، وعرش بلادك وعاهلك على كلمة سواء .

احياء ذكرى نزول القرآن

شعبي العزيز :

لقد كان احتفاؤنا واحتفالنا جميعا بذكرى مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، والذكر الحكيم ، برهانا على مدى تعلقنا برسالة الله الخالدة ، وتمسكنا بالكتاب البين المنزل من السماء هدى للمتقين ورحمة للعالمين . وانت تعلم ما كان لهذا الاحتفاء الشائع ، والاحتفال الرائع ، من الاثر الحميد ، والصدى البعيد في أرجاء العالم الاسلامي الذي اكبر بادرة هذا التمجيد والتكريم ، وادرك بليغ اعتداد المغرب بكتاب

الله : وأوفد للمشاركة فى الاحتفال بهذه الذكرى من مشارقه ومغاربه وفودا من أجلة العلماء وأقطاب العرفان توثق بهم حبل التواصل والتعاطف ، واستحكمت بهم آصرة الاخاء والتآلف .

الاسترشاد بهدي القرآن والحفاظ على الاسلام

واني لاهيب بك شعبي المؤمن ، الصادق الايمان، الراسخ العقيدة ، أن توالي سيرك ، وتواصل سعيك، مسترشدا بهدي القرآن ، متمسكا بتعاليم الفرقان ، متدبرا آياته ، ممتثلا لاوامره ونواهيه ، فان فى ايماننا بالله ، وتمسكنا بما أوحى به الى نبيه ورسوله المصطفى المختار ، وحفاظنا على الدين الاسلامي الحنيف ، وما يدعو اليه ويحض عليه من العمل بالمباديء المثلى ، والحرص على القيم [illegible] ، وسلوك المحجة البيضاء ، ما يكفل لنا الفوز وحسن المصير وان الله على نصرنا لقدير .

دعوة مستجابة لتربية النشء

وحري بنا ونحن فى مجال التذكير ، ان نسترعي انتباه نسائنا اللاتي هن امهات ابنائنا ، والمتحملات لقسط وافر من مسؤولية تربية ناشئتنا والمساهمات بحظ غير يسير فيما نشيده ونبنيه ، ونرفعه ونعليه من صرح نهضتنا ، الى وجوب أهتمامهن بتربية اطفالنا الذين هم رجال المستقبل ، ومناط الآمال ، تربية قوامها تحبيب مكارم الاخلاق اليهم ، ونشر الفضائل فى نفوسهم ، وتأديبهم بالاداب الاسلامية ، وتلقينهم القواعد الدينية ، وتعويدهم على التمييز بين المنكر والمعروف ، والحلال والحرام ، وتدريجهم على حب التقاليد السليمة التي اكسبتنا ذاتية معلومة ، والتعلق بالقيم والمقدسات ، التي كفلت لهذا الوطن العزيز الدوام والاستقرار ، حتى يكونوا رجالا صالحين كافراد ، قادرين على اداء واجباتهم ، والاضطلاع بالاعباء التي تنتظر منهم ان يكونوا فى مستواها استقامة ونزاهة وايثارا ونكرانا للذات وخبرة ودراية واستعدادا وكفاية ، وحتى تتالف منهم الامة الواعية المتبصرة العالمة بالنافع والضار ، والصحيح والزائف. وهكذا فان على المرأة المغربية أن تكون مدركة للمسؤولية الملقاة على كاهلها ، متفهمة للمهمة العظمى المنوطة بها فى مجتمع كمجتمعنا يتوق الى المزيد من المناعة والحصانة .

آن للعرب والمسلمين ان يحاسبوا أنفسهم ويوحدوا صفوفهم

شعبي العزيز :

ان شديد حرصنا على الاعتصام بالقيم الروحية الخالدة ، والمباديء السامية التي قامت على اساسها فى الماضي حضارتنا التي اضاءت انحاء المعمور ، واشرقت بها ارجاء الدنيا ، لهو الباعث الذي دعانا الى استكناه الاسباب التي جعلت من العالم العربي والاسلامي كيانا مفكك الاوصال ، مدخول القوى ، مبدد الشمل ، تتنازعه عوامل الشتات والانحلال ، فعرفنا أن مرد هذه الظاهرة الاليمة ، وهذا المصاب الجلل ، يرجع الى قلة الاهتمام بالقيم الاسلامية ، وعدم الاكتراث بالتعاليم الدينية ، والتفريط فى اركان الدعوة المحمدية . وقد آن للعرب والمسلمين ان يحاسبوا انفسهم حسابا شديدا ، ويتداركوا ما فيه فرطوا وما به استهانوا ، ويعملوا على اصلاح ذات بينهم ، وضم شتاتهم ، وجمع كلمتهم ، والتعاون بينهم لانقاذ انفسهم من الهوة التي ترددوا فيها ، والمحنة التي حاقت باوطانهم والهزة العنيفة التي عصفت باموالهم وديارهم وسلبتهم اولى القبلتين وثالث الحرمين – وعسى الله ان يكف بأس الذين كفروا ، وعسى الله أن يأتي بالفتح او امر من عنده ، فيصبح العرب والمسلمون صفا مرصوصا وبنيانا متماسك الاجزاء يشد بعضه بعضا ، وكيانا لا تنفصم عراه ولا ينبت ما اوصى الله تعالى ان يكون موصولا بينه .

دعوات ملك صالح

فاللهم انا نسألك ان تمن تفضلا وتكرما على اخواننا العرب والمسلمين ، وتثبت اقدامهم ، وتوحد كلمتهم وقواهم لما فيه رضاك ، وتلم شملهم ، وتقيل عثرتهم ، وتعيد اليهم ما فقدوا من عز ومجد ، وما سلبوا من كرامة ، وتهب لهم من الحول والطول ما يرد عليهم ما اضاعوه ، ويملكون به زمام أمرهم ، ومقاليد حاضرهم ومستقبلهم ، وتجود عليهم ، وجودك كفيل بالمكرمات ، وحقيق ان يظهر الآيات البينات ، بالهداية التي يسهل معها استئناف سيرة آبائهم الاولين وأسلافهم القادة الصالحين المصلحين

اللهم ان المغرب ، هذا البلد الذي احتضن الاسلام عند مطلع فجره واشراق نوره ، وتمسك بهديه

واعتصم بحبله ، وابلى البلاء الحسن فى اعلاء كلمتـه ونشر الويتـه والتمكين له في المعمور ، ليضرع اليـك ابناؤه مبتهلين أن تكون لـه وليا ونصيرا ، ومعينـا وظهيرا ، وتسبغ على بـلادنا نعمة رعايتك وعنايتك وتعصمها من كل سوء ، وتدفع عنها كل مكروه . اللهم ان هذه البلاد التي كانت وما تزال معتزة بايمانهـا ، فخورة بيقينها ، متشبعة بمثلها وحريصة على مقدساتها وحرماتها ، تسالك ان تديمها محفوفة بسياج من حفظك وصيانتك ووقايتك وحراستك ، دائبة على الاهتـداء بهديك ، مستنيرة بنور كتابك الحكيـم ، سائرة على صراطك المستقيـم .

اللهم اغمر قلبي بنورك ، ووسع معرفتي بـك ، واملأ نفسي بالاقبال عليك والانابة اليك ، واجعـل الاعتماد عليك دأبي والاستناد اليك قصدي ، والهمني من الاعمال ما ترضى به عني ، اللهم اني اسألك الخشية في الغيب والشهادة ، واسالك كلمة الحق في الرضـا والغضب ، واسالك عونا تشد بـه أزري ، وتأييـدا ينشرح لـه صـدري

اللهم ادم ما بيني وبين شعبي من محكم الاواصر والصلات ، ومكيـن التجـاوب والتآزر والتماسك والتضافر ، واوزعنا ان نشكر هذه النعمة التي انعمت بها علينا ونذكر صنيعك الجميل فينا واياديك البيضاء قبلنا ، وسدد اللهم خطانا لما فيه خير البلاد وصلاحها وازدهارها ورخاؤها وسعادتها ، فانك موئل الرجـاء ، والمستجيب عنـد الدعـاء .

رسالة قداسة البابا لأجل إحلال السلام في العالم ورد الأستاذ المودودي عليها

نقله إلى العربية : خليل احمد الحامدي
مدير دار العروبة للدعوة الاسلامية
لاهور - باكستان

(ارسل البابا الى جميع قادة الاديان الشهيرة فى العالم بما فيهم اتباع الكنيسة الكاثوليكية رسالة فى شهر يناير الماضي ناشدهم فيها ان يفاتحوا اليوم الاول من السنة الجديدة كيوم السلام ، وقد جاءت رسالته هذه فى باكستان الى سماحة الاستاذ أبي الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية فيها . واليكم ملخص رسالة البابا ورد الاستاذ المودودي عليها)

ملخص رسالة البابا :

نخاطب جميع الناس الصالحين فى الدنيا ونناشدهم ان يجعلوا اول يناير : مطلع السنة الجديدة يوم السلام . نعتقد ان جميع الامم ، والمنظمات الدينية العالمية ، والحركات السياسية والحضارية التي تطمح الى اقامة السلام العالمي وتسعى فى سبيل تحقيقه تشعر كلها فى الوقت الحاضر بضرورة احلال السلام ، كما تشعر بالاخطار التي تهدد السلام ...

والعقبات التي تعرقل احلال السلام يجب ازاحتها . منها اتباع الامم العالمية اهواءها فى انشاء العلاقات فيما بينها . كما ان بعض الاقطار يساورها الشعور بانها محرومة من حق العيش فى كرامة وسؤدد . ولاجل عدم الاعتراف بحقهم هذا قد سلكوا، واضعين رؤوسهم على اكفهم ، طريق المقاتلة الاضطرارية وتسود على الوجه العام الفكرة التي تقول بعدم امكان حل المنازعات الدولية بالعدل وبطرق معقولة من المفاوضات، وتقضي بارجاع هذه المنازعات الى (قاضي السيف) الذي يمكنه ان يستخدم لذلك ما لا يحصى من الوسائل والادوات الفتاكة لاراقة الدماء البشرية ..

اذن ، فلا بد لاجل احلال السلام والتعايش السلمي من توجيه الجيل الجديد الى التسامح والاخوة والتعاون الدولي . ان السلام لن يتحقق ابدا باللجوء الى الدعاية الفارغة . ان الدعاية الفارغة تبدو حسنة وخلابة فيما يظهر لانها تضرب على اوتار قلوب البشر . الا ان هذا الامر كثيرا ما يتخذ ستارا لتغطية فقدان الاخلاص واللامبالاة ، بل يتحول فى غالب الاحيان وسيلة للانحياز والعدوان . فما دامت لا تستهدف الدول وما دام لا يستهدف السكان حكاما ورعايا في الدول التعاطف والتحابب والاخلاص والعدل بعضهم مع البعض ؛ وما دام الافراد والامم لا تنال حرية التعبير والعمل فى كافة النواحي المدنية والخلقية والدينية يصير التشدق لاجل السلام بدون جدوى . ولو اقيم كيان شكلي من السلام والنظام القانوني مدعما بوسائل القسر وبدون الدعائم اللازمة للسلام والحرية ؛ لمن المحتوم أن تستمر سلسلة قاهرة لا نهاية لها من الثورات والحروب .

رد سماحة الاستاذ المودودي على رسالة قداسة البابا

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب القداسة البابا بولس السادس

بلغتني بوساطة الدكتور آر . اي . بتلر مدير (لويولا هال) بلاهور من قداستكم رسالة جديرة بالتقدير ناشدتم فيها اتباع جميع الاديان الشهيرة وجميع ذوي النوايا الحسنة في العالم علاوة على اتباع الكنيسة الكاثوليكية ان يتخذوا مطلع السنة الجديدة يوم السلام . وكان بودي ان اكتب الى قداستكم ما عندي من آراء تتعلق بهذه الرسالة في حينها . الا ان الاعمال المتجددة في شهر رمضان المبارك وعيد الفطر حالت دون القيام بهذا الواجب . وها انا اخاطب قداستكم في اول فرصة متاحة :

اهنئ قداستكم بما وجهتم الى سكان المعمورة من الدعوة الى الغاية التي يشارك فيها الجميع ، كاشفين القناع عن وجه العوامل التي تشكل عقبة كاداء في تحقيق هذه الغاية . ومن الحقيقة التي لا يكابر فيها احد ان السلام من الحاجات الاساسية التي تتوقف عليها سعادة النوع البشري . الا ان العوامل التي حرمت النوع البشري من بلوغها على رغم تطلعه اليها واحساسه الملح لتحقيقها هي نفس العوامل التي قد استلفتم الى معظمها انظار العالم . واعتقد : انه ما دامت لا تتخذ الاجراءات الصارمة للقضاء على هذه العوامل لن تنعم الدنيا بالسلام ابدا بمجرد الاعراب عن الآمال الطيبة والاماني المعسولة . وعلى هذا ، مما لا مندوحة منه في نظري في هذا الشأن : ان يحاسب كل منا نفسه افرادا واسما وجماعات دينية ، بصدق النية والاخلاص والامانة لينظر : ما هي تقصيراته نفسه التي ادت بأبناء نوعه ثم بنفسه هو في النهاية الى الحرمان من العيش في السلام ، ويستفرغ ما وسعه من الجهود في قمعها . كما يجب على كل واحد منا ان يحيط غيره من الطوائف علما بما يرى في مواقفها نحوه من امور تؤلمه وتمس من كرامته ؛ بصراحة متناهية وبقصد الاصلاح ، لا بنية اثارة المرارة وزيادتها ، لتنهض هذه الطوائف الى التخلي عن مواقفها كهذه .

وبنفس القصد اريد ان استرعي انتباه قداستكم الى امور يشكوها المسلمون من الاخوان المسيحيين ، لكي تبذلوا جهودكم في اصلاحها باستخدام نفوذكم الكبير ومكانتكم العظيمة في العالم المسيحي لكونكم المرشد الاعظم للكنيسة الكاثوليكية . وانا بدوري ارحب من الاخوان المسيحيين بان يعلمونا بما اذا وجدوا في سلوكنا نحوهم من امر معقول يسبب لهم الشكوى منا . ونحن لن ندخر وسعا في ازالته باذن الله . ان الطريق الذي يمكن لنا ان نتكاتف في احلال السلام وخلق جو التصالح في الدنيا هو ليس الا ان يسلك بعضنا نحو بعض مسلك العدل ، او يتخلى عما فيه غمط حقه وعن اللجوء الى ما يؤلمه على الاقل اذا تعوزه رحبة الصدر في سلوكه الحسن معه .

ان الامور التي يشكوها المسلمون لا في بلد واحد فقط او من شعب واحد فقط بل يشكوها جميع المسلمين في انحاء العالم من اخوانهم المسيحيين ، اريد ان اعرض على قداستكم بدون لبس ولا ابهام :

1 – يتأذى المسلمون من الهجوم الذي لا يزال العلماء المسيحيون يشنونه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى القرءان والاسلام في كتبهم وخطبهم . قد اوردت كلمة « الهجوم » قصدا لئلا تقعوا في سوء التفاهم في كوننا نشكو حتى من النقد العلمي المعقول ، اذ اننا لا ننكر النقد العلمي المبني على البرهان وفي حدود النزاهة والاحترام ؛ مهما كان يحتوي على اعتراضات عنيفة . بل نرحب بمثل هذا النقد العلمي ، ونستعد ان نقابل البرهان بالبرهان . ولكن الذي نشكو اليكم بحق هو الهجمات التي تشن على نبينا وكتابنا وديننا ، والتي تتكون من افتراءات واتهامات سخيفة بلغة تدمي القلوب وتمس بالكرامات . ولا تزال هذه الهجمات على قدم وساق .

اما المسلمون فانهم يراعون كل المراعاة جوانب الادب والتكريم في شأن مريم وعيسى عليهما السلام . ونعتبر من وجهة عقيدتنا كل كلمة تنال من كرامتهما او تنافي مكانتهما كفرا . وانكم لن تجدوا ولا مثالا واحدا ان مسلما قد ارتكب ما ينافي الادب في شأن سيدنا المسيح وامه الصديقة عليهما السلام . ونحن وان كنا لا نعتقد في الوهية المسيح ابن مريم . الا اننا نؤمن بنبوته عليه السلام ايماننا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . ولا يكون احد مسلما حتى يؤمن بالمسيح وغيره من الانبياء عليهم السلام ، كما يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم . كما اننا لا نعتبر القرءان فقط كتابا منزلا من الله تعالى ، بل نعتبر كذلك التوراة والانجيل مما انزله الله . ولا يتفكر احد من المسلمين في اهانة هذه الكتب المقدسة . ونحن اذا ناقشنا هذا الموضوع فلم نناقش الا من ناحية مبلغ استناد وصحة الكتاب المقدس في صورته الحالية . وهذه ناحية قد

جرت فيها المناقشة بين العلماء المسيحيين انفسهم ايضا . ولم ينكر احد من المسلمين ابدا بأن الله تعالى قد اوحى الى موسى وعيسى وسائر الانبياء عليهم السلام الذين جاء ذكرهم في الكتاب المقدس ، وان المسلمين اليوم وان كانوا لا يقرون بكون الكتاب المقدس في صورته الحالية وحيا منزلا من الله بأجمعه . بيد انهم يعتقدون ، بدون ما ريب ، ان فيه ما نزل من الله تعالى . ولذلك فان اخواننا المسيحيين لم يجدوا مجالا للشكوى اننا قد ارتكبنا اهانة انبيائهم او كتبهم المقدسة . والعكس من ذلك فاننا لا نزال ننال منهم منذ القرون ضروبا من الاذى فيما يشن كتابهم وخطباؤهم من الهجوم العنيف على نبينا الكريم وعلى كتابنا المقدس وعلى ديننا الحنيف ، الامر الذي هو اكبر سبب في اساءة العلاقات بين الاخوان المسلمين والاخوان المسيحيين ، لانه يورث الاحقاد المتبادلة . كما ان الدعاية غير الصحيحة تبذر في قلوب عامة المسيحيين انفسهم كذلك بذور الكراهة والاحتقار للمسلمين . وتكونون قد اسديتم خدمة جليلة مشكورة في احلال السلام لو نصحتم اتباع المسيحية ان يحسنوا سلوكهم نحو المسلمين حيث لا يبلغ حد الايلام واثارة الكراهة في القلوب على الاقل .

2 — ان الوسائل التي ما زالت تستخدمها البعثات المسيحية والمبشرون المسيحيون منذ مدة طويلة في نشر الديانة المسيحية في العالم الاسلامي هي ايضا مما يأخذه المسلمون على اخوانهم المسيحيين . لا تتناول بالبحث اعمالهم في البلدان الاخرى والشعوب غير الاسلامية . والذي جربناه وشاهدناه بأم اعيننا في البلدان الاسلامية والشعوب الاسلامية هو انهم ـ اي المبشرين المسيحيين ـ لم يقتصروا على « التبشير » فقط ، بل جاوزوا هذا الحد ، واختاروا الوسائل الاخرى التي ليست من وسائل التبشير في حقيقة الامر ، بل هي من وسائل الضغط السياسي والاطماع الاقتصادية والهدم الخلقي والعقائدي ، والتي لا يقر من فيه مسكة من العقل بكونها وسائل نزيهة لتبليغ الدين . انهم في معظم اقطار افريقية حرموا المسلمين من التعليم بمعاونة من القوى الاستعمارية ، واغلقوا ابواب دور التعليم على وجه كل من لا يعتنق الديانة المسيحية او يختار لنفسه الاسم المسيحي بدل اسمه الاسلامي على الاقل . ان الاقلية المسيحية ذات النفوذ التي خلقت بهذه الطريقة هي التي تسيطر اليوم من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية على كثير من الدول الافريقية التي معظم سكانها المسلمون . هذا هو العدوان الصريح الذي عوملت به الدول الافريقية ذات الاغلبية الاسلامية . ان القسم الجنوبي من السودان جعل « محمية » لدعاة المسيحية في ظل الاستعمار الانكليزي ، وقصرت جميع حقوق التعليم والتبليغ فيها على البعثات المسيحية ، وفرضت على المسلمين قيود منعتهم من دخول هذه المنطقة لا لنشر الدعوة الاسلامية فيها فحسب ، بل للاغراض الاخرى ايضا . ولا اكاد افهم : باي دليل يعد هذا الطريق وسيلة نزيهة ومعقولة لنشر الدين . وها نحن في بلادنا نرى ما تتبعه مستشفيات الارساليات التبشيرية ومؤسساتها التعليمية من سياسة يعرفها القاصي والداني . مثلا انها تفرض على المرضى والطلبة المسلمين رسوما واجرا باهظة ، بينما كل من يعتنق الديانة المسيحية توفر له كافة التسهيلات للعلاج والتعليم ، اما مجانا او مقابل اجرة رمزية . ومن الظاهر البديهي ان هذا الطريق ليس من التبليغ في شيء ، وانما هو عملية شراء الذمم والمتاجرة بالايمان . وعلاوة على ذلك فان المؤسسات التعليمية التابعة للارساليات المسيحية في بلادنا تحاول اعداد جيل لا تعجبه المسيحية ولا الاسلام ، بل يشكل عنصرا اجنبيا في جميع نواحي اخلاقه ومدنيته ولغته ومنهج حياته ، ومن الناحية الدينية تنشا فيه ميول الحادية لا دينية بدلا من الميل الى المسيحية او الاسلام . هل من رجل له المام بالعقل يستطيع ان يعد كل ذلك من خدمة دينية ؟ هذه هي العوامل التي بموجبها لا تعتبر البعثات التبشيرية في الدول الاسلامية على الوجه العام بعثات دينية بل تعتبر خلايا لمؤامرة خطيرة ضد الاسلام والمجتمع الاسلامي .

وانا بدوري ارجو من قداستكم ان تتأملوا نتائج هذه الطرق الخاطئة ، وتحاولوا تحسين ما تنتهجه الارساليات التبشيرية من طرق للدعوة والتبليغ ، باستخدام نفوذكم ومكانتكم .

3 — هناك شعور عام يسود عامة المسلمين نحو العالم المسيحي هو : ان العالم المسيحي يكن حقدا شديدا بالنسبة للاسلام والمسلمين . والتجارب التي تمر علينا بين حين وآخر ، تؤكد هذا الشعور وتعمقه . ومنها ما شوهد اخيرا في الحرب التي اندلعت نيرانها بين العرب واسرائيل . فان الارتياح الذي اعرب عنه في معظم البلاد الاوربية والامريكية بمناسبة انتصار اسرائيل على العرب ترك في قلوب المسلمين في سائر الدنيا ألما اليما وجرحا لا يندمل . ولا تكاد تجد بلدا من البلاد الاسلامية الا وتراه يعتبر ما ابداه العالم

المسيحي من سرور وارتياح وابتهاج علنا يوم انتصار اسرائيل على العرب ظاهرة الحقد والعداء اللذين يضمرهما المسيحيون في قلوبهم للاسلام والمسلمين . والطريقة التي تكونت ، بل كونت ، بموجبها دولة اسرائيل في فلسطين لا يخفى على احد تاريخها . كان العرب يستوطنون فلسطين منذ الفي سنة . وما كان السكان اليهود فيها يشكلون نسبة اكثر من 8 ٪ في مطلع القرن الحاضر . فجاءت الحكومة الانكليزية ، والحالة هذه ، تقرر جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وجاءت عصبة الامم يومها لا تصادق على هذا القرار فحسب ، بل تعطي الحكومة البريطانية حق الانتداب في فلسطين وتوصيها باشراك الوكالة اليهودية في الحكومة لتنفيذ القرار المذكور . وبدات بعد ذلك سلسلة هجرة اليهود من انحاء العالم الى فلسطين بكل طريقة ممكنة ، وتوطينهم فيها . حتى بلغت نسبتهم فيها خلال مدة 30 سنة 33 ٪ . وكان هذا القرار الذي اتخذ لاجل توطين الشعب الاجنبي في وطن الشعب الاصيل عدوانا سافرا . ثم اتخذت خطوة اخرى اشد فتكا وخطورة من سابقتها . حيث ارغمت امريكا جمعية الامم المتحدة ، على رؤوس الاشهاد ، على اصدار قرارها في تبديل وطن اليهود الاصطناعي الى دولة يهودية . وبموجب هذا القرار الغاشم قسمت فلسطين واعطيت لليهود الذين كانوا يشكلون 33 ٪ من جميع السكان 55 ٪ من مساحتها ، بينما اعطى العرب الذين كانوا يشكلون 67 ٪ منهم 45 ٪ من مساحتها . ولم يكتف اليهود على هذا ، بل انهم حصلوا باللجوء الى القوة على مساحة اخرى فاصبح مجموع المساحة التي احتلوها 77 ٪ من المجموع ، وطردوا آلافا مؤلفة من السكان العرب من ديارهم واموالهم بالقتل والارهاب والنهب والسلب . فهذه هي اسرائيل ، وهذا تاريخ تأسيسها . وهل من رجل في الدنيا يحب العدل والامانة بامكانه ان يقول : ان اسرائيل دولة شرعية تكونت من طريقة طبيعية وعادلة . بل ان وجود هذه الدولة هي عين مظهر العدوان الغاشم . والمزيد من الظلم والعدوان ان اليهود ، على رغم ذلك ، لا يرضون بالوقوف عند الحدود التي اقاموها في فلسطين قسرا. بل انهم ما زالوا يعلنون صراحة منذ ستين بان وطنهم الحقيقي هو من النيل الى الفرات . وبكلمة اخرى ان الشعب اليهودي يحتضن ، بصفة دائمة ، الخطة العدوانية التي يريد تحقيقها بفرض الاستيلاء على هذه المنطقة بكاملها وتشريد اهاليها الاصليين بوسائل الارغام ، واستقدام اليهود من انحاء العالم واسكانهم فيها . وان الحرب المباغتة التي شنها اليهود في الخامس من شهر يونيه الماضي هي ليست الا حلقة من هذه الخطة العدوانية البغيضة ، والتي استولت اسرائيل فيها على ما يقارب من ستة وعشرين الف ميل مربع من المساحة . ان العالم المسيحي هو المسؤول عن هذا العدوان السافر الغاشم . وهو الذي ساعد على خلق وطن جديد للشعب الاجنبي في داخل وطن شعب آمن مطمئن ، وهو الذي ساعد على جعل هذا الوطن الاصطناعي دولة مستقلة ، وهو الذي امد هذه الدولة العدوانية بالعون المالي والسلاح الحربي وجعلها تتمكن من تطبيق خططها التوسعية . وها قد نرى العالم المسيحي يغرق في غمرة الفرح والابتهاج والاهتزاز لما حققت هذه الدولة من انتصارات . وهل تعتقدون قداستكم ـ بعد كل ذلك ـ ان المسلمين في العالم يعتمدون على عدالة المسيحيين ونياتهم الحسنة وبراءتهم من الحقد الديني والعصبية ؟ وما ذا ترون قداستكم : هل هذه هي السبل لايجاد السلام في العالم ؟ فالواجب على قداستكم ـ لا علينا ـ ان تؤنبوا الاخوان المسيحيين على موقفهم هذا ، وتعملوا على تطهير روحهم من هذا الدنس .

4 ـ وهناك اعتداء صدر من قداستكم انتم . وان كنت اظن ان هذا الاعتداء مبعثه النية الحسنة ، ولا تشعرون بكونه اعتداءا في حقيقة الامر ، واقصد من ذلك اقتراح قداستكم حول تدويل القدس القديم. ولعلكم تنوون من هذا الاقتراح صيانة هذه المدينة المقدسة من الحروب والاشتباكات ولكن هذا الاقتراح في حقيقة الامر ينطوي على عدوان آخر . اذ من البداهة ان الرقابة الدولية على هذه المدينة ستتولاها المنظمة الدولية التي خلقت دولة اسرائيل بطريقة اصطناعية ، والتي لم تردع اسرائيل من اتباع سياسة العدوان ، ولم تتدارك ازالة آثار العدوان ان وقع . ان هذه المدينة ان تولتها المنظمة كهذه فانها ستفتح ابواب

القدس الشريف على مصراعيه امام الهجرات اليهودية، كما كانت فتحت الحكومة البريطانية ابواب فلسطين امامها تحت انتداب عصبة الامم . ثم انها ستوفر لليهود كافة التسهيلات في شراء الاراضي والابنية في هذه المدينة ، كما وفرتها حكومة الانتداب البريطاني قبل ذلك في فلسطين . فبهذه الطريقة ستتحول هذه المدينة في مدة يسيرة الى مدينة يهودية محضة ، يسيطر عليها اليهود الذين لا يحترمون المقدسات المسيحية ولا المقدسات الاسلامية .

اعتذر الى قداستكم هذه الصراحة في هذا الرد المسهب على رسالة قداستكم . الا اني كنت ارى من واجبي ان احيط قداستكم علما بما هي العقبات الحقيقية التي تحول دون تحقيق السلام ، والتي تمس الحاجة الى الخطوات الفعلية لازاحتها . واكرر مرة اخرى أن تعلمونا بما اذا كان هناك من تصرف صادر من العالم الاسلامي يصبح عقبة في تحقيق السلام العالمي . واني سأستخدم النفوذ الذي اتمتع به ، الى حد ما ، في العالم الاسلامي لازاحة هذه العقبة ، واسترعي انتباه قادة العالم الاسلامي ايضا الى ذلك . والسلام على من اتبع الهدى .

ابو الاعلى المودودي

أمير الجماعة الاسلامية بباكستان

ـ صخـــرا علـى صخـــر !! ـ

اقول لهم في ساعة الدفن : خففوا
علي ، ولا تلقوا الصخور على قبري
ألم يكف هم واحد قد حملته
فاحمل بعد الموت صخرا على صخر

أحمد شوقي

القرآن وعلومه في عهد الدولة العلوية الشريفة

للأستاذ العابد الفاسي

- 2 -

ترجمة المقريء سيدي ادريس المنجرة .

كانت وفاته فى محرم عام 1137 فى عهد مولانا اسماعيل ، وله من المؤلفات فى القراءات بشرح دالية ابن المبارك ، تعرض فيه رحمه الله كما قال ابو القاسم دراوة الشاوي للغاتها واعرابها ومعانيها وتوجيه القراءة بها فأحكم بذلك سابقها وفتح غامضها وبين اسرارها الخ . وله غير ذلك من الكتب فى الفن مع كثير من الرسائل والتقاييد مما لا يسع البحث فيه باطناب. ومن هذا القبيل ايضا ولد المترجم قبله اتصالا شيخ القراء بفاس وخطيب مسجد الاشراف بها ، ابو زيد عبد الرحمن ابن ادريس المنجرة ، كان له تضلع كبير فى القراءات باختلاف رواتها ومشاركة فعالة فى غيرها من علوم الصناعة من لغة ونحو وتصريف . وترجمته طويلة الذيل ، وكتبه بالغة اقصى التحقيق ، ومن اهم كتبه حاشيته الكبرى على شرح الجعبري على الشاطبية وشرحه على فتح المنان ، وشرحه الدالية لابن المبارك وتوفى فى الحجة متم عام 1179 فى عهد السلطان محيي السنة سيدي محمد بن عبد الله ، ومن اراد استيفاء ترجمته فعليه بفهرسته . عذب الموارد .

ومن علماء هذا الفن الذين حازوا قصب السبق فيه الامام المقري الشهير ابو القاسم بن علي بن دراوة الشاوي ، به عرف اخذ فن القراءات على الامام الاستاذ القدوة ابى العلاء ادريس بن محمد المنجرة ، وعلى الشيخ ابي العباس احمد بن مبارك السجلماسي ، وعلى الاستاذ ابي العباس احمد التقي السجلماسي اللمطي، وكذلك اخذ قراءة حمزة فى تخفيف الهمز وما يوافقه عليه هشام على الشيخ المشارك العارف الاستاذ سيدي محمد بن عبد الرحمن البصري المكناسي ، واجازه بخط يده . ومن شيوخه فى الفن ايضا الامام الراضي ابن عبد الرحمن السوسي، وقد كان من موالي السلطان الجليل مولانا اسماعيل ، وهي مفخرة عظيمة لهذا المترجم . وتدل مرة اخرى على ما كان لهؤلاء الملوك من شفوف واعتبار لهذا الفن . ومن كتبه التي وقفت عليها شرح دالية ابن المبارك المغراوي ، وهو شرح مفيد جدا اشبع فيه الكلام على قراءة حمزة فى تخفيف الهمز وفرغ منه فى رمضان عام ثلاثة وثلاثين ومائة والف ، وسماه (تنبيه السالك الى خيار ثمار دالية ابن المبارك) وله ايضا شرح على الشاطبية امره بشرحها شيخه سيدي احمد بن مبارك . وتقييد على الدرر اللوامع ، وشرح على باب وقف حمزة،وهشام على الهمز من حرز المعاني ، وحاشية على شرح الجعبري ، ووقفت على نص اجازة البصري المذكور له حلاه فيها بالاستاذ الحافظ المجيد اللافظ المتقن المجود ابو القاسم الشاوي دراوة مولى السلطان مولانا اسماعيل هـ .

ولم اقف على تاريخ وفاته ، وممن كان له نصيب وافر فى هذا العلم الشيخ الامام المجتهد النظار ابو العباس احمد بن مبارك السجلماسي اللمطي . وما عسى ان اقول فى حق هذا الرجل العظيم بحثا وعلما واجتهادا وبراعة وتحقيقا بحيث لو قال فيه الباحث

انه اكبر من كل ترجمة تحاول استقصاء معارفه ومشاركته لكان صادقا في قوله وكل مؤلفاته وكتبه تدل على عبقرية نادرة قل وجود مثيلها في كثير من الازمان ، وحسبنا الان ان نتحدث في جملة موجزة عن براعته في فن القراءات ، وقد عثرت له على الشيء الكثير من مقيداته في بحوث خاصة تتعلق بهذا العلم ، ومن عادته رحمه الله في كتابته ان يحيط بالمسألة خبرا من جميع جهاتها ويصدر حكمه الفاصل عن روية واستنتاج صحيح ، وقد ذكر له تلميذه ابو القاسم الشاوي شرحه على دالية ابن المبارك ، قال : وقد شرح بعضها ايضا الفقيه المشارك العالم الزاهد الاستاذ المجود شيخنا ابو العباس سيدي احمد بن مبارك السجلماسي اللمطي فتصفحته عنده ، وربما استفدت منه مسائل . . . اتى فيه بالقول الجميل وبالمباحث التي يعجز عنها علماء هذا الجيل .

وفي عصر السلطان ابي الربيع سليمان بن محمد العلوي بلغ هذا العلم درجة كبيرة في الاوساط حيث كان السلطان المذكور متشبعا بروح القرءان وتعاليمه متفانيا في احياء علومه ودراسة قراءاته ، مهتبلا باخذ الفن عن شيوخه المبرزين فيه ، والتاريخ يحدثنا عن علاقته المتينة التي كانت بينه وبين شيخه الاستاذ الكبير شيخ القراءات والمبرز في علوم اللغات ابي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي الفهري حتى بلغ من اجلال السلطان المذكور له ان وضع تاليفا خاصا في بيت شيخه وعائلته سماه : (عناية اولي المجد بذكر آل الفاسي بني الجد) ، واني لاستغرب من بعض الباحثين الذين يستفيدون بعقولهم ومألوفاتهم ان يؤلف امير وسلطان في بيت من البيوتات العلمية او اسرة من الاسر العريقة لسبب من الاسباب يحمله على ذلك ، ويقولون كيف يمكن ان يتنازل امير من سموه وعرشه الى التاليف والتنويه بافراد من شعبه ، والعادة ان العلماء من افراد الشعب هم الذين يكتبون في مناقب امرائهم وحوادث ايامهم ، نقول لهؤلاء مهلا على رسلكم فليس الناس سواء وليس الامراء او الملوك في هذه الدولة العلوية الشريفة كباقي الامراء او بعضهم في دول اخرى . وقد قدمت ذلك في طليعة المقال ما كان عليه رؤساء هذه الدولة الشريفة من اجلال واعظام واكبار لاهل العلم عموما . وقد ذكروا في تاريخ مولاي الرشيد انه كان يحضر دروس العلماء بالقرويين ويناقشهم في دقائق المسائل ، وقد قال العلامة ابو علي اليوسي في احدى رسائله لمولانا اسماعيل . بعد كلام في العلم ورفع درجة اصحابه ، قال : ثم جاء المولى الرشيد بن الشريف فاعلى للعلم مناره واوضح نهاره واكرم العلماء اكراما لم يعهد واعطاهم ما لم يعد ، ولا سيما بمدينة فاس ففضح من قبله واتعب من بعده الخ .

وهكذا قالوا في السلطان مولانا اسماعيل في تقدير العلماء والاعلاء من شانهم ورفع مقاماتهم حتى ان المؤرخين نقلوا عنه بمناسبة حفلة اقيمت بالقصر العامر حيث ختم الامام محمد بن الحسن المجاصي تفسير القرءان الكريم . حكوا عنه اشياء غريبة في تواضع الملك الجليل مما كان له وقع كبير وصدى عظيم في كل الاوساط الاسلامية داخل البلاد وخارجها حتى بلغ اثره مختلف البلاد الاسلامية ، وقد اشار الى هذه الحادثة التي تدل على سمو اخلاق اتصف بها مولانا اسماعيل ـ الشيخ مرتضى الزبيدي في شرح الاحياء ، ونقله عنه العلامة مؤرخ الدولة العلوية سيدي عبد الرحمن ابن زيدان في كتابه « الدرر الفاخرة » ، وهذه اعظم في الواقع منقبة من التاليف في شعبة حملت نور العلم قرونا متتابعة ، وكان لاحد امرائنا الجلة علاقة قوية باحد افرادها ممن كان له تضلع قوي في كثير من العلوم وخاصة فن القراءات باسلوبها العلمي ، على ان الامر ينتهي التردد فيه بنص تذكره الرحالة بلقاسم الزياني في كتابه « جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر اشياخ مولانا سليمان » قال عند ذكر مؤلفات الامير المذكور : (ثم تاليفه في السادات الفاسيين وذكر نسبهم وعلمائهم بالاندلس وبفاس لما استوطنوها ، وذكر جميع من كان من علمائهم وصلحائهم واهل الخير اظهارا لمكارمهم ومحبة في جانبهم وحرصا على بقاء ذكرهم وذهاب اكثرهم تكرمة لشيخهم الذي اخذ عنه ، وهو الفقيه المقريء الكبير والعلم الشهير السيد محمد بن عبد السلام الفاسي رحمه الله) .

فهل يمكن بعد هذا النص ان يتطرق وهم في صحة نسبة التاليف الى هذا الامير الصالح ، وهنا يقال : قد قطعت جهيزة قول كل خطيب .

ومن الملاحظ ان هذا النص صادر من شخص له مشاحنات ومنازعات مع افراد من اهل هذا البيت معاصرين له ، وليس المحل مناسبا لاتمام هذا البحث وكيفما كان الحال فان الامير ابا الربيع نفسه كان احد شيوخ هذا الفن والمتعاطين له بامعان وعمق ، وقد وقفت له عن رسائل تكلم فيها باسهاب عن اشكالات وانتقادات خطرت بباله في كثير من وقوف القرءان التي يرتئيها الامام الهبطي ووافقه على كثير من ابحاثه جماعة من اهل العلم في عصره . والشيخ ابن عبد السلام

الفاسي هذا الف الكثير في هذا الفن ، وتعرف له عدة موضوعات حرر فيها المناط وكان له القول الفصل في ميادينها ، ومن كتبه في هذا الفن كتاب المحاذي الذي يقع في مجلدين ، واسمه الكامل : (اتحاف الاخ الاود المتداني لمحاذي حرز الاماني) . او (وجه التهاني بما يفك اسر المعاني من فوائد النشر وكنز المعاني) . وقد اتى رحمه في هذا الكتاب بالشيء الغريب المدهش وكان عند القراء المغاربة في العصور المتاخرة بمنزلة المدونة في فقه مالك .

اما بقية كتبه في الفن فهي الاتية :

شرح دالية ابن المبارك السجلماسي في وقف حمزة وهشام على الهمز وهو المسمى بالقطوف الدانية في شرح الدالية .

وحاشية على شرح الجعبري لحرز الاماني .

وحاشية على الجاربردي لشافية ابن الحاجب التصريفية وهي تمت الى القراءات بالشيء الكثير في سفر ضخم .

وطبقات المقرئين .

وفهرسة اشياخه في القراءات نظما وفهرسته النثرية .

تسهيل المعارج الى تحقيق المخارج جزء متوسط حاز الدرجة العليا في تحقيق مخارج الحروف وصفاتها.

ونظمه في سر تقديم احدى وجهي الخلاف في الاداء سماه ابراز الضمير في أسرار التصدير .

واغلب هذه الكتب قد قراناها وعرفنا كثيرا من فصولها الممتعة وحتى حاشيته الكبرى على شرح الجاربردي ، فقد وقفت على نسخة منها بخط المؤلف بالخزانة الملكية رقم 3058 ، ويوجد باول ورقة منها بخط الامير الصالح ما صورته بنصه ولفظه : اشتريناه من ورثة شيخنا المذكور آخر المحققين من لم يدركه في هذا الفن المتقدمون سليمان . وعقب هذا كتب الامير المذكور كلمات اصابها تلاش يفهم من فحواها وقف الكتاب المذكور على العالم بهذا الفن ، واجوبة المترجم كثيرة في الموضوع ربما بلغت المجلدات .

والشيء الذي ناسف لعدم العثور عليه هو كتابه في طبقات المقرئين ، وترجمة هذا الشيخ واسعة جدا ، ولا تزال آثاره العلمية ناطقة بعلو كعبه ومشاركته في كثير من الفنون ، وقد ترجمه كثير من تلاميذه سواء في مطلق العلوم او في خصوص الدراسات القرءانية ، وقد قسم ابو الربيع الملك الصالح في ترجمته من العناية تلاميذه الى اربعة اصناف . صنف اخذوا عنه قراءة القرءان بالروايات افرادا وجمعا مع تحقيق احكامها في مجالس الدرس ، وصنف اخذوا عنه قراءة القرءان كذلك ، لكن لا مع تحقيق الاحكام بل بمجرد الدراسة او السماع فقط . وصنف اخذوا عنه ما سوى القراءة واحكامها من فنون العلم فقط . وصنف اخذوا عنه كلا من القراءة باحكامها وغير ذلك من سائر فنون العلم — ثم فصل الامير تلك الاصناف وعين لكل صنف جماعات عدا الصنف الاول ، ثم قال : واني والحمد لله من هذا القبيل فقد قرات عليه ختمات شتى من كتاب الله برواية ورش عن نافع قراءة تثبت وتجويد ، واستفدت من علومه بالمذاكرة في غالب الفنون ما وجدت بركة الانتفاع به في ديني ودنياي وسمعت من حكمه ومواعظه ووصاياه ، ونصائحه ما تتاثر به القلوب القاسية وتنقاد له النفوس الابية . الى آخر كلامه ، توفي رحمه سنة اربع عشرة ومائتين والف .

ومن المتاخرين ممن برزوا ايضا في هذا الفن الاستاذ المقري الكبير ابو العلاء ادريس بن عبد الله الحسني الودغيري عرف بالبدراوي ، اخذ هذا العالم عن عدة اشياخ ، في مقدمتهم : شيخ القراء في عصره ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي عن شيخه المنجرة عن والده .

خطب بمسجد الرصيف ثم بالقرويين لمدة معينة وكانت وفاته في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام في محرم سنة تسع او ثمان وخمسين ومائتين والف ، وترك من الكتب في هذا العلم عدة النظام ورسائل ومؤلفات ، منها حاشية على الجعبري على الشاطبية ، وشرح الدالية للاستاذ محمد بن مبارك السجلماسي في موضوع تخفيف الهمز لحمزة وهشام ، وكتابه الشهير التوضيح والبيان في مقرا نافع المدني بن عبد الرحمن ، ورسالته في همزة الوصل وفي الالف التي تزاد في الخط .

ومن كتبه القيمة شرحه على نظمه المسمى (عمدة البيان) ، وموضوعه ذكر المحذوف في القرءان من الفات وردت في المصحف كما رواها نافع رتبها على حروف المعجم ، وكانت بين المترجم وبين السلطان ابي الربيع علاقة قوية ، وحين نظم حقيقة الروم والاشمام في ابيات ثلاثة قال فيها على طريقة الغزل :

ضممت لاشمام لتفعل مثلـه
فضنت وجاءت في القراءة بالاصل

فرمت باخفاء لكي تدرك المنى
فقالت اشيخ الذكر فاقراه بالوصل

فان وقوفي يقتل الصف حسنه
فقلت لها قفي فقد لذ لي قتلي

والابيات الثلاثة المذكورة نقلها المترجم في كتابه التوضيح .

ونقل المؤرخ الشريف ابن زيدان ان السلطان ابا الربيع اجازه عنها بمائة مثقال لكل بيت . وكتابه التوضيح هذا مفيد جدا في بابه ، وقد الفه باشارة من الملك العادل ابي الربيع كما ذكره المترجم . وكانت بينه وبين الشيخ المقري الاستاذ اللغوي ابي الحسن علي اللحلاح مناقشات ربما بلغت الحدة في بعض مراحلها ، وكان اللحاح هذا بارعا في الفن ايضا ، وله موضوعات في القراءات وغيرها ؛ منها حاشية له على شرح لامية الافعال لابن عبد السلام الفاسي المذكور اولا

وممن برع في هذا الميدان من المتاخرين شيخنا العلامة شيخ الجماعة ابو العباس سيدي احمد ابن الخياط الزكاري الحسني ، له حاشية على كتاب التوضيح لشيخه سيدي ادريس الودغيري المتقدم الذكر ، ومنها رسالة في شرح مخارج حروف خاصة يقع اخراجها من غير مخارجها في تلاوة كثير من القراء كالجيم والتاء والقاف والضاد ، ومنها تلخيصه لكتاب القول الوجيز في قمع الزاري على حملة كتاب الله العزيز للامام ابي عبد الله بن عبد السلام الفاسي وهو في الاصل جواب عن اسئلة ترجع الى علم القراءات .

وقد بقي علينا الحديث عن شخصية لامعة في هذا الفن ايضا وهو الاستاذ العلامة ابو علي الحسن ابن محمد اللجائي دارا المدعو كنبور ، وان اتاحت لنا الفرصة عدنا الى ترجمته في ذيل نتعرض فيه لكثير من هؤلاء العلماء المغمورين الذين لا يذكرون في المجامع التاريخية الا قليلا .

هذه خطرات وارتسامات تتعلق بنشاط فن القراءات في الازمنة المختلفة لهذه الدولة العلوية الشريفة التي برهنت في جميع حقبها التاريخية على ما لها من رغبة صادقة في نصرة هذا الدين الاسلامي والاخذ بيد حملة العلم القائمين بالدعوة الى دين الله والاستمساك بعروته الوثقى .

ولسنا ندعي ان هذا البحث القصير يفي بجزء من آلاف الاجزاء مما يلزم ان يقال ويكتب هنا سواء في فاس او غيرها من مختلف العواصم المغربية . ويتعين ان نستحضر هنا مراكش ، ودكالة ، والاخماس وبني يحمد ، وبني زروال ، والجاية ، وشفشاون ، والقصر الكبير ، ومناطق سوس الشاسعة ، وازمور ، والرباط وتمكروت ، وسلا ، وغير ذلك من الاقاليم والقرى التي لا تقل درجة عن فاس وناحيتها .

وانما هدفنا الان ان نلم المامة وتشير اشارة الى ما كان لهذه الشعبة من شعب علوم القرءان من المكانة والاعتبار سواء في الاوساط الشعبية او عند ملوكنا العلويين قدس الله ارواحهم ، وبذلك نضع اللبنة الاولى في هذا البحث الذي نرجو ان يتسع وياخذ حظا وافرا من اوقات اهل العلم والدراية .

وجلالة مولانا الملك الحسن الثاني الذي له القدح المعلى في هذه المضمارات هو الذي توجه الى جلالته الرغبات الملحة في احياء هذا الفن وتنشيط علمائه وفتح لمعاهد العالية له على غرار ما فعل حفظه الله في دار الحديث الحسنية وهي ماثرة عظيمة لجلالة الحسن الثاني ستبقى مخلدة له في صفحاته الذهبية . نريد من جلالة الملك ان يتوجه بانظاره الشريفة الى احياء هذا الفن الذي اشتغل به اسلافه الاكرمون ، ونرى ادخال هذه الشعبة القرآنية الى المعاهد والجامعات شيئا ضروريا ؛ وله اثر قوي في الرفع من مستواها في فقه اللغة والادب ، حفظ الله مولانا الامام واحيا به ما اندرس من هذه الفنون الاسلامية العتيقة ، وبارك في ولي عهده وسائر افراد عائلته الكريمة .

فاس : العابد الفاسي



للأستاذ عبدالله العمراني

- 2 -

مغامز اخرى :

كنت اود لو اجد فسحة من الوقت لكي اتتبع كل مغامز هؤلاء المستشرقين الذين ما حسبوا ان القرءان اسمى من ان تناله اذايتهم وتخرصاتهم ؛ وانه اقوى واصلب عودا ، واكثر صمودا في وجه من يحاولون — عبثا — تغمازه كتغماز التين ؛ ولكن ما لا يدرك كله ، لا يترك بعضه او جله كما قيل . ولهذا اكتفي هنا بتتبع بعض النقاط تكملة للبحث الذي بدأته في العدد الماضي من هذه المجلة الغراء .

امية النبي (ص) :

يحاول هؤلاء المستشرقون ان يضللوا ابناء جلدتهم بما يكتبونه عن الاسلام ، ويحاولون في نفس الوقت ان يشككوا المسلمين في بعض معتقداتهم التي ايدها التاريخ ، وشهد بها العقل ، واتفقت عليها الامة الاسلامية جمعاء ، وعززها البحث العلمي الصحيح ، كما اظهرت بعض النقوش التي اكتشفت في شبه الجزيرة العربية صدق ما جاء به القرءان ، ونص عليه في بعض سوره .

ومن علائم التضليل التي يلجا اليها هؤلاء ، استشهادهم ببعض الآيات والاحاديث على طريقة « ويل للمصلين » اي انهم يأتون بما قال الكفار المعاندون للنبي (ص) وصحبه ، ويتركون الجزء الخاص بالرد عليهم من القرءان ؛ فها هو ذا المستشرق الانكليزي الذي اشرنا اليه آنفا يقول :

« اتهم الاخيرون (يقصد اهل مكة) النبي بانه كان يدون الخرافات واساطير الاولين التي حكاها له الاجانب » .

وهو يشير بذلك الى جزء من الآيات الكريمة (4 — 6) من سورة الفرقان ؛ قال تعالى : « وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا ، قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض » .

ولعله يستند في احتجاجه ببعض هذه الايات الى كلمة (اكتتب) التي من معانيها : كتب ، ولا حجة له في ذلك من عدة اوجه :

1 — ان معنى اكتتب هنا : استكتب او استنتج، اي طلب ان يكتب له ، ان عرب شبه الجزيرة كانوا ادرى بلغتهم ؛ اذ لو كانوا ارادوا خط يده وتدوينه هو لما يلقى اليه ، لكانوا قالوا — بكل بساطة — : (كتبها) ولكنهم قالوا : اكتتبها اي انه طلب من شخص آخر ان يتولى الكتابة عنه ؛ تماما كما تقول اليوم : « اكتتب الشعب المغربي لنكبة فلسطين بعد حرب خامس يونيه 1967 » اي ان افراد الشعب المغربي طلبوا تسجيل اسمائهم ضمن المتبرعين للنكبة ، لا ان كل فرد تولى كتابة اسمه بنفسه . ولا يعكر على هذا المعنى جملة (تملى عليه) فمعناها : تقرا عليه اي على كاتبه ، فهنا تجوز كما لا يخفى ، اذن لا حجة لهذا المستشرق ومن لف لفه في قول المكيين وادعائهم .

2 ـ وعلى فرض ان اكتتب بمعنى كتب ، ففي الامر حينئذ شيء من التجوز ايضا ، كما تقول : « جاءني فلان » وانت تقصد خطابه او رسوله . ويكون معنى « تملى عليه » تملى على كاتبه كذلك .

3 ـ ان قول المكيين لا يمكن ان يتخذ حجة على معرفة النبي (ص) القراءة والكتابة ، لان المكيين خصوم، وكلام الخصم لا يطمان اليه ، وحكمه لاغ لانه خصم ، والخصم لا يمكن ان يكون حكما .

4 ـ ان القرءان الكريم صريح في الرد على هذا الراي القائل ؛ وهو اجدر بالتصديق من قريش .

هذا وقد اورد هذا المستشرق معنى هذه الاية ايضا في ص 62 من كتابه دون ان يكلف نفسه مئونة الاتيان بما قبلها وما بعدها ، لان ما قبلها وما بعدها حجة تدمغ اقوال المكيين ، وتفيل رايهم ، وتفند راي من يسير في ركابهم من المستشرقين المتعصبين .

ويقول في موضع آخر (ص 57) : « وعلى اي حال ، فهناك اثر او حديث مبكر يقول : انه (يعني النبي ص) هو نفسه قد كتب في اليوم الذي ابرمت فيه معاهدة الحديبية . وليس من المحتمل قطعا ان النبي كان مطمئنا وواثقا بشركائه ليقراوا له رسالة او ـ في ايامه الاولى ـ وثيقة (بوليصة) شحن ، ومن المدح الهزيل ان تدعوه بالنبي الامي كما يفعل بعض اتباعه » .

ويقول مستشرق آخر في كتابه : محمد والقرءان (ص 179) ناقلا عن حديث ، الله يعلم من اين اتى به ، لانه ـ كسابقه ـ لا يشير الى المصدر الذي استقاه منه ـ يقول : « ومن جهة اخرى ـ حسب حديث آخر ـ عندما كان محمد يعقد مع المكيين هدنة الحديبية ، وعند ما دعا سكرتيره ليتولى تحرير نص المعاهدة ، صاح في وجهه ممثل القرشيين سهيل قائلا: لماذا لا تكتب انت نفسك ؟ مما يشير الى ان المكيين لم يكونوا يعرفونه اميا » .

فايا من هذين المستشرقين نصدق ؟ الانكليزي ام الاسباني ؟ الاول الذي يعتمد حديثا ويزعم ان النبي (ص) تولى كتابة شروط المعاهدة بنفسه ؟ ام الثاني الذي يعتمد حديثا ايضا ويدعي ان ممثل قريش (سهيل بن عمرو العامري) عنف النبي وطلب منه تحرير المعاهدة بنفسه ؟ ليس احدهما بل كلاهما جديرا بالتصديق ؛ فلن نصدق الا التاريخ الذي هو اعظم شاهد يشهد بأن النبي (ص) استدعى سيدنا علي ابن ابي طالب ـ احد كتاب الوحي ـ ليتولى تحرير الشروط التي كان يمليها الرسول عليه السلام ، بينما كان سهيل يتدخل احيانا لتصحيح بعض الكلمات او املاء بعض الشروط . وفي اعتقادي ان ليس هناك اثر خاص او حديث مأثور ، استند اليه هذا او ذاك ، كل ما في الامر انهما مخطئان ، ومصدر خطئهما سوء فهمهما للنقاش الذي دار بشأن تحرير شروط الحديبية . فقد امر رسول الله (ص) كاتبه علي بن ابي طالب ان يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل : « لا اعرف هذا ؛ ولكن اكتب (باسمك اللهم) كما كنت تكتب(1) » .

فهذه العبارة (اكتب .... كما كنت تكتب) كانت الفخ الذي وقع فيه هذان الكاتبان . وزيادة في الايضاح اقول : كانت قريش تبدا كتبها بعبارة (باسمك اللهم) وكذا كان يفعل رسول الله في بعض كتبه حتى نزل قوله تعالى : « وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها » فكتب (بسم الله) ، ثم نزل « قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن » فصار يكتب (بسم الله الرحمن) ولما نزل قوله تعالى : « انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم » أصبح النبي يصدر رسائله كلها بالبسملة كاملة .

وهكذا نرى ان ممثل قريش حينما قال (اكتب ... كما كنت تكتب) انما كان يعني : من كاتبك ان يكتب الجملة التي كنت تستفتح بها كتبك من قبل .

ويتحدث الكاتب الحر توماس كارليل عن أمية محمد (ص) فيقول : « ... ثم لا ننسى شيئا آخر وهو انه لم يتلق دروسا على استاذ ابدا ؛ وكانت صناعة الخط حديثة العهد اذذاك في بلاد العرب . ويظهر لي ان الحقيقة هي ان محمدا لم يكن يعرف الخط والقراءة وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء واحوالها ؛ وكل ما وفق الى معرفته هو ما امكنه ان يشاهده بعينيه ، ويتلقى بفؤاده من هذا الكون القديم النهاية .

« وعجيب ـ وايم الله ـ امية محمد ! نعم ، انه لم يعرف من العالم ولا من علومه الا ما تيسر له ان

1) الاستاذ احمد زكي صفوت : جمهرة رسائل العرب ، ص 30 ـ 31 .
الدكتور محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص 363 .
الشيخ محمد الخضري : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ج 1 ، ص 126 .
الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج 1 ، ص 166 .

يبصره بنفسه ، او يصل الى سمعه في ظلمات صحراء العرب ، ولم يضره ، ولم يزر به انه لم يعرف علـــوم العالم ، لا قديمها ولا حديثها ؛ لانه كان بنفسه غنيا عن كل ذلك ؛ ولم يقتبس محمد من نور اي انسان آخر ، ولم يغترف من مناهل غيره (2) » .

اما الكاتب الامريكي هليـر V. M. Hillyer فيقول : « ومن وقت لآخر ، كانت تنزل على النبي آيات من السماء ، ولما لم يكن في استطاعة النبي ان يقرأ او يكتب ، فقد كلف آخرين ان يكتبـوا لـه على سعـف النخل ، وعند ما جمعت تلك الآيات تألف منها كتـاب كبير هو القرءان الكريم (3) » .

هذا ، والصحيح المعول عليه ان امية النبـي العربي كانت أمرا لا جدال فيه الا من المكابرين المعاندين ، ولاميته (ص) دلائل قاطعة اهمها :

ا ــ هذا الجيش العرمرم من جلة الصحابة الذين كانوا يتولون كتابة الوحي عنه ؛ وفيهم من تولى الخلافة عنه وهم ابو بكر عبد الله بن ابي قحافة ، وعمـر بـن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ؛ وفيهم غير هؤلاء الزبير بن العوام ، وعبد الله بن مسعـود ، وابي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية بن ابي سفيان ، وكان هذان الاخيران اكثرهم كتابة عنه (ص) . وهناك آخرون سنذكرهم فيما بعد .

فلو كان صلى الله عليه وسلم يقـرا ويكتـب ، لتولى الكتابة بنفسـه ، فذلك اسلم لمن يريد التعديل والتحوير فيما يكتب ؛ اما اذا سجله مسجلون ، ودونه كتاب ، فلا مجال بعد ذلك لاي تعديل او تنقيح .

ب ــ حينما كانت قريش تستعد لغزوة احـد ، وتتاهب لتثار لقتلاها في غزوة بدر ، بعث العبـاس بن عبد المطلب ــ وكان بمكة ــ كتابا الى ابن اخيه النبـي (ص) يخبره باستعداد قريـش وخروجهـم اليـه . استدعى الرسول عليه السلام كاتبه ابـي بن كعـب ، وطلب منه قراءة الكتاب ؛ وحينما انتهى ابي من قراءته استكتمه النبي ما فيه . . . وهذا دليل على اميته (ص) لانه لو كان قارئا لقراه هو ، وكفى نفسه مئونة تكليف ابي القراءة ، ثم استكتامه فحوى الكتاب .

ج ــ ما وقع في تحرير معاهدة صلح الحديبية ، فقد املى النبي على كاتبه قوله : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . . . » فقال سهيل ممثل قريش : « والله لو كنا نعلم انك رسول الله مـا صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتـب : محمد ابن عبد الله » . فقال صلى الله عليه وسلـم : « والله اني لرسول الله ، وان كذبتموني . . . » ثم قال لعلي : « امح (رسول الله) » ، فأجاب كرم الله وجهه : « والله لا امحوك ابدا » ، فقال (ص) « ارنيه » فاراه اياه فمحاه بيده الشريفة (4) .

فلو كان الرسول الاعظم يقرأ ويكتب ، لمحا الكلمة دون مساعدة احد .

د ــ ومثل ذلك وقع حينما وفد على النبي (ص) وفد ثقيف وسالوه شروطا ، فقال لهم : « اكتبوا مـا شئتم ثم ائتوني به » . وطلبوا من سيدنا علي ان يكتب ويحل لهم الربا والزنا فابى . وسالوا كاتب الوحـي الثاني خالد بن سعيد بن العاص أن يكتب ؛ فنبهه علي الى مطلبهم الصعب ، فقال خالد : اكتب ما قالوا ورسول الله اولى بأمره .

فلما قرئت الشروط على النبي ، وانتهى القارىء الى كلمة « الربا » قال النبي للقارىء : ضع يـدي على الكلمة ، فوضعها فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا » ثم محا الكلمة . . . وفعل (ص) مثل ذلك حينما بلغ القارىء كلمة « الزنـا » اي انـه طلب وضع يده عليها فلما وضعها قرا : « ولا تقربـوا الزنا » ثم محاها . وأمـر بالكتـاب ان ينسـخ مـن جديـد (5) .

هـ ــ ومن الادلة القاطعة على اميته (صلى الله عليه وسلم) تلك الآيات الكريمة المتعددة الواردة في القرءان المجيد : قال تعالى : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم . . . » وقال : « الذين يتبعون الرسول النبـيء الامي . . . » وقال عز من قائل : « وما كنت تتلـو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك » .

لغـة القـرءان :

يقول متعنت : « وفيما يتعلق بالاخيـر (يعنـي القرءان) يوجد جدال ــ كما سنرى بعد ــ حول ما اذا

---

2) الابطال (ترجمة محمد السباعي) ، ص 50 .

3) تاريخ العالم (ترجمة ابراهيم ميخائيل عودة) ص 251 .

4) جمهرة رسائل العرب ج 1 ، ص 31 .

5) ابراهيم الابياري : تاريـخ القرءان ص 49 .

كانت اللغة التي املى بها محمد كتابه كانت دارجة قرشية رفعت فيما بعد الى درجة اللغة الرسمية للعرب ، او انها كانت لغة ادبية ، ذلك الفن المستخدم بصفة خاصة لدى الشعراء ، عربية المعلقات او القصائد التي نالت الجوائز في مواسم عكاظ ، والتي جمعت في ديوان الحماسة (6) » .

واقول لهذا ما ذا نرى من فرق جسيم بين لغة قريش ولغة المعلقات ؟ هل لغة قريش هي شيء آخر غير تلك اللغة التي كان يقرض بها شعراء الجاهلية مثل عنترة وزهير والنابغة اشعارهم ؟ هل يوجد خلاف بين لغة هؤلاء الشعراء ، ولغة القرءان الكريم ؟ .

ان احدا لا يستطيع ان يتصور وجود خلاف بين لغة هؤلاء الشعراء وامثالهم ، وبين لغة قريش ؛ او بين هاتين وبين لغة الشعراء الجاهليين الذين وصلتنا اشعارهم ومعلقاتهم ، فلغات القبائل العربية ـ ان صح أن نطلق على لهجة كل قبيلة لفظ لغة ـ هي ذات منبع واحد ، واصلها لا يختلف ، وقد اختلفت الفروع اختلافات طفيفة نتجت عن تباعد المسافة وظروف اخرى محلية من طبيعية واجتماعية ؛ ولكن الاتصالات بين القبائل والتقاءاتها المنتظمة بسبب الحج والحرب والتجارة والاسواق والمواسم التي كانت تقام بين فترة واخرى ، كل ذلك جعل الصراع بين لهجاتها قائما على قدم وساق ، وجعل احداها تنتصر على ما عداها ، وهي لهجة قريش التي لم تسلم من احدى نتائج الصراع وهي احتفاظها ببقايا من اللهجات المغلوبة على امرها . وبما أن فترة الصراع بين هذه اللهجات سبقت ظهور الاسلام ومجيء الشعراء الجاهليين المعروفين لدينا ، فان القرءان والشعر الجاهلي جاء بلغة (7) قريش ، وهذا امر طبيعي ، لان القرءان ـ معجزة محمد الباقية ـ نزل ليتحدى العرب كافة ؛ هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فان الشاعر ـ لسان قومه والذائد عن مفاخرهم ـ انما كان يقرض شعره باللغة المفهومة لدى جميع العرب .

ورد في الحديث النبوي الشريف : « انزل القرءان على سبعة احرف» . ووجه هذا الحديث عدة توجيهات من اهمها ذلك الذي يفسر الحرف باللغة ، اي ان القرءان عربي اللسان نزل معظمه بلغة قريش واقله بلغات قبائل مضرية اخرى ست هي : كنانة بن خزيمة، وأسد بن خزيمة ، وهذيل بن مدركة ، وضبة بن طابخة ابن الياس بن مضر ، وبنو سعد بن هوازن بن قيس عيلان ، وثقيف بن هوازن ايضا ؛ فهذه القبائل بالاضافة الى قريش كلها مضرية ؛ ولغاتها كلها ممثلة في القرءان الكريم ، وهي متقاربة بالطبع ؛ قد تختلف في معنى كلمة او في اعرابها او في نطق بعض حروفها ، وقد تختلف في مثل الترقيق والتفخيم والابدال والامالة وما اشبه ، وهذا امر طبيعي في سائر اللغات ولدى سائر الشعوب ، ولكنها ـ مع ذلك ـ كلها عربية مضرية سليمة غير ملحونة .

يقول احد الباحثين : « وهذا الوحي الهم الرسول معناه كما الهم لفظه ؛ فهو بمعناه ولفظه من صنع السماء ، والرسول ناطق بلسان السماء يملي على قومه ما املته عليه السماء ، يصور ما تصور في وعيه ، وينطق بما انطقته السماء . ولسان الرسول عربي ، ولهذا جرى القرءان على لسانه عربيا (8) » .

وفي هذا المجال يقول احد العلماء : « القرءان معنى قديم قائم بذات الله تعالى ، يلفظ ويسمع بالنظم الدال عليه ، ويحفظ بالنظم المخيل ، ويكتب بنقوش وصور واشكال موضوعة للحروف الدالة عليه ، كما يقال : (النار جوهر محرق) ، يذكر باللفظ ويكتب بالقلم ، ولا يلزم منه كون حقيقة النار صوتا وحرفا (9) » .

وجمهور العلماء ومؤرخي الادب العربي على ان القرءان من نوع النثر ، وان كان يمتاز عن النثر العربي المعهود بميزات جعلت له شخصيته المستقلة واسلوبه الخاص . يقول ابن خلدون : « واما القرءان وان كان من المنثور الا انه خارج عن الوصفين (السجع والنثر المرسل) وليس يسمى مرسلا مطلقا ولا مسجعا ، بل تفصيل آيات ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ، ثم يعاد الكلام في الاية الاخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية (10) » .

---

6) Mahoma y el Koran, p. 174

7) الدكتور علي عبد الواحد وافي : قصة اللغة ، ص 104 و 108 ، طبعة خامسة 1962 .

8) ابراهيم الابياري : تاريخ القرءان ، ص 83 .

9) محمد حقي النازلي : خزينة الاسرار ، ص 9 .

10) المقدمة ص 499 ، ط . القاهرة 1930 ، ثم الاسكندري وعناني : الوسيط ، ص 100 ، والسباعي بيومي : تاريخ الادب العربي ، ج 2 ، ص 36 ، والدكتور محمد نبيه حجاب : بلاغة الكتاب ، ص 47 ، طبعة اولى 1965 .

غير ان بعض المستشرقين وتبعهم بعض الباحثين العرب ، استغلوا اسلوب القرءان المستقل هذا ليزعموا أن القرءان ليس شعرا ولا نثرا . وهدفهم من وراء ذلك تاكيد شكوكهم حول وجود نثر فني عربي في العصر الجاهلي يستحق منهم الدراسة ؛ مع ان القرءان نزل ليتحدى الناثرين في الجاهلية ، فان عجزوا عن محاكاته والاتيان بمثله ، كان ذلك احد أوجه اعجازه،وكان ادعى لتصديق محمد في رسالته الخالدة.

واسلوب القرءان هذا هو الذي خدع العبريين زمن النبي (ص) فقالوا : ان القرءان شعر والنبي شاعر، ذلك انهم قبل ان يقتبسوا من العرب الوزن والتقفية ، لم يكونوا يشترطونهما في شعرهم فظنوا القرءان شعرا.

معنى اقرا :

ان ترجمة القرءان الى اية لغة اوربية تفقده كثيرا من معانيه السامية ، وجمال اسلوبه البديع ؛ وها هوذا احد الغربيين يشهد بذلك قائلا : « والواقع ان كثيرا من المترجمين الاوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ بجمال الاصل فحسب ، بل كانوا الى ذلك مفعمين بالحقد على الاسلام الى درجة جعلت ترجماتهم تنوء بالتحامل والتغرض . ولكن حتى افضل ترجمة ممكنة للقرءان في شكل مكتوب لا تستطيع أن تحتفظ بايقاع السور الموسيقي الآسر ، على الوجه الذي يرتلها به المسلم ؛ وليس يستطيع الغربي أن يدرك شيئا من روعة كلمات القرءان وقوتها ، الا عند ما يسمع مقاطع منه مرتلة بلغته الاصلية (11) » .

وفي نطاق ذلك العجز المشفوع بالحقد والتحامل والتغرض ، ما نجده عند الذين حاولوا ان يهزاوا بالعرب والعروبة والاسلام حينما ترجموا بعض مفردات القرءان بما يتفق وهواهم ودعاويهم المغرضة . لقد فسروا لنا – مثلا – كلمة (اقرا) التي وردت في الحديث النبوي الشريف ، وافتتحت بها اول سورة نزلت من القرءان تفسيرا مدهشا ، وغرضهم من ورائه بالطبع ان يفهموا القارىء العربي ما لم يكن ليفهمه من الكلمة الاصلية ، او يحملوا تلك الكلمة ما لا تقدر على تحمله .

اجل ، انهم يترجمون كلمة (اقرا) بكلمة (سمع) او (اعرض بلغة « المسيد » عندنا) فهذه الترجمة في نظري تقتضي ان النبي (ص) سبق له ان كتب او قرا وحفظ هذا الذي يطلب منه تسميعه او عرضه ؛ تماما كما يسمع التلميذ او يعرض درس محفوظات سبق له ان كتبه أو قراه وحفظه اما في الفصل الدراسي او خارجه . وممن ترجم الكلمة بهذا المعنى ارنست رنان (23 – 1892) Ernest Renan المشهور بتعصبه وشعوبيته ضد العروبة والاسلام والساميين عموما

وهكذا نجد من كانت لغته اسبانية مثلا لا يترجم الكلمة (اقرا) بلفظة Lee بل يترجمها بـ Recita ومن كان انكليزي اللغة ترجمها بـ Recite بدل Read وهكذا . بينما كلمة اقرا هنا تتضمن شيئا جديدا ؛ شيئا من المبادهة او المفاجاة ، اي ان النبي (ص) لم يسبق له أن قرا أو دون شيئا بيده ، وانما هو سيتلو ما يمليه عليه جبريل عليه السلام . فالقراءة في رايي تشمل ثلاثة انواع :

أ – ان ينظر الواحد منا في ورقة او رسالة او كتاب ، فيقرا ما يقع عليه بصره ، اما سرا واما جهرا .

ب – ان يقرا او يردد ما يقال له ؛ كما يفعل الاطفال الصغار قبل ان يتعلموا الخط ؛ ولا تكون هذه القراءة الا جهرا .

ج – ان يقرا ما كان قد كتبه أو حفظه . وكما تكون هذه القراءة سرية تكون جهرية ، فان كانت جهرية كانت تسميعا كل هذه المعاني ممثلة في القرءان الكريم :

فالمعنى الاول يوجد في مثل قوله تعالى في سورة الاسراء خطابا الشخص المحاسب يوم القيامة : « اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » . وورد عن قتادة رضي الله عنه : ان الذي لم يكن في الدنيا قارئا يكون قادرا على القراءة ذلك اليوم (12) ... وقد ترجم الامر بالقراءة في هذه الاية الكريمة ترجمة صحيحة : Read (13) .

ويوجد المعنى الثالث في مثل قوله تعالى في سورة المزمل خطابا للمصلين : « فاقراوا (13) ما تيسر من القرءان ... فاقراوا ما تيسر منه » وكذا في سورة الاسراء « وقرءانا فرقناه لتقراه على الناس (13) على مكث » ... فقد ترجم فعل القراءة هنا بالمرادف

---

11) روم لاندو : الاسلام والعرب (ترجمة منير البعلبكي) ص 36 – 37 .
12) الزمخشري : الكشاف ج 2 ، ص 354 .
13) N. J. Dawood: The Koran, p.p. 235, 59, 228, 26, ed. 1961.

الصحيح في اللغة الانجليزية Recite لان القرءان هنا في معنى التسميع والتلاوة بعد الحفظ .

اما المعنى الثاني فيوجد في مثل الحديث الشريف الوارد عن السيدة عائشة ام المومنين : « ... فجاءه الملك فقال : اقرا ! قال : ما انا بقارىء ... » وفي مثل قوله تعالى : « اقرا باسم (13) ربك الذي خلق.. اقرا وربك الاكرم ... » وهذا المعنى هو الذي لم يوفق المستشرقين الى ترجمته ترجمة صحيحة ، او لم يريدوا ان يوفقوا اليها ؛ فكتبوا : Recita او Recite بينما الواجب ان يقولوا : Lee او Read فهذا هو المراد هنا :

هذا وقد وفق اصحاب مكتبة Bergua في ترجمتهم للقرءان حيث ترجموا اول سورة العلق باللفظ (14) المناسب . اما مترجم كتاب فيليب حتي « تاريخ العرب » الى الاسبانية فاتى بكلمة أخرى غير ما سبق وهي كلمة Habla (15) اي تكلم ، وهي ترجمة غير دقيقة ايضا ؛ ولكنها اخف ضررا .

وليس هذا فحسب ، بل ان سوء الترجمة قد اوقع بعضهم في غلط عربي آخر فادح فلنستمع مثلا الى N. J. Dawood وهو يقول في مقدمة ترجمته للقرءان الكريم : « وأتاه جبريل الملاك ، وقال : سمع ، فاجاب : ما ذا سأسمع ؟ What shall I recite (16) وبدهي ان هذا المعنى ليس مرادا ؛ وانما المراد : ما انا بقارىء ، اي لست في العادة من الذين يستطيعون القـراءة .

لقد خفي عليهم امر (ما) هذه فحسبوها استفهامية بمعنى (أي شيء) او (ماذا) بينما هي في الحقيقة نافية بدليل الباء التي زيدت في خبرها. ولعل هذه احدى الدقائق التي لم يتفطن لها هؤلاء الذين يدعون العلم بلغة العرب واسرارها ، ويتهجمون على القرءان ومعانيه والفاظه وتراكيبه واعجازه ؛ ومع ذلك لا يلبثون ان تفضحهم كتابتهم، وينم عنهم عجزهم ، ويعميهم الهوى والتعصب .

(يتبـع) **تطوان : عبد الله العمراني**

(14 El Koran, p. 507, 4ª ed.

(15 Historia de los Arabes, traducción de L. R. Velasco, p. 90.

(16 The Koran, p. 9.

قال ابو عبد الرحمن السلمي :

حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرءان ،كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما ، انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر ءايات ، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرءان والعلم والعمل جميعا .



ان اشد ما تحتاج اليه امتنا اليوم هو التماس « القدوة » فى تاريخنا والبطولة فى ماضينا والعبرة فى تراثنا العربي الاسلامي الحي المتجدد المرتبط بالحياة لا ينفك عنها ، هذا التراث الحافل بالبطولات والمواقف الخالدة التي قامت على الايمان الصادق بالاهداف الرفيعة والمثل العليا والقيم الانسانية ، ولطالما كان التاريخ سلاحا بعيد المدى فى مواقف التحدي وساعات الحرج التي تمر بها الامم ، ولطالما كانت اعمال الابطال والقادة منارا يضيء الطريق امام الامم فى ابان يقظتها واوان التطلع الى مواقف الشرف والفخار ، ما احوجنا الى مراجع هذه البطولات من وجهة نظر مسلمة ؛ لا تقدر البطولة الا على انها عمل ايجابي يضيف لبنة فى بناء الاسلام نفسه ؛ وليس ذلك التقدير الغربي ، القائم على تقديس الفرد او تكريمه لشخصه ، فالاسلام ينظر الى اعلامه وقادته على انهم حملة الالوية على راس الموجات والمراحل ، يجددون شباب الاسلام فى مجالات الدفاع عنه والدعوة اليه وبناء حضارته وتصحيح مفاهيمه ، ولقد كانت ابرز مفاهيم الاسلام فى البطولة هي بطولة القوة واليقظة والمقاومة والرباط فى سبيل الله .

1) فبذا « **خالد بن الوليد** » : الفاتح البطل الذي لم يهزم قط ، والذي كان كالقضاء النافذ يحصد حصدا ولا يدع لخصمه فرصة للنصر ، فما ان يدخل المعركة حتى يتجه الى قائدها فى كتيبة من المبايعين على الموت فيبارزه ويقضي عليه فتنهار معنوية جيشه ويضطر الى التسليم ، ومن مواقفه الرائعة : مسيره بالجيش من العراق الى الشام فى مفازة لا ماء بها ، يوم اعطش الابل ثم سقاها وكمم افواهها ومضى ينحرها على مراحل الطريق فيروي الناس والخيل .

2) و « **سعد بن ابي وقاص** » : الذي اقتحم نهر دجلة برجاله فعبر الى الضفة الاخرى ، وكان العرب لا يعرفون البحر فدفع ستمائة من رجاله على راسهم عاصم بن عمر على خيولهم ، فما بلغوا الضفة الاخرى، اندفع بفرسانه الى لجة النهر فامتلأ بالخيل فلم يكن ماؤه فى تلك الساعة ليرى ؛ ولعله مما لم يقع لقائد ان يقود معركة حاسمة وهو منبطح على وجهه ، وفى صدره وسادة يشرف على الناس فى ميدان المعركة ويرمي بالرقاع فيها امره ونهيه ، ولكن ذلك ما وقع لسعد فى القادسية التي انتصر فيها المسلمون انتصارا مظفرا فقد كره ان يدير المعركة من وراء ستار ، فيقف ذلك فى عضد الناس ، فقال : احملوني واشرفوا به ، على الناس ، فلما واجه الجند هتفوا وهللوا فناداهم بقوله: اذا سمعتم التكبير مني فشدوا شموع بغالكم ، فاذا كبرت الثانية فتهيئوا ، فاذا كبرت الثالثة فشدوا النواجز على الاضراس واحملوا .

3) و« **عقبة بن نافع** » : الذي انطلق فى عشرة آلاف يزحف ويخترق تونس والجزائر ويذهب الى بلاد الزاب وينتصر على الروم حتى وصل طنجة ، وهناك وقف ونظر الى الشاطيء الآخر ، حيث تستوي اسبانيا، وفكر فى اقتحام البوغاز ، ولكنه فضل ان يتجه جنوبا

الى بلاد السوس الادنى ؛ ثم سار متجها غربا يفتتح البلاد حتى وصل شاطىء المحيط ، وكانت لحظة رهيبة فى حياته ، فقد دفع حوافر فرسه فى البحر حتى كاد يغمره الماء ، وهو يتطلع الى المحيط فى اتساعه ولا نهائيته ، وقال كلمته الخالدة « والله لو اعلم ان وراءك ارضا لذهبت اليها غازيا فى سبيل الله » .

4) و« **قتيبة بن مسلم** » : المسلم المجاهد الذي اندفع من مزارع الزيتون فى الشام حتى وصل حدود الصين ؛ فى جيش كثيف ، وارسل الى ملك الصين وفدا فاعادهم الملك ساخرا وقال لهم: قولوا لصاحبكم ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة أنصاره ؛ قال : كيف يكون قليل الاصحاب من اول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون ، وكيف يكون حريصا من خلق الدنيا وغزاه ، اما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فاكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه .

5) و « **محمد ابو القاسم الثقفي** » : فاتح السندق الثالثة والعشرين من عمره .

و « ابو عبيدة بن الجراح » : الذي تلقى الامر بتوليه قيادة الجيش وعزل خالد فرفض ان يبلغ خالد ذلك ابان المعركة ، وكتمه عشرون ليلة حتى علم به خالد من غيره ، وظل بين جنده الذي يحبه حتى بدا طاعون (عمواس) يتفشى فى الجند ، وعلم عمر بالامر ، فاراد أن يحتال له ليرده ، فكتب اليه يستدعيه وعرف ابو عبيدة غرضه وقال : يرحم الله عمر ، يريد أن يستبقي ما ليس بباق ، فلما جاءه الموت قال لاصحابه : قولوا لعمر (امير المؤمنين) انه لم يبق من امانتي شيء الا وقمت به واديته ولم يكن فى بيته الا سيفه وترسه .

6) و « **موسى بن نصير** » : القائد الذي لم يهزم له جيش قط ، والرجل الذي كان يطمح فى ان يطوق اوربا فيندفع فاتحا لها من الاندلس حتى يصل الى مقر الخلافة فى دمشق بعد ان يمر بفرنسا وايطاليا والدول الرومانية الشرقية ، وهو الذي بعث طريف بن مالك ، فطارق بن زياد لارتياد الاندلس ، وبقي يوالي الامدادات والنجدات حتى اتسع الفتح ، هناك مضى من الناحية الاخرى حتى التقى بطارق ، ومضيا معا الى عاصمة القوط .

7) و « **العلاء الحضرمي** » قائد أول معركة بحرية فى تاريخ الاسلام ، اعد مائة سفينة شراعية وانزلها البحر واشرف على توزيع جنوده ، وركب معهم بعد ان اخذ عليهم العهد والميثاق وانساب فى عرض الخليج يحمل جنوده البواسل وسفينة العلاء الكبرى تحمل علم الاسلام وتسير فى المقدمة ورماح الجنود وحرابهم مشرعة وسيوفهم مسلولة ، فلما بلغوا ، نشب القتال وحمى الوطيس ، وتمزق شمل الاعداء ، واغرقت سفن العدو ، وتم للمسلمين النصر ونزل العلاء بجنوده الى جزيرة « دارين » .

8) و « **طارق بن زياد** » : صاحب العزيمة الحديدية التي تصوره وهو يحرق مراكبه بعد ان جاز المضيق الى الاندلس ، ومهما يكن من صحة الرواية فانها تعطي صورة عزيمة طارق الجبارة ، وايمانه العميق بالنصر ، وقد كتب للاسلام صفحة ماجدة ، ودفع جنوده واندفع معهم ، وقال كلمته الخالدة : « اني لم احذركم أمرا انا عنه بنجوة وانا ابدأ بنفسي » .

9) و « **المثنى** » القائد البارع الذي حضر المعارك مع خالد بن الوليد ثم تولى القيادة بعده ، وتمكن من مواصلة الفتح ، فتوغل فى داخل ارض فارس ، الى معاقلهم الدفاعية رغم احتدام القتال ، فقد اخترق صفوف العجم وسحق جموعهم الهائلة ، واوقف غزوهم السريع ، وفى معركة نهر جوير ، خرج المثنى وكان يحرس الجسر ، عند تراجع القوات الاسلامية ، بعد مصرع ابي عبد الله مسعود الثقفي ، وكادت تحيق الهزيمة بالمسلمين ، لولا ان وقف المثنى على الجسر فى عدة من فرسان المسلمين وحموا مؤخرة الجيش فى ارتداده ، واثناء عبور النهر امام هجمات الجيوش الفارسية الساحقة ، وفى هذه المعركة اصيب ومات شهيدا ، وفى ابان اصابته كشف حقائق الموقف لخلفه ، ودله على ما يجب ان يعمل .

10) و « **أسد بن الفرات** » : القاضي الذي قاد اساطيل الفتح والفقيه العالم الذى تحول الى أمير من امراء البحر بعد ستي الستين ، خرج على رأس اسطول اللواء على ذراعه حتى صار تحت ابطه ، ولما اشتد به ضخم متجها صوب جزيرة صقلية فى تسعمائة فارس وعشرة آلاف من المجاهدين ، فاستطاع ان ينفذ الى الجزيرة ويهزم الروم فى معركة كبرى ويستولى على سلاحهم ، وقد استشهد فى المعركة ، راى وفى يده اللواء ، فلما حمل الناس معه رؤي والدم يسيل مع قناة الجوع اضطر وجنوده الى اكل لحوم الخيول ، هنالك سعى اليه بعض من طلب منه العودة الى افريقيا فغضب وقال : ما كنت لاكسر غزوة المسلمين وفى المسلمين خير كثير ومضى فى عزيمته حتى فتح اغلب البلاد واستشهد فى سرقسطة على اثر اصابته بالطاعون بعد ان كتب صفحة رائعة فى تاريخ البطولة .

11) و ((**النعمان بن مقرن**)) فاتح نهاوند وشهيدها، وفى اشد المعارك هولا زلق فرسه فى الدماء فصرع الفرس واصيب النعمان ثم صرع ، وكانت آخر كلماته لاخيه ((عجل بالبشارة الى امير المؤمنين وتناول اخوه نعيم بن مقرن الراية فدفعها الى حذيفة بن اليمان ، شارك فى فتح العراق وفارس مع المثنى وابى عبيدة وكان طليعة وفد سعد بن ابي وقاص الى يزدجرد .

ان صورة البطولة العسكرية فى تاريخ الاسلام حافلة بالمواقف الخالدة ، ليس فى مواقف الاعلام البارزين فحسب ، بل فى اعمال المسلمين الذين كانوا يؤمنون بان الحرص على الموت هو مصدر الحياة .

ولعل أصدق وصف للمسلمين فى هذا المجال هو ما صوره احد جنود المقوقس فى مصر حين قال :

((رايت قوما الموت أحب اليهم من الحياة ، والتواضع احب اليهم من الرفعة ، ليس لاحد منهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، اميرهم كواحد منهم ، ما يعرف كبيرهم من صغيرهم ، ولا السيد من العبد ، اذا حضرت الصلاة لم يتخلف منهم أحد)) .

ولكن هل كان جانب البطولة العسكرية وحده هو اعظم جوانب البطولة الاسلامية ، الحق ان هذه البطولة كانت حافلة بالنماذج الباهرة فى كل مجال ، فالى صورة اخرى .

(القاهرة) — **انور الجندي**

قال الاحنف : راس مال الادب المنطق وفصاحته ، ولا خير فى قول الا بفعل ، ولا فى مال الا بجود ، ولا فى صديق الا بوفاء ، ولا فى ثقة الا بورع ، ولا فى صدقة الا بنية ، ولا فى حياة الا بصحة وامن .

الإسلام وهيئة الأمم المتحدة والسلام

. للأستاذ محمد عبد الواحد بناني

قبل ان ادخل فى صميم الموضوع أرى لزاما على ان اهيىء الجو النفسي لبعض القراء الافاضل وخاصة الشباب منهم ، هؤلاء الذين اتخيلهم الان يستغربون، وبحسن نية يتساءلون : ما هي العلاقة بين الاسلام، وبين هيئة الامم المتحدة ؟ .

ان الدين كما عهدنا يبحث فى مسائل الصلاة والزكاة ، والحلال والحرام ، وفى موضوعات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . بينما هيئة الامم المتحدة تبحث فى موضوعات السلم والحرب وتوطيد علاقات الاخاء بين الامم ، وفى التعاون الدولي لحل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ونحوها .. فما هذا الخلط اذن بين ما هو ديني صرف وبين ما هو دنيوي ، او بعبارة اخرى بين الاسلام من جهة ، وبين هيئة الامم المتحدة من جهة اخرى ؟ .

واؤكد لكم ان هذا النوع من الشباب موجود فعلا ؛ وقد التقيت بنماذج منه فى شتى المناسبات وخصوصا بين صفوف التلاميذ فى التعليم الثانوي ، وهم معذورون فى تصورهم القصير — ولا اقول القاصر — للاسلام ومجالاته الحيوية واهتماماته الانسانية ، فهم فى خطب الجمعة ، كما فى الدروس النظامية ، كما فى غير ذلكم من احاديث الوالدين والواعظين ، تصور لهم موضوعات الاسلام واهتماماته كأنها لا تخرج عن دائرة الجنة والنار والترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، بينما الاسلام في حقيقته وجوهره دين متكامل متوازن تأخذ فيه شؤون الاخرة نصيبها الاوفى ولكن فى اعتدال ، وتأخذ فيه شؤون الدنيا نصيبها الادنى ايضا ولكن في اعتدال ، فهو اذن يأخذ بنظرية الاوساط التي تقول : ان الفضيلة وسط بين رذيلتين ، اي مرحلة تتوسط رذيلتين : فالجبن مثلا رذيلة ، والتهور او الطيش ايضا رذيلة ، وبين الجبن والتهور مرحلة وسطى هي الشجاعة ، فالشجاعة اذن فضيلة وخلق جميل . وهي كما رايتم جاءت وسطا بين رذيلتين ، وهكذا بقية الفضائل الاخرى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) .

ولكون الاسلام خاتمة الاديان فقد جعله الباري تعالى منة علينا نحن البشر ، ورحمة بنا واحسانا الينا، متمشيا مع تطورات الحياة ، صالحا لكل زمان ومكان، مستوعبا فى اصوله ومبادئه العامة جميع ما تفتقت او تتفتق عنه العبقرية الانسانية من معاني الفضيلة والخير والحق والنبل ، بحيث لا تجد عند التطبيق نظرية ذات معنى انساني نبيل ، او مغزى سامي عميق ، الا وتجد الاسلام قد سبق قدعا اليها ؛ او على الاقل لا تجد فى نصوصه الصحيحة واصوله العامة ما يتعارض معها ، او يتجافى عنها ، وما دام الامر هكذا فان من اكبر الاساءات التي توجه للاسلام باعتباره دينا ونظاما متكاملا كما ذكرنا ما يتجه اليه بعض المأخوذين بالتيارات الاجنبية مهما كان مصدرها، وبالنظريات غير الاسلامية كيفما كان عقمها وتفاهتها ، اذ يعمدون الى هاتيك التيارات والنظريات فيحاولون

تطبيق الاسلام وتمطيطه وتفصيله وخياطته عليهـا ، متوهمين ان الاسلام لكي يكون دين حضارة ومدنيـة وتقدم وتطور لابد من ان يكون قابـلا للتفصيـل على هاتيكم النظريات بحيث اذا لم يكن قابلا لذلك عنـد التجربة فالعيب في نظرهم يقـع على الاسـلام لا على تلكم النظريات ، في حين ان عكس صنيعهم هو الصحيح الذي يؤيده العقل والمنطق ، وتدعمه التجربة والواقع، اذ الواجب ان نعمد الى النظرية الاجنبية فنختبرهـا ونفحصها بمعيار الاسلام ونصوصه واصوله فاذا قبلها الاسلام قبلناها على اساس انه الاصل وهي الفـرع ، وهو الكل وهي الجزء . واما اذا نبت عن الاسلام ، ولم نجد لها في اصل من اصوله ولا فرع من فروعه مكانـا فالواجب ان نرميها بعيدا ، بل ان نحاربها معارضين ونعارضها محاربين ، لانها تحمل في طيهـا بطلانهـا ، وبين ثناياها تفاهتها وعقمها : (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) . (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرءان لا ياتون بمثله ولو كان بعضهـم لبعض ظهيرا) . (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثلـه مددا) صدق الله العظيـم .

ولنعد الى هيئة الامم المتحدة فنجد انها ولـدت يوم 24 اكتوبر 1945 اذ تم فيه تصديق خمسين دولة تمثل غالبية دول العالم المتمتعة بالاستقلال آنذاك على ميثاق هذه الهيئة الدولية التي جاءت وليـدة حربين عالميتين متتاليتين ، أهلكتا الحرث والنسـل ، والزرع والضرع ، واتتا على الاخضر واليابس ، وخلفتا وراءهما الخراب والاضطراب بما تركتـاه من ملايين اليتامـى والارامل والثكالى والعجزة والمشوهيـن والمشرديـن والمعتوهين ، الامر الذي كان يدعو في الحاح الى اتخاذ موقف عالمي دولي لمنع الحرب في المستقبل ،واستتباب الامن والسلام في شتى انحاء المعمور ، وخرج ميثـاق هيئة الامم ليعلن على الناس ما ياتي :

(نحن شعوب الامم المتحدة قد آلينا على انفسنا:

1) ان ننقذ الشعوب في المستقبل من ويـلات الحرب ، خاصة بعد الحرب العالمية الاولى والثانيـة التي جلبت على الانسانية مرتين احزانا يعجز عنهـا الوصف في ظرف جيل واحد .

2) تاكيد ايماننا بالحقوق الاساسية للانسان، وكرامة الفرد وقدرته ، وبما للرجال والنساء والامـم كبيرها وصغيرها من حقوق متسـاوية .

3) ان تهيء الاحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدت .

4) ان تدفع بالرقي الاجتماعي الى الامام .

5) ان ترفع مستوى الحياة في جو واسع من الحرية . وفي سبيل تحقيق هذه الغايات اعتزمـت شعوب الامم المتحدة التحلي بالتسامح حتى تعيـش جميعا في سلام وحسن جوار . وقد استخدمت شتى الوسائل في ترقية الجوانب الاقتصادية والاجتماعيـة للشعوب جميعها . لذا قررت شعوب الامم المتحدة أن توحد جهودها لتحقيق هذه الاغراض . .

* * *

تلكم هي الخطوط العريضة لوظيفة الهيئة والتي يعمل لتطبيقها والسهر على تنفيذها اجهزة ضخمـة هي : الجمعية العامة ، مجلس الامن ، المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، محكمة العدل الدولية ، مجلس الوصاية، الامانة العامة ، بالاضافة الى منظمات تابعة لها هـي : وكالة غوث اللاجئين ، منظمة الاغذية والزراعة ، منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافـة : (اليونسكـو) منظمة الصحة العالميـة ، البنـك الدولـي للانشـاء والتعميـــر .

* * *

وبديهي ان المثل السامية التي يدعو اليها ويعمل من اجلها ميثاق المنظمة مثـل دعـت اليها الشريعـة الاسلامية ودستور القرءان ؛ فهو يدعـو الى الاخـوة الانسانية ، ومنع الحرب ، والعمل من اجل السـلام ، ويقدس كرامة الفرد ، وينص على كون المراة شريكة الرجل في الحقوق والواجبات ، وبالتالي يدعو الى كل ما فيه تطور وازدهار الامـم والمجتمعـات في شتـى الميـاديـن .

فللدعوة الى الاخوة الانسانية والعمل من اجـل السلام العام :

قال تعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

وقال : (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلـم كافة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان، انه لكم عدو مبين).

وقال : (وان جنحو للسلم فاجنح لها وتوكل على الله .) ولحرص الاسلام على « السلام » جعله شعاره ورمزه حيث يتبادله يوميا مئات الملايين من المسلمين قائلين : السلام عليكم ، ومستمعين : وعليكم السلام ! .

* * *

وعن الكرامة الانسانية ، قال تعالى :

(ولقد كرمنا بني آدم، وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

* * *

وعن المرأة عموما يقول الرسول : (النساء شقائق الرجال في الاحكام) ويستثنى من ذلكم طبعا ظروف خاصة بينها الشرع الحكيم في مكانها .

* * *

واما عن تنظيم المجتمع تنظيما يضمن له التماسك ويدفعه الى التطور والازدهار ، فالتاريخ يذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول عمل قام به بعد هجرته من مكة الى المدينة انه آخى بين المهاجرين والانصار ، معلنا للجميع انه لا يكمل ايمان الفرد المسلم حتى يحب لاخيه ما يحبه لنفسه ؛ فبادر الكثيرون من الانصار بالتنازل عن نصف املاكهم واموالهم للمهاجرين، وهكذا بنى عليه السلام المجتمع في الاسلام على اساس الاخاء والتعاون ، فقضى بذلكم على نار الحسد والغش والاثرة والغدر التي كانت تحرق النفوس والقلوب في ايام الجاهلية ، وكان من نتائج ذلك ان آوى الانصار اخوانهم المهاجرين ونصروهم بل وآثروهم على انفسهم فامتدحهم القرءان بقوله : (يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) ؛ واخذ عليه السلام يعالج التجارة وينبه الناس الى اهميتها في الحياة الاقتصادية للمجتمع (تسعة اعشار الرزق في التجارة) . كما بين الحلال والحرام في المعاملات ؛ فكفت طوائف عن تجارات كانت بضاعتها النساء والخمور ، والربا والقمار ، وبحث الناس عن المهن الشريفة فوجدوها في التجارة او الزراعة او نحوها .

وحكم القرءان بقطع يد السارق فاحس الناس بسلطة القانون وحمايته واطمانوا وساروا يغدون ويروحون بتجارتهم وامتعتهم آمنين مطمئنين بفضل سهر السلطة ويقظتها الممثلة في شخص الرسول وجند المسلمين .

وحظر القرءان التلاعب بالاسعار والموازين والمكاييل (فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم) ، (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) (واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) .

وبذلكم — ومثله كثير — انتظمت الاسواق ، وحسن التعامل واستثمرت الاموال ، فعادت على اصحابها بالفضل الكثير ، فنشط الناس للعمل في التجارة والصناعة والزراعة ونحوها .

وهنا يلتقي تنظيم هيئة الامم المتحدة مع تنظيم الرسول عليه السلام للمجتمع في خط واحد هو منع الحرب والعمل من أجل السلام ، ولكنه ، اي تنظيم الامم المتحدة ، يقصر عن تنظيم الرسول ودستور القرءان في كيفية التطبيق ، فينتج عن ذلكم القصور ما نراه ونعيشه ونشاهده اليوم من وقوف الامم المتحدة حائرة امام اعتداءات وحروب (كاعتداء الصهاينة المتواصل على العرب ، واغتصابهم فلسطين وتجاهلهم قرار الامم المتحدة الذي أتخذ بالاجماع والذي دعا اسرائيل الى عدم ضم القدس اليها ، وعودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم ، وقرار مجلس الامن الصادر بالاجماع ، والذي ينص على وجوب انسحاب الجيوش الصهيونية من الاراضي العربية ورفض اسرائيل الاذعان له .

اما بيان ذلكم فهو ان النبي عليه الصلاة والسلام وهو يبث الدعوة للاسلام كان مشركو قريش يعاندونه ويطاردونه بينما الصفوة الفاضلة من شبانهم يسلمون ويناصرونه ، فذاع صيته في الجزيرة، وشاع أمر الدين الجديد ومعاندة قريش له ، وكان ذلك حافزا على أن تبعث القبائل وفودا تستطلع خبر النبي ودينه الجديد ، وكان عليه السلام يبث في هذه الوفود دعوته للاسلام ويقرا عليهم ما يتيسر من القرءان ، حتى اذا آنس منهم رشدا طلب ان تعين كل قبيلة نقيبا لها ذا راي ونفوذ فيكون مسؤولا عن سلوكها بان يتركوا عادات الجاهلية من نهب وسلب ، وتعد وحرب ، وأن يتكون من هؤلاء النقباء

مجلس مهمته القضاء والحكم فيما يقع من خلاف بين طائفة واخرى ، وان تبعث كل قبيلة بعريفها ــ وهو رئيس جيشها ! ــ لتتكون من هؤلاء العرفاء هيئة تقوم بتنفيذ ما يحكم به النقباء وتعين لكل من العرفاء والنقباء كتاب بلغ عددهم اثنين واربعين كاتبا اذذاك ، وتدل كثرتهم هذه على ان المهمة التي كلفوا بهـا عظيمـة وجسيمـة ! .

اما دستور هذه المنظمة فهو قوله تعالى :

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ؛ فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين .)

وعلى هذا الاساس كان مجلس النقباء يقوم بمحاولة الاصلاح بين الطائفتين المتنازعتين اولا ، فان بغت وطغت وتجنت وظلت احداهما ولم تمل الى السلم وآثرت الحرب والاعتداء قرر مجلس النقباء قتالها جماعيا ! .

وبهذا اوجد النبي الحكيم والزعيم العظيم محمد عليه الصلاة والسلام تبعة ومسؤولية مشتركة ومتبادلة بين سائر القبائل في جزيرة العرب ، وقد كان عليه السلام بعيد النظر اذ اوجد بجانب مجلس الحكم هيئة للتنفيذ ؛ فكان المجلس مهيب الجانب ، مرهوب الكلمة ؛ نافذ الارادة ، يقول ويعمل ، ويامر فيطاع ، ولا سيما والنفوس البشرية تختلف :

اذا انت اكرمت الكريم ملكتـه
وان انت اكرمت اللئيم تمـردا

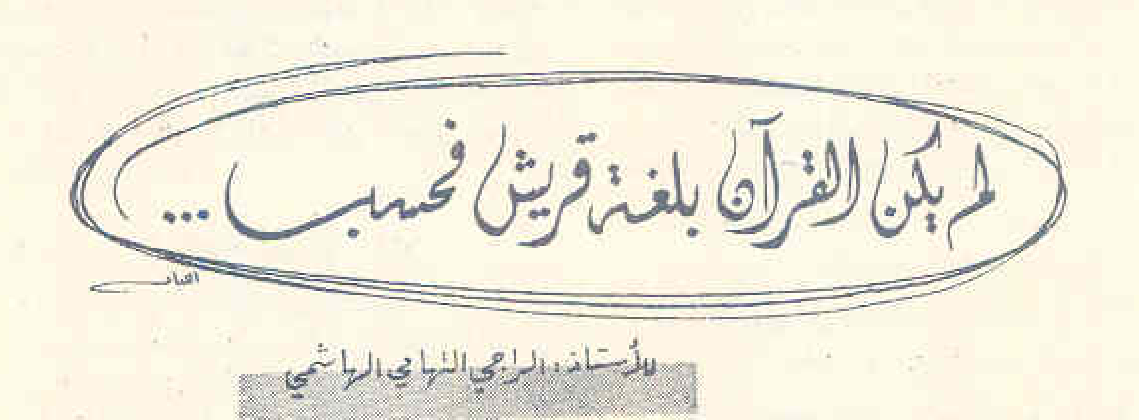
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندى

فلعل وعسى تصل الانسانية عن طريق منظمتها العتيدة قريبا الى النضج السياسي فتعامل اسرائيل ومن نحا نحوها من اعداء السلم وعشاق الحروب بالطريقة الاسلامية العملية حتى تفيء الفئة الباغية الى الطريق القويم والصراط المستقيم .

الرباط : محمد عبد الواحد بناني

ـ من كيدهن ـ

قال ابو اليقظان : كان يقال لعبد الملك بن مروان : ابو الذبان لشدة بخره. يريدون ان الذباب يسقط اذا قارب فاه من شدة رائحته . قال : ونبذ الى امراة . له تفاحة قد عضها ، فاخذت سكينا ، فقال لها : ما تصنعين ؟ قالت : اميط عنها الاذى، فطلقهـا .



- 13 -

12 ـ القبيلـة : طـيء :

تكون « طـيء » مع « همـدان » و « الازد » و « مذحج » القبائل الاربعة الضخمة التـي تتحـدر من كهلان . وبنو كهلان هم الذين ورثوا رياسة البادية ، واعني امارة اطراف اليمن وثغورها بعد حمير . وطيء لقب لجد جاهلي قديـم يقال ان اسمه الحقيقـي كان جلهمة . كان موطنهم الاصلي اليمن ثم انتقلـوا ـ في وقت يصعب تحديده ـ الى جبلي : « اجا » و « سلمى » من بلاد نجد (1) . وكانوا يعبدون في مسكنهم الجديد هذا صنمهم المدعو « الفلس » .

ويعد عدد كبير من فاتحي الاندلـس من هـذه القبيلة . واما اصل هذه الكلمة اللغوي فالغالـب على الظن انها من الطاءة ، التي بمعنـى الابعـاد في المرعى . والنسبة اليها طائي .

شاركت هذه القبيلة في القرءان الكريم بخمـس مفردات ؛ اربعة منها في البقرة ، وواحـدة في هـود ؛ وتفصيلها كما ياتي :

1 ـ كلمة : « **رغـد** » الموجودة في سورة البقرة الاية 35 التي يقول فيها عز وجـل : « وقلنـا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ؛ ومعناها بلغة طيء خصب . « وقراها النخعي بسكونها (2) » .

2 ـ المفردة « **رجـز** » في سورة البقـرة أيضا الاية : 59 « فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيـل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » ومعناها بهذه اللغة التي نتحـدث عنهـا ، العذاب،ويرى عدد كبير من المفسرين ان هذا العذاب هو الطاعون الذي انزله الله على « الذين ظلموا » من قوم موسى حين خالفوا امر ربهم ؛ والذي قتل منهم ، في ساعة واحدة ، ما يزيد على اربعة وعشرين الفا .

ولا شك أن المصاب بالعذاب ، أي عـذاب كان ، مضطرب اشد الاضطراب ، لا يهدىء لـه بـال ؛ ولا يستريح له عقل . ومن هنا راى كثيـر من المفسريـن ان (3) « اصل الرجز الاضطراب ، ومنه قيـل رجـز البعير رجزا فهو ارجـز ، وناقـة رجزاء اذا تقـارب خطوها واضطرب لضعف فيها » .

3 ـ اللفظة « **سفـه** » في الاية 130 من سـورة البقرة ، التي يقول سبحانه فيها : « ومن يرغـب عن

1) الاعـلام ج 3 صفحـة 337 .
2) الالوسـي . روح المعاني الجزء الاول صـفحـة 234 .
3) المفردات في غريـب القـرءان صـفحـة 187 .

ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين » ومعنى سفه هنا خسر . والذي خسر نفسه في عذاب اليم . واعتمادا على ما سبق ان قلنا في اللفظة الثانية من هذه الحلقة ، يكون المعذب مضطربا ابدا . ولهذا قيل: « زمام سفيه » كثير الاضطراب ، وهذه « خفة في البدن (4) طبعا ، لكن مسببها هنا الهلع الشديد . واصله ، بصفة عامة ، الخفة (5) والحركة (6) » .

4 ــ الكلمة : « **نعق** » من سورة البقرة الاية 171 « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون » . ومعناها بلغة طيء يصيح ، وقد تبدل العين منه غينا (7) ، شان عدد لا يحصى من المفردات السامية التي اختلطت حروفها على مدونيها ــ وسترد حين يتيسر ان شاء الله ، بحثا مستقلا لذلك . قال الامام شهاب الدين البغدادي (8) : « نعق الغراب نعاقا ونعيقا اذا صوت من غير ان يمد عنقه ويحركها ، ونغق بالغين بمعناه (9) .

5 ــ كلمة « **ابنه** » في قوله تعالى : « وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » الاية 42 من سورة هود ، ومعنى هذه الكلمة بلغة طيء ، يقول ابو القاسم ابن سلام (10) : « ونادى نوح ابنه أي ابن امرأته ، بلغة طيء ويؤيده قراءة « ونادى نوح ابنها » وهي شاذة » . ومعلوم ان هذه القراءة الشاذة هي لعلي بن ابي طالب رضى الله عنه (11) . اما محمد بن علي وعروة بن الزبير فقد تخلصا من هذه القضية بشكل بارع حين قرا ابنه بفتح الهاء (12) .

13 ــ لهجة سكان حضرموت :

1 ــ كلمة « **ربيون** » الكائنة في الاية 146 من سورة آل عمران والتي يقول فيها جل شأنه : « وكاي من نبيء قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » ويظهر ان هذه اللفظة سمعت اول ما سمعت بين سكان حضرموت ، في وقت يصعب على تحديده . ولذا عده العلامة الامام ابو القاسم بن سلام (13 من لهجة اهل حضرموت ، الا انه اتضح الان ، وبشكل يكاد يكون قطعا ، ان اصل هذه المفردة آرامية ؛ واصلها « ربة » بكسر الراء وتضعيف الباء ، التي تعني جماعة كثيرة من الناس (14) . وهي في هذه اللغة ܪܒܘܬܐ (rébouto) ولقد فطن لذلك قديما العلامة الراغب الاصفهاني فقال (15) :

---

4) الراغب الاصفهاني صفحة 234 .
5) الكشاف الجزء الاول صفحة 95 .
6) الصحاح الجزء السادس صفحة 2234 .
7) ابن السليت القلب والابدال صفحة 32 .
8) تفسير روح المعاني الجزء الاول صفحة 41 .
9) ولقد خصص المرحوم J. Cantineau في كتابه القيم « Cours de philologie arabe » فقرات مهمة لابدال العين بالغين صفحة 94 .
ــ كما ان المقال المهم الذي نشره المستشرق R. Rusicka في « الوثائق الشرقية عدد (1954) صفحة 176 الى 237 تحت عنوان La question de l'existence du gh dans les langues sémétiques en général et dans la langueougaritienne en particulier.
يعد بحق مرجعا مهما في هذا الباب لكل من اراد ان يكون فكرة صحيحة عن هذه القضية ، سواء من اللغويين او القرئين او مؤرخي اللغة .
10) ذيل تفسير القرءان العظيم (الجللين) الجزء الاول صفحة 194 .
11) Materials for the history of the text of the Qur'ān صفحة 187 .
12) الكشاف الجزء الثاني صفحة 217 .
13) حاشية تفسير القرءان الكريم للامامين جلال الدين محمد بن احمد المحلى، وجلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر السيوطي ، الجزء الاول صفحة 66.
14) الاب رفاييل اليسوعي : غرائب اللغة العربية صفحة 182 .
15) المفردات في غريب القرءان ، صفحة 184 .

« وقيل ربانى لفظ فى الاصل سريانى ، واخلق بذلك ، فقلما يوجد فى كلامهم » ومعلوم ان الربى كالربانى .

وقد قرئت هذه المفردة بالحركات الثلاث « فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب (16) » ومن بين الذين قراوها بالضم او الكسر علي ، وابن عباس ، والحسن ، وابن مسعود(17)

2 ــ كلمة : « **دمرنا** » فى الاية 16 من سورة الاسراء التي جاء فيها : « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ولقد وردت هذه المادة ثمان مرات فى القرءان الكريم . ثلاث مرات على صيغة دمرنا (18) . وعلى صيغة دمرناهم مرتين (19) وعلى صيغة تدمر مرة واحدة (20) وعلى صيغة تدمير مرتين (21) . ومعناها بلغة سكان حضرموت اهلكنا ووردوها بكثرة فى القرءان الكريم كما نرى دليل على كثرة استعمالها فى اللغة العربية الفصيحة .

3 ــ « **منساته** » فى سورة سبا الاية 14 التي يقول فيها الحق سبحانه : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » ، ومعناها بهذه اللغة العصا . ولقد سبقت الاشارة اليها فى الحلقة الحادية عشرة حين الحديث عن لهجة قبيلة خثعم . وبسطت القول هناك، سيما فى قراءاتها المختلفة ، واستنتجت من هذه القراءات الكثيرة غرابة هذه اللفظة . فعد الى ذلك وفقك الله .

4 ــ « **احقاف** » فى الاية 21 من سورة الاحقاف التي جاء فيها : « واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم » ومعنى هذه اللفظة عند سكان حضرموت الرمل . ويضيف صاحب الكشاف فيقول (22) : « وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقب الشيء اذا اعوج ، وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال ، مشرفين على البحر بارض يقال لها الشجر من بلاد اليمن ، وقيل بين عمان ومهرة »، وجدير بالذكر ان اشير الى ان هذه المفردة فى هذه الاية هي التي اعطت اسم السورة ، وانها الوحيدة الواردة فى القرءان الكريم .

5 ــ كلمة « **لغوب** » فى الاية 38 من سورة (ق) التي جاء فيها : « ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب » ومعناها بلهجة سكان حضرموت اعياء . ومن القراء من يقراها بالفتح. ولم ترد الا مرتين فى القرءان . الاولى فى سورة فاطر الاية 35 ، والثانية فى مكاننا هذا الذي نتحدث عنه .

14 ــ لهجة الاشعريين (23) :

تنتسب قبيلة الاشعريين الى كهلان . وكانوا فى جاهليتهم يعبدون مع قبائل عك والسلف الصنم الذي كانوا يطلقون عليه « المنطيق » ولقد وجد المسلمون فى جوفه حين كسروه سيفا اختاره النبي صلى الله عليه وسلم واطلق عليه اسم المخذم .

ويرى بعض النسابين ان قبائل الاشعر هي : « الجماهر (24) وجده (25)، والانعم ، والارغم ، ووائل وكاهل ، وعبد شمس ، وعبد الثريا . شاركت هذه القبيلة فى القرءان الكريم باربعة الفاظ وزعت فى القرءان الكريم حسب البيان الآتي :

1 ــ كلمة : « **احتنك** » فى الاية 62 من سورة الاسراء التي جاء فيها : « قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا » ، ومعناها بلغة الاشعريين استأصل ولعلها من احتنك الجراد الارض او احتنك الشاتين . بجعل

---

16) الكشاف ، الجزء الاول صفحة 221 .
17) Jeffery صفحة 35 .
18) فى الاعراف الاية 137 ، وفى الشعراء الاية 172 وفي الصافات الاية 136 .
19) فى الفرقان الاية 36 ، وفى النحل 51 .
20) في الاحقاف الاية 25 .
21) في الاسراء 16 والفرقان 36 .
22) الجزء الرابع صفحة 448 .
23) انظر لمعرفة هذا سبائك الذهب 32 ، وجمهرة الانساب ، والاعلام للزركلي ، الجزء الاول صفحة 334.
24) بضم الجيم .
25) بضم الجيم وتشديد الدال بفتحة .

الراغب الاصفهاني اصلها من الحنك ، حنك الانسان والدابة (26)) .

2 ـ لفظة : « تـارة » في الايـة 69 من سـورة الاسراء التي جاء فيها : « أم امنتم أن يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بمـا كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » ، ومعناها بهذه اللغـة مـرة .

ولقد وردت في القرءان الكريم مرة اخرى في الاية 55 من سورة طه : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى » ، ولقد اشتهرت في اللغة العربية الفصيحة الاشتهار الذي تعرف ، واستعملت هـذا الاستعمال الواسع الذي تلاحظ .

3 ـ المفردة : « اشمـأز » الموجودة في الاية 54 من سورة الزمر التي يقول فيها سبحانه وتعالى : «واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » ،ومعناها بلغة الاشعريين مالت ونفرت . وهذا الفعل «اشمأزت» في الاية يقابل الفعل يستبشـرون . فقلـوب الكفـار تشمأز كلما ذكر الله وحده ولكنها تستبشر عند ذلك آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، وهذه هي المقابلة التي بسط القول فيها الزمخشري حين قـال (27) : « ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منها غاية في بابه لان الاستبشار ان يمتلىء قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل ، والاشمئزاز ان يمتلىء غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه » .

4 ـ كلمة : « ثجـاجـا » في الاية 14 من سورة النبأ ، وفيها يقول عز من قائل : « وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا » ، ومعناها بلغة الاشعريين رشاشا .

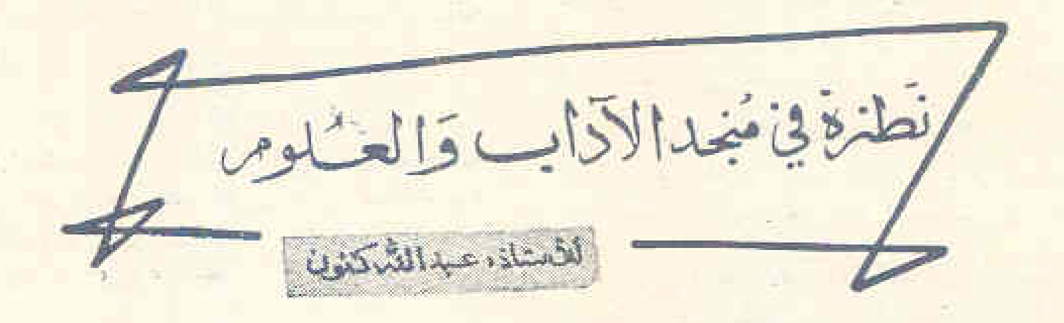
لم ترد هذه المفردة في القرءان الكريـم الا مـرة واحدة ، ولم تستعمل بكثرة في اللغة العربية الفصيحة، مما يدل على غرابتها ، وان كانت وردت في حديث شريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم « افضـل الحج الحج والثج » ومن القراء من يقراها بحاجا .

اكادير : الراجي التهامي الهاشمي

(26) المفردات في غريـب القرءان ، صفحـة 134 .
(27) الكشـاف ، الجزء الثالث ، صفحـة 349 .

ـ كمـال المـروءة ـ

من عامل الناس فلم يظلمهـم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهـم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ،ووجبت اخوته ، وحرمت غيبتـه .



- 20 -

بقيـــة حـــرف الميـــم

553) في ص 493 ، ع ل تعريف بمريم المجدلية ضبط فيه وصفها هذا بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال وهو في الاناجيل الاربعة انما ضبط بفتح الميـم ، فهل هما (قراءتان) ؟

554) في المكان نفسه ترجمة ابن مريـم صاحب كتاب البستان قال فيها انه نقلـه من نيل الابتهـاج للمكي وغيره ، وصاحب نيل الابتهـاج ليس مكيا بـل هو سوداني من تنبكتو

555) في ع ني من هذه الصفحة كلمـة عن بني مرين ملوك المغرب اجحف فيها بحقهم غاية الاجحاف والمهم انه ضبط اسمهم بضم الميم وهو بفتحها كمـا يعلمه كل من له عناية بالتاريخ .

556) وفيـه تعريف بمـزدك الفارسي مؤسس النحلة المزدكية المعروفة سماه مزدق بضم الميم والزاي وفتح الدال بعدها قاف وهو كما في التاج بفتح الميـم وسكون الزاي وءاخره كاف على وزن جعفر ومذهبه يسمى المزدكية بهذا الضبط وبالكاف ءاخرا ؛ عـرب كذلك من قديم

557) وفيه ايضا ذكر لكتاب المزهـر في علـوم اللغة للسيوطي ضبط بكسر الميم وفتح الهاء على انه هذه الآلة المعروفة من ءالات الطرب والشائع على الالسنـة في اسمه هو ضم الميم وكسر الهاء على انه اسم فاعل من ازهر ، ومن ثم سمى الشيخ ماء العينين نظمه لـه بثمار المزهر فهو اذن وصف لا اسم ، وقد قرض العالم الاديب السيد عبد الرحمن بن جعفر الكتاني نظـم المزهر هذا بقطعة شعر قال في أولها :

خـــل عنـــا نغمـــات المزهـــر
والنـــا مـــن ثمـــار المزهـــر

فاكد بذلك ان اسمه المزهر بالضـم لا المزهـر بالكسر .. وقد توسعت قليلا في ضبط اسم هـذا الكتاب لاني لم أر احدا نص عليه حتى الطبعة المحققـة التي صدرت منه في جزئين بمعرفة رجال من اهـل العلم والادب سكتت عن ضبطه ، ولم تشكله بالحروف مع ان نص الكتاب فيها كله مشكول

558) في ص 495 ، ع ل تعريف ببلدة مازونـة في الجزائر كتبها مزونه بميم فزاي وهي بالف بعد الميم

559) في ص 497 ، ع ل ترجمـة لعبد الله بـن مسعود الصحابي الجليل قال فيها : اخـذ عنه الناس تفسيره المتسامح في تحريم الخمر .. ولا ادري من اين اتى بهذا الكلام ، فالمعروف عن صحابة رسول الله (ص) انهم على كلمة واحدة في تحريم الخمر وبذلك احتـج علماؤنا على من خص اسم الخمر بعصير العنب قائلين ان تحريم الخمر نزل بالمدينة ولم يكن شرابهم الا مـن نبيذ البسر والتمر وان الصحابة الذين اطلقوا اسـم الخمر على هذه الانبذة عرب فصحاء كانوا يعرفـون مدلول الكلمة الشاملة ، وبخصوص ابن مسعود فـان المنقول عنه خلاف ما زعم المنجد ففي سبل السلام انه قال في السكر بفتحين انه خمر وفي نيل الاوطار انـه اعني ابن مسعود حد رجلا وجد منه ريح الخمر .

560) في ص 498 ، ع ل ترجمة لمسلم بن الحجاج الامام صاحب ثاني الصحيحين قال فيها ، له « الصحيح » فيه 300.000 حديث ، وقد اشتبه عليه الامر فيما نقل عن مسلم انه قال الفت كتابي هذا من ثلاثمائة الف حديث اي اخترته من هذا العدد ، والا فما في صحيحه هو نحو 4000 حديث فقط بدون المكرر تقريبا كما في صحيح البخاري من غير تكرار كذلك .

561) فيه ايضا تعريف بمسلم بن عقيل ابن عم سيدنا الحسين ومبعوثه الى الكوفة الذي قتله ابن زياد ، ضبط اسم ابيه عقيل ، بصيغة المصغر اي بضم العين وفتح القاف وهو عقيل بن ابي طالب اخو علي (ض) بالتكبير لا غير اي بفتح العين وكسر القاف .

562) وفي هذه الصفحة ع ني تحت عنوان المسند قال : هو الكتاب في الحديث اشهر من كتبوا فيه ابو داود ، الدارمي ، مالك ، مسلم بن الحجاج ، النسائي الخ وهذا خطأ في التعريف وفي التمثيل ، فالمسند هو الكتاب في الحديث الذي يجمع احاديث كل راو من الصحابة على حدة فيقال في تراجمه مسند ابي بكر مثلا ومسند عمر ومسند فلان وفلان ، وليس فيمن ذكرهم من يعد من اصحاب المسانيد الا الدارمي واحمد بن حنبل .

563) في ص 499 ، ع ني في ترجمة للشيخ عبد السلام بن مشيش قال فيها احد اقطاب الصوفيين الاربعة في المغرب ، ولم يبين الثلاثة الباقين من هم ، وظني انه اعتمد في هذا العدد على كتاب الشيخ عبد السلام القادري المسمى بالاشراف على نسب الاقطاب الاربعة الاشراف وهم الجيلاني وابن مشيش والشاذلي والجزولي او اعتمد كلام احد المستشرقين على هذا الكتاب ولم يحقق الموضوع فظن انهم كلهم مغاربة باعتبار ان المؤلف مغربي مع ان الجيلاني ليس من المغرب كما هو معروف ، وزيادة على ذلك ففي المغرب من اقطاب التصوف اكثر من هذا العدد الذي حصرهم فيه . ثم قال في هذه الترجمة : دفن في جبل العلم قرب دزان بدال اول الكلمة ونظن انها خطأ مطبعي صوابه وزان بالواو . وزاد المنجد قائلا في ترجمة ابن مشيش : له « اعانة الراغبين في الصلاة » مخطوط في لندن، ولا نعرف لابن مشيش اثرا غير صلاته المشيشية المشهورة وبعض الوصايا المنقولة في ترجمته ، فلعل هذا يكون احد شروح صلاته ان لم يكن وقع غلط في نسبته اليه .

564) في هذا العمود ايضا بعنوان مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام مايلي : كتاب للكلاعي ولشمس الدين المراكشي ، اهتم بهما (يعني بالكتابين المسمين بهذا الاسم لكلا المؤلفين) ابن ابي الدنيا والتنوخي وابن المغيث محدث قرطبة وابن بشكوال .. وفي هذا تخليط لو انتبه المنجد الى تاريخ هؤلاء وتقدمهم على المؤلفين المذكورين لما وقع فيه ، والكلام اصله لكشف الظنون وخلاصته ان هذين المؤلفين ذكرا في كتابيهما من استغاث بالنبي (ص) اقتداء بابن ابي الدنيا ومن بعده من الاعلام الذين الفوا فيمن استغاث بالله عز وجل ولجا اليه عند اشتداد الازمة ففرج الله عنه ، فانت ترى ان الكلاعي والمراكشي هما اللذان اهتما بكتب من ذكر بعدهما لا العكس وان موضوعهما مغاير لموضوع هؤلاء ، لان للعلماء فيه مقالا ليس هذا محل بسطه .

565) في ص 500 ، ع ني ترجمة لمصطفى كمال اتا تورك جاء فيها : اجرى اصلاحات عظيمة من اعمقها تاثيرا في الحقل الديني والاجتماعي والثقافي استعمال الابجدية اللاتينية عوض العربية في الكتابة التركية .. وهذا الكلام وحده كان كافيا لمنع استعمال هذا المنجد في العالم العربي كله ، لان المعجم الذي يحكم بان نبذ الابجدية العربية من الاصلاحات العظيمة والاعمق تاثيرا في حياة الدين والاجتماع والثقافة ، لايمكن ان يكون معجما عربيا بحال .

566) في هذا العمود كذلك بعنوان مصفرى بفتح الميم والفاء والف مقصورة ءاخرا قال المنجد : شعب من بربر المغرب ، منهم يقيمون (كذا) بين فاس وتازة ومنهم قبلي فاس في الاطلس الاوسط ومنهم في واحات الصحراء اعتنقوا الاسلام وابحروا الى اسبانيا وانضموا الى الخوارج ووالوا دولة بني عباس الى ان ظهر ادريس الاول فانقادوا اليه .. ولا نعلم بين شعوب البربر وقبائله من اسمه مصفرى فلعل هذه قراءة محرفة لمصفرى البربر اي صفرته وتعني بهم الخوارج الذين انتشر امرهم في عهد الولاة قبل قيام الدولة الادريسية وهم الذين لعبوا بعض الادوار التي يشير لها كلام المنجد وان كان ينقصه التحرير .

567) في ص 501 ، ع ني ترجمة لمطرس بن ربعي الشاعر ضبط اسمه بصورة اسم المفعول اعني بفتح الراء مع التشديد وهو بكسرها على صفة اسم الفاعل واسم ابيه ربعي ضبطه بفتح الراء وهو بكسرها وقال انه عاش قبل الاسلام بثمانين سنة وفي الاعلام للزركلي ما يفيد انه اسلامي لا جاهلي .

568) في ص 502 ، ع ل بعنوان المظالم قال اسم محكمة كانت في عهد الخلفاء الراشدين كمحكمة الاستيناف العليا وفي هذا تزيد كثير ، وولاية المظالم من خطط الحكومة الاسلامية ولكنها متاخرة عن هذا العهد بكثير .

569) في العمود نفسه ترجمة لمعاذ بن جبل الصحابي الجليل ضبط اسمه فيها بفتح الميم وهو بضمها .

570) وفيه ايضا كلمة عن بني معافر من العرب اليمنية ضبط اسمهم هذا بضم الميم وهو بفتحها .

571) في ع ي من نفس الصفحة تعريف بابن المعتز الخليفة العباسي الشاعر جاء فيه انه لم يتمتع بالخلافة الا اياما والصحيح ان مدة خلافته يوم وليلة ثم خلع وقتل .

572) في ص 503 ، ع ي تعريف بمعد بن عدنان الجد الاعلى للنبي (ص) قال فيه انه اسم جمع اطلق على بعض القبائل العربية ، وكانه لما رءاه جماع كثير من قبائل ربيعة ومضر ظنه اسم جمع من غير ان يلحظ حقيقة اسم الجمع التي لاتنطبق عليه والا فهو اسم مفرد على وزن مفعل من العدد او من المعد وهو اللحم على ما عند ابن دريد في الاشتقاق .

573) في ص 504 ، ع ل ترجمة ابن معطي صاحب الالفية في النحو وصفه فيها بالمغربي وضبطه بضم الميم وفتح الراء وحقه ان يكون بفتح الميم مع فتح الراء او كسرها نسبة للمغرب واما الضم فلا محل له في هذه النسبة .

574) في هذا العمود كذلك ذكر المعلقات السبع وسرد اسماء اصحابها بدون عطف حتى اذا اتى على ءاخرهم عطفه بالواو على القاعدة الاجنبية في ذكر حرف العطف مع المعطوف الآخر ، وقد شاع هذا الامر عند الكتاب المتأثرين بالاساليب الاعجمية ولا اصل له في العربية . . نعم عندنا واو الثمانية عند من يقول بها وهي انما تزاد في المعطوف الثامن كما في قوله تعالى (ثيبات وابكارا) لا ما قبله كالسابع هنا .

575) في ع ي من هذه الصفحة ترجمة لمعن بن اوس الشاعر جاء فيها انه مدح عمرا وهجا ابن الزبير ولا ندري من هو عمرو هذا الذي مدحه معن ، والذي في ديوانه انه مدح عبد الله ابن جعفر وابن عباس وهجا ابن الزبير في قطعة شعرية وليس فيه مدح لاحد يسمى عمرا ولا عمر لو فرضنا ان عمر في كلام المنجد صرفت خطأ .

576) في ص 505 ، ع ل بعنوان مغراوى كلمة عن هذه القبيلة المغربية التي حرف اسمها من مغراوة بتاء في ءاخره الى مغراوى بالف مقصوره خطأ ، وقال فيها دخلوا في الاسلام وتزعمهم حولات بن ويمار وصوابه صولات بالصاد بن وزمار بزاي بعد الواو .

577) في ع ي من هذه الصفحة كلمة في التعريف بالمغرب لا باس بها ولكن وقع فيها اغلاط خفيفة منها قوله وهو يعين موقع الاطلس الكبير : وجبل سفرو شرقا واسمه الصحيح سارو . والخطأ جاء من الترجمة عن الفرنسية ومنها كتابته تادلا بحذف الالف التي بعد التاء ومنها تسميته الساقية الحمراء بالساخية اعني بخاء بدل القاف وقد يكون هذا خطأ مطبعيا .

578) وفي العمود نفسه تراجم لبعض الاشخاص الموصوفين بالمغربي ضبط وصفهم هذا بضم الميم وهو بفتحها .

579) في ص 506 ، ع ل ترجمة للمغيرة بن شعبة وغيره ممن سمي بهذا الاسم وهو مضبوط عنده بضم ففتح على صورة المصغر ، وهو بضم فكسر مكبر .

580) في ص 507 ، ع ل ترجمة للمقدسي الجغرافي صاحب كتاب احسن التقاسيم ضبط نسبه فيها بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال مع الفتح ، وهو بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال مخففة نسبة الى بيت المقدس ، ولعلنا نبهنا على نضيره فيما سبق ولكن ها هنا محله فلذلك اعدناه .

581) في ع ي من هذه الصفحة كلمة في التعريف بمقديشيو عاصمة الصومال ، كتب فيها الصومال بالسين والشائع على الالسنة الصاد ، وقال هاجر اليها العرب من الجزيرة وخاصة من الحساء ولا شك انه يعني الاحساء التي هي هجر قديما ، ثم قال اسس فيها سلالة ابو بكر فخر الدين ، وهذا كلام غير واضح يحتاج الى شيء من التحرير . وكلام المنجد عن مقديشيو كان في ايام الاستعمار الايطالي فهو حري الآن ان ينزهه عن هذا العار وبنوه بجهاد ابنائه المخلصين

582) في ص 512 ، ع ل ترجمة للكاتبة المصرية ملك حفني ناصف ضبط اسمها بكسر اللام والصواب فتحها وجعل لقبها بحاثة البادية والمعروف باحثة البادية بصيغة اسم الفاعل لا بصيغة المبالغة .

583) في ع ني من هذه الصفحة كلمة عن مليانـة من مدن الجزائر كتبها بالف بعد النون وهي بتاء .

584) وفيه كلمة عن مدينة مليلية المغربية جعلها مليـلا حسب النطق الافرنجي وهي بالعربي مليلة او مليليـة .

585) في ص 513 ، ع ني تعريف بالشيخ عبـد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير ضبط نسبـة المناوي بفتح الميم وهو بضمها وسمـى شرحــه على الجامع الصغير التفسير واسمه فيض القدير .

586) في نفس العمود ترجمة لوهب بن منبه قال فيها عبد الله وهب بن منبـه اليماني وضبط وهب بفتح الهاء وهو بسكونها وعلى كل حال فان يكن اراد وهبا نفسه فعبد الله هنا زائدة او هي كنيته ابو عبـد الله بعد حذف ابى منها خطا وان يكن اراد ابنه عبـد الله فكان عليه ان يقول عبد الله بن وهب بن منبه ، الا ان التاريخ الذي اعطاه لوفاته هو لوهب فلم يكن بـد من اعتبار عبد الله هنا بقصد الكنية .

587) في ص 516 ، ع ل كلمـة عن مدينة المنكب بالاندلس سماها المنقـر بالقاف تعريبـا لاسمهـا بالاسبانية المنكـر وكان عليه ان يذكرها باسمها العربي لا ان يعربها من اللفظ الذي عجمها الاسبان بـه .

588) في ص 517 ، ع ل ترجمة بعنوان المهائمـي علاء الدين قال فيها عنه انه من تباع مذهب الوجودية لابن العربي وانه هاجر الى الهند هربا من الحجاج وانـه توفي 1432 .. وفي هذه الترجمـة تخليط كثيـر فاولا ليس هناك مذهب يعرف بالوجودية لابن عربـي (لا العربي) الا ان يكون مراده وحدة الوجود ، وهذه ليست هي الوجودية ولا سيما بالمفهـوم الفلسفـي الجديد . وثانيا اذا كان هذا من اتباع ابن عربي فكيف عاش قبله في زمن الحجاج الذي هرب منه الى الهند ! ثم تاريخ وفاته مما يؤيد ان في هذه الترجمة خطأ يجب ان يصحـح .

589) في العمود الثاني من هذه الصفحة تعريـف بكتاب المهذب لابي اسحاق الشيرازي في فقه الشافعية الذي لخصه من تعليقة شيخه ابي الطيب الطبـري ، ضبطه بكسر الذال مع تشديدها على صيغـة اسم الفاعل وهو على صيغة اسم المفعول مفتوح الذال بدليل اسماء بعض شروحـه : المستعذب في شـرح المهذب والطراز المذهب وغيرهما .

590) في ص 520 ، ع ني تعريف بكتاب الموشـى لابي الطيب الوشاء قال عنه انه كتاب في اللغة ، وليس كذلك بل هو في قواعد الظرف وءاداب الظرفاء ، والمنجد نفسـه لما ذكر الموشى اتبعه بقوله او الظرف والظرفـاء وهذا ليس اسما له ثانيا من وضع المؤلف ، وانما هـو من وضع ناشره الخانجي بين به موضوعه واعقب بـه اسمه الذي وضعه له المؤلف .

591) في العمود نفسـه تعريف بكتاب الموطا للامام مالك قال فيه شرحه بطليموس وهـذه مـن غرائب المنجد ، فكيف يشرح بطلبموس الموطا وهو من اهـل القرن الثاني الميلادي ، والحقيقة انه اراد البطليوسـي فتصحف عليه بمن ذكره . وذكر في جملة شراحـه القرطبي وهو يعني ابن عبد البر كما يفهم ذلك مـن كشف الظنون الذي ينقل عنه ، ثم ذكر اخيرا المغربـي ولا ندري من هوهذا المغربي الذي يعنيه ممن شـرح الموطـا وهم كثـر ، والـذي عنـد صاحب الكشف الزرقاني بدل المغربي فلعله ظنه مغربيا .

592) وفيه ايضا تعريف بقرية مولاي بوشتا قال فيه : قرية في المغرب الاقصى ... فيها زاوية بوشتـا الولي ، يقولون انه استمطر السماء بصلواته ... هو عندهم شفيع الموسيقيين والمغنين . اما كون الشيـخ ابي الشتاء رحمه الله استمطر السماء بالصلاة ، فهذا شيء لا غرابة فيه وصلاة الاستسقاء من شعائر الدين الاسلامي . واما كونه عندهم (؟) شفيعا لمن ذكـر فانا لانعرفه وليس في الاسلام شفعاء من هذا القبيل كمـا في النصرانيـة .

593) في ص 524 ع ل ترجمة لميسرة الحقير ويقال الحفير من زعماء الخوارج المغاربة جاء فيها انه من قبيلة مطغارة وهي مضغـرة وهـي بضاد فغين تليها راء مباشـرة .

594) في ع ني من نفس الصفحة تعريف بمدينـة مسراتة الليبية كتب اسمها ميسوراتة وهو كما اثبتناه مسراتة ويقال فيها ايضا مصراتة بالصاد .

595) في ص 526 ، ع ل ترجمة لموسى بن ميمون الفيلسوف اليهودي المعروف قال فيها انه هجر قرطبة لما دخلها العرب ، والعرب لم يدخلوا قرطبة على عهـد المترجم في القرن السادس الهجري بل في اواخر القرن الاول ، فالصواب لمـا دخلها الموحدون .

596) في نفس العمود بعنوان الميمية ما يلــي : قصيدة (الفها) ابو السعود شيخ الاسلام .. تداولتها العربان اولها :

ابعــد سلمــى مطلب ومـــرام
وغير هواهـــا لوعـــة وغـــرام

وصواب الشطر الاول ليتزن : ابعــد سليمى ولم ندر ما قصد بقوله تداولتها (العربان) والقصيدة مذكورة في كتاب الكشكول للعاملي وغيره . ولطــول حرف الميم لم نتتبع عبارات المنجد في هذا الحرف التي تحتاج الى تقويم ، وانما ذكرنا هــذه لنضمنها هــذه الاشـــارة .

طنجـــة ـ عبد الله كنـــون

— عبيرنا رهج السنابك —

يروى ان عبد الله بن المبارك العالم العامل والعابد المجاهد خرج مــع المسلمين يوما لمجاهدة اعداء الاســلام ، ولما دارت رحى المعركة كتب رسالة الى صديق لــه في مكة كان قد تخلف عن الركب ، وفضل التفرغ للعبادة بجوار الكعبة قال فيها :

يا عابــد الحرميــن لــو ابصرتنـــا
لوجــدت انــك بالعبـــادة تلعـــب
من كـــان يخضـــب خـــده بدموعـــه
فنحورتـــا بدمائنـــا تتخضـــب
ريــح العبيــر لكـــم ونحن عبيرنـــا
رهج السنابـــك والغبـــار الاطيـــب

هكــذا فهـــم الاولـــون معنـــى العبـــادة .



الشمس في نصف الليل

للدكتور تقي الدين الهلالي

كنت قرات منذ زمان طويل اخبار القبائل التي تسمى (اسكمو) واحوال معيشتهم ، ومساكنهم واسفارهم وحالة الجو فى بلادهم ، وذلك معروف فى كتب الجغرافية . والذي يهمنا هنا من أخبار الاراضي القطبية ما شاع ان السنة عندهم يوم واحد ، نهار وليلة ، ستة اشهر للنهار ، وستة اشهر لليل .

ولم اؤمل قط ان ارى تلك الاراضي ، لما قراته من شدة البرد وتراكم الثلوج هناك ، وانهم يلجاون الى لبس الجلود والاختباء فى بيوت يحيط بها الثلج من كل جانب ، الى غير ذلك من الاخبار .

وفى صيف سنة 1963 اجتمعت بالدكتور زين العابدين خير الله الجلبي كان استاذا فى مستشفى الامراض الخاصة بالنساء فى جامعة ماربورك بالمانيا ، فاخبرني ان الاراضي القطبية واسعة ، وليست محصورة فى الاراضي التي يسكنها قبائل (اسكمو) وانه هو نفسه زار الاراضي القطبية فى شمال النرويج ، وركبنا القطار والسيارات مدة يومين اثنى عشر يوما لم ير فيها ظلمة ولا ليلا ، بل كانت كلها نهارا .

ومن ذلك الحين عزمت على زيارة هذه الاراضي فى اقرب وقت ممكن . فلما اشرفت السنة الدراسية على نهايتها ذهبت الى السفارة النرويجية فى الرباط ، وسالتهم عن الاراضي القطبية التي لا تغيب فيها الشمس بضعة اشهر ، فاخبرني ان الامر كذلك ، وان هناك نواحي تابعة للحكومة النرويجية تبقى الشمس فيها مشرقة مدة ثلاثة اشهر من اول مايو (ايار) الى آخر يوليوز (تموز) فتاهبت للرحلة وتوجهت من مكناس فى سيارتي يسوقها الحاج احمد هارون فى اليوم الثاني من يوليو ، وسرنا متوكلين على الله من مكناس الى تطوان ، ثم عبرنا البحر من سبتة الى الجزيرة الخضراء ، ثم سرنا عبر اسبانيا ففرنسا فالمانيا ، فالدانمارك فالسويد فالنرويج ، وتركنا السيارة فى مدينة (اوسلو) عاصمة النرويج ، وان سكانها متمدنون ، وانه اقام هناك نحو فوصلنا مدينة (ناروك) ، وشاهدنا الشمس مشرقة مدة اربع وعشرين ساعة .

أوقات الصلاة فى الاراضي القطبية :

كنت عازما قبل ان اصل الى تلك البلاد على ان اصلي خمس صلوات فى مدة اثنتى عشرة ساعة ، ثم اترك الصلاة اثنتى عشرة ساعة ، فتكون خمس صلوات فى اربع وعشرين ساعة .

فلما وصلت الى تلك البلاد تغير رايي ، وظهر لي ان تتبع اوقات الصلاة فى تلك البلاد الاراضي الجنوبية من البلاد النرويجية ، فيصلي المصلي صلاة الصبح وقت طلوع الفجر فى الجنوب ، ويصلي الظهر حين تزول الشمس فى الجنوب ، وهكذا الشان فى جميع الصلوات ، بناء على قاعدة : ما قرب من الشيء يعطي حكمه ، وكذلك يفعل الصائم فى رمضان اذا جاء فى وقت الشمس ، او فى وقت الظلام .

هل فى الاراضي القطبية فصول ؟

ينبغي ان يعلم ان فى تلك البلاد ما يشبه الفصول الاربعة ، وقد تقدم ان الشمس تستمر مشرقة من اول مايو (ايار) الى آخر يوليوز (تموز) ثم تغيب غيابا جزئيا فى اول غشت (آب) فى كل يوم تبقى غائبة اكثر من اليوم الذي قبله ، فيكون الليل

قصيرا والنهار طويلا . ولا يزال الامر كذلك ، يزداد الليل طولا والنهار قصرا الى آخر اكتوبر (تشرين الاول) فتغيب الشمس وتبقى ثلاثة اشهر غائبة ..

وفي اول فبراير (شباط) تطلع الشمس ، ثم لا تلبث ان تغيب ، فيكون النهار قصيرا والليل طويلا ، ولا يزال النهار يطول ، والليل يقصر الى آخر ابريل (نيسان) ثم ينعدم الليل . فهذه مدد تشبه الفصول الاربعة في البلاد التي يكون الليل والنهار طول السنة .

وقد عرفنا حكم اوقات الصلاة في الاشهر الثلاثة الشمسية ، ومثلها الاشهر الثلاثة المظلمة . بقي حكم اوقات الصلاة في ربيع تلك البلاد وخريفها ، وهما مدتان ، يكون فيهما ليل جزئي ونهار جزئي ، فكيف الحكم في اوقات الصلاة والصيام ؟

لا يمكن ان نفكر في هذه المسالة ثم نبدي راينا فيها الا اذا احطنا علما بليلها ونهارها ، كيف يطول وكيف يقصر . فالليلة الاولى بعد انتهاء مدة الشمس، وهي اول ليلة من غشت (آب) كم طولها ؟

فاذا كان طولها نصف ساعة او اقل ، فهل يحكم عليها بانها ليلة تصلى فيها المغرب والعشاء والصبح عند نهايتها ، ويفطر الصائم ، ويتسحر فيها ، ويصوم نهارها ، ويصلي الظهر والعصر في وسطه ، ام يستمر على اعتبار توقيت العاصمة (اوسلو) ويعتبر الليل ليلا ، والنهار نهارا ؟ وما مقدار الساعات التي يبلغها الليل طولا حتى يعتبر انه ليل ؟ واذا مضى اكثر الاشهر الثلاثة وتقصر النهار جدا يعود السؤال نفسه . وهكذا يقال في المدة الثانية التي تبتدىء من شهر فبراير (شباط) وتنتهي في آخر ابريل (نيسان) .

فان قيل : أنت اول من بدا هذا البحث ، فعليك ان تجيب عن اسئلتك ، وتبدي رايك ؟ قلت : يمنعني من ذلك انني من اهل الحديث المتبعين للسلف الصالح المتجنبين للراي ، المعتبرينه كالميتة لا يجوز الاكل منها الا بقدر الضرورة . فما نزل من المسائل ، وتحقق وقوعه ، وسئلنا عنه افتينا فيه بالراي قائلين: ان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمنا ، والله بريء منه ، كما قال عبد الله بن مسعود .

أما مدة الشمس فقد وجب علينا ان نجتهد في حكم اوقات الصلاة فيها ، لان ذلك وقع ونزل ، وقسنا عليه مدة الظلام ، لانهما سواء . أما المدتان الاخريان فندعهما حتى يحتاج بعض المسلمين الى معرفة الحكم ، فييسر الله له من يفتيه .

وقد كان السلف الصالح ، اذا سئل احدهم عن مسالة استحلف السائل بالله ، انها وقعت ، فان حلف له أفتى فيها برايه ، والا قال : دعها حتى اذا نزلت ييسر الله لها من يفتي فيها .

وما زعمه بعض المتقدمين من ان بلاد بلغار يقصر فيها الليل والنهار جدا وهم ، وقد لاحظت أن الليلة الاخيرة التي مضت قبل وصولنا الى بلاد الشمس في نصف الليل ، كما يسمونها ، لم تكن مظلمة ، حتى اني مع ضعف بصري ، وانا راكب في السيارة ، كنت ارى الاشجار ، واغصانها تتحرك ، ولا توجد ظلمة اصلا ، الا ان الشمس مختفية . ومن حين يتوسط الانسان بلاد النرويج متوجها من الجنوب الى الشمال تقل ظلمة الليل شيئا فشيئا حتى تنعدم بانعدام الليل نفسه . فسبحان الخلاق العليم .

ولاحظت ايضا : كما لاحظ من معي ان الشمس في نصف الليل تكون قريبة من الارض ، كأنها تريد ان تغيب ، لكنها لا تغيب ، بل تاخذ في الارتفاع وتدور في السماء ، فتشكل دائرة من نصف الليل الى نصف الليل . قال الله تعالى في سورة الحج (46 افلم يسيروا في الارض ، فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، او آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الابصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) فأخبر سبحانه وتعالى ان السير في الارض يزيد في العقل والعلم المكتسب بالتجارب ، وقل رب زدني علما .

وهناك في تلك الناحية قبائل بدوية تسكن الخيام ، ولها ماشية ، وهي الايائل ، وهي نوع من الحيوان يشبه الظباء ، الا انها اكبر منها ، وقرونها متشعبة كالاشجار يحلبونها وياكلون لحومها ، وينتفعون بجلودها . ولا يستطيع شيء من سائر الحيوان كالبقر والغنم ان يعيش في تلك البلاد غير الايائل ، لشدة بردها ، وكثرة ثلوجها ، ولتلك القبائل لباس خاص .

وسمعت انهم وثنيون ، لا يدينون بالنصرانية التي يدين بها اهل تلك البلاد ، ولا اعلم مقدار هذا الخبر من الصحة ، وليس هذا الجو خاصا بشمال النرويج ، بل يعم كذلك شمالي السويد .

وقد علمت ان من اراد ان يشاهد الاراضي القطبية التي في شمال السويد يستطيع ان يسافر اليها بالقطار .

اما مدينة ناروك التي تقدم ذكرها فقد سافرنا اليها من (اوسلو) ، بعض المسافة بالقطار ، وبعضها بالسيارة ، وكنا فى كل بضع ساعات نجتاز خليجا من خلجان البحر ، بمعدية ، وهي باخرة كبيرة ، تدخلها السيارات ، فتبقى فيها نصف ساعة او اكثر حتى تصل بها الى البر ، فتخرج السيارة منها وتستانف سيرها .

وقد رايت القطار نفسه يعبر البحر فى معدية بين المانيا الشرقية والدانمارك فى مدة ساعتين . وتلك المعدية ضخمة عظيمة الحجم ، ذات ثلاث طبقات، يصعد الى الطبقة العليا بالمصعد الكهربائي .

وهناك معدية رايتها تستعمل بين سبتة والجزيرة الخضراء ، وهي ايضا عظيمة ، ولكنها دون تلك . وليس مقصودي ان اصف هذه الرحلة ، لان وصفها يحتاج الى مؤلف مستقل ، وانما ذكرت ما تقدم استطرادا .

من وحي الاندلس — قصيدة من بحر جديد

لما مررنا بارض الاندلس فى رحلتنا الى شمال اوربا تذكرت اهل الاندلس المسلمين ، وما كان لهم من المجد والسؤدد ، فقلت هذه القصيدة ، وهي من بحر جديد اخترعته . واجزاؤه اربعة : مستفعلاتكم مستفعلان مرتين . له عروض واحدة صحيحة ، لها ضربان ، اولهما مذيل ، والثاني عار عن التذييل .

وكل هذه التفاعيل بفتح العين ومعناها : مستخرجاتكم مستخرج ايها المسلمون ، فالزموا مستخرجاتكم ولا تهملوها .

وقد احدث العرب المولدون اوزانا شعرية زائدة على بحور الشعر بعد زمان العرب الاقحاح ، ونظموا عليها شعرا كثيرا ، ثم جاء زمان الموشحات والازجال ، فاشتغل بها العرب فى الشرق والغرب ، واشتملت على ادب جم . ونظم بهاء الدين زهير شعرا اخترع له وزنا خاصا ، وهو قوله :

يا من لعبت به شمول
ما الطف هذه الشمائل

فلا غرابة اذا اقتديت به ، والقيت دلوي فى الدلاء . وهذا نص القصيدة :

لما بدا لنا جمالكم
اضحت قلوبنا اسرى الغرام
وانبعثت بها مودة
تنمو وتزدهي على الدوام
قد طال هجركم وصدكم
وما رثيتم للمستهام
ولم نزل نفي بعهدكم
وما رعيتم لنا ذمام
فهل سمعتم بقاتل
لمن يحبه هذا حرام
هبوا اسيركم لو نظرة
صلوا عميدكم لو بالكلام
اما ترونني متيما
لم تدر مقلتي اي منام
محبتي لكم عفيفة
غدت بريئة من كل ذام
وعاذل اتى يلومني
كلامه غدا مثل الكلام
فقلت : يا فتى ويحك اتئد
فانت طالب ما لا يرام
عذلك زادني صبابة
فكف او فزد من الخصام
يا موطنا غدا مفتخرا
بخير امة من الانام
بالعرب اذ علوا مراتبا
قد بلغوا بها اقصى المرام
اندلسا دعيت فى الورى
وجنة سميت خير مقام
معجزة فلم ير الورى
لها مماثلا لو فى المنام
كيف افتخارنا بمجدهم
ونحن لم نزل بلا نظام
والخلف ما لهم مفتخر
لكن عليهم بالاحتشام
الا اذا حيوا واتحدوا
وارتجعوا الى نهج الكرام
واتبعوهم فى دينهم
دين محمد بدر التمام
فالعرب ما لهم معتصم
الا بحبله ولا التئام
والعز عنهم مبتعد
الا اذا اقتدوا بذا الامام
فهو حياتكم فى بدئهم
وهو حياتهم على الدوام

وكلما اتنفوا خلافه
فهو ضلالة وهو الحسام
صلى عليه من ارسله
هدى ورحمة يجلو الظلام
ما غردت ضحى حمامة
واشرقت ذكا بعد غمام
والآل والصحاب كلهم
أزكى صلاته مع السلام

وقد اطلع على هذه القصيدة الاديب الكبير العالم المحقق العبقري سيدي عبد الله كنون فاعجبته واثنى عليها ، فأحببت أن أتحف بها القراء الاعزاء . وسأستأنف حلقات (تقويم اللسانين) بعد نشرها ان شاء الله .

وفي الاياب من هذه الرحلة عرجنا على قرطبة وزرنا مسجدها ، فاعتراني شعور فيه روعة واجلال واعجاب ، وحزن ، لا اقدر ان اصفه بلسان ولا بقلم : ولا اظن أن شخصا له شعور انساني يرى ذلك المسجد ولا يعتريه مثل ذلك الشعور ، سواء اكان مسلما أم غير مسلم .

وصف جامع قرطبة

من امثال العرب : ان الحديث لذو شجون ، وقد بدا لي ان انقل هنا وصف مسجد قرطبة الجامع من كتاب مدنية المور في الاندلس الذي ترجمه بالعربية من أصله الانكليزي لمؤلفه (جوزيف ماك كيب) ليرى القارىء العربي المسلم شيئا من مجد اسلافه وهذا نص ما قاله في وصف مسجد قرطبة :

لم يبق من آثار قرطبة في القرون الوسطى الا اثر واحد ، وهو جامعها الذي لا يزال الى اليوم ، جميع اطفال قرطبة يسمونه مسجدا ، ولولاه ما تجشم احد عناء السفر لمشاهدة قرطبة ، ولو كانت على خمسة اميال منه ، ولكن الناس من جميع انحاء الدنيا يسافرون اليها ليشاهدوه .

وهو اعظم معبد في الدنيا بعد كنيسة (سنت بيترس) ، وهو آية لا نظير لها من الهندسة والبناء ، وظاهر هذا المسجد لا يستولي على اللب ، ولم يكن المور الذين كانوا يفضلون الاقامة داخل البيوت اكثر من خارجها يهتمون نسبيا كثيرا بالظاهر .

واما في الداخل فهناك العجائب ، اذا دخلت الجامع من اي باب من ابوابه التسعة عشر يخيل اليك انك تائه في غابة من اشجار المرمر ، ففيه ثمانمائة وستون سارية رقيقة من المرمر والرخام واليسر ، وفيه غير ذلك الف واثنتا عشرة سارية .

وفيه تسعة عشر رواقا ، ينتهي كل منها بباب من الابواب التسعة عشر ، وله سقف خشبي منخفض نسبيا ، قد زخرف احسن زخرفة بالارجوان والذهب .

وفي الاعياد الكبيرة توقد مائتان وثمانون ثريا من الفضة والنحاس ، يحترق فيها الزيت العطر ، وتتلألأ فيها آلاف كثيرة من المصابيح ، فتلقي انوارها على ذلك المشهد . واكبر ثريا منها كان محيطها ثمانية وثلاثون قدما (فوت) يحمل الفا واربعمائة واربعا وخمسين مصباحا ، ولها مرآة تعكس النور ، فيزيد شعاعه تسعة اضعاف . وفيها (6000) الف طبق من الفضة مسمرة بالذهب ، ومرصعة باللؤلؤ .

وكان الجامع قد شيد مع مضافاته في القرن الثامن والتاسع والعاشر . والمحراب الذي هو اقدس محل في مسجد المور ، كان فيه حنيتان ، وكان اعظم زخرفا من سائر المساجد . وآخر المحراب يشبه صدفة من رخام ، وله مدخل يتلألأ كالذهب الخالص او الديباج بفسيفسائه الجميلة . واحيل القارىء على كتب زخرفة البناء او كتب الاستدلال ، ليرى عجائب هذا الجامع العظيم .

وكان بناؤه من النصارى المنتمين الى الكنيسة اليونانية ، وكانت بينهم وبين المور مودة ، فجلبوهم لبنائه ، وهو اثر لمدينة زاهرة ، لا يضاهيها اليوم شيء في الدنيا كلها . وكان عبد الرحمان الاول مؤسس هذه الدولة ، قد جمل مدينة قرطبة على مثال مدينة دمشق التي قضى فيها اوائل عمره ، وهو الذي ابتدأ بناء الجامع ، واتمه الخلفاء الذين جاءوا بعده . وبلغت نفقاته على ما حدث به مؤرخو العرب (300.000.000) دولار ، وكان هذا آخر عمل عمله في حياته ، وقد شيد غير هذا هو وخلفاؤه ورجال دولتهم قصورا فخمة ، ومساجد كثيرة ، كانت تزيد المدينة في كل سنة جلالة وبهاء اهـ .

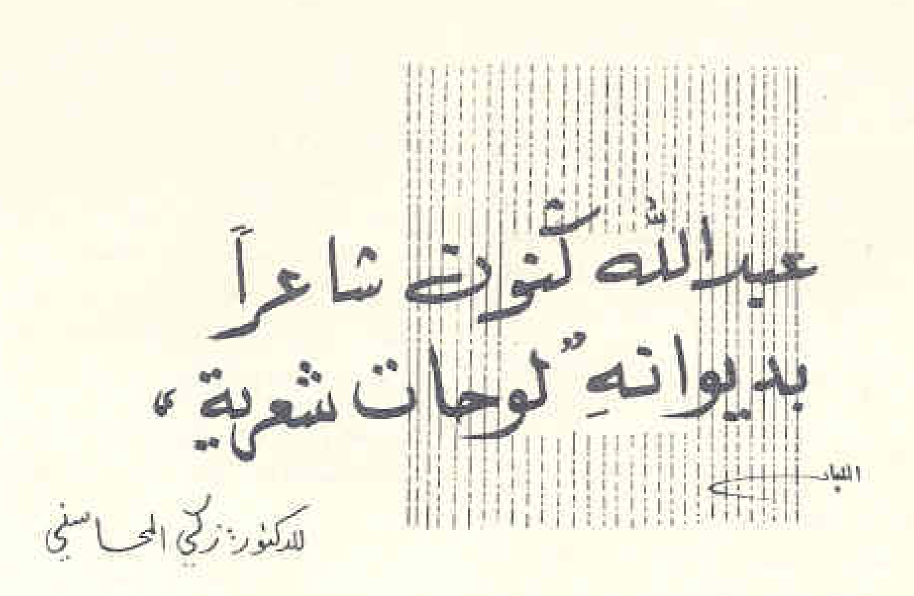
اولئك آبائي فجئني بمثلهم
اذا جمعتنا يا جرير المجامع

لكن لا ينبغي لنا ان نقتصر على الافتخار بمجدهم ، بل ينبغي لنا ويتحتم علينا ان نعمل بقول من قال :

لسنا وان احسابنا كرمت
يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا
تبني ونفعل مثل ما فعلوا

فنسأل الله ان يوفقنا لاحياء ذلك المجد الشامخ ، انه على ذلك قدير .

الدكتور تقي الدين الهلالي



عبد الله كنون شاعراً بديوانه "لوحات شعرية"

للدكتور: زكي المحاسني

كم ذا ، كنت احب التعبيــر الفرنسي فــي الصديق القديــم (Mon vieux)

وكــم يروقني ان اطلق على اصدقائــي الذين سلخت العمر بصحبتهم وودهم أن ادعوهم بمثل هــذا التعبير العربي الجميــل ! . .

من هؤلاء القدامى الاحبة صديقي الاستاذ العظيم اديب المغرب وعلامة العرب والاسلام في القرن العشرين « عبد الله كنون » اني اقرا فيض عبقريته في كل شهر بمجلة مجتمعنا العلمي العربي بدمشق وحين تفد علي مجلة (دعوة الحق) الحبيبة ابدا بالتهام مقالــه ثــم اتحلى بالمقالات التالية .

ولقد ارسلت اليه ابياتا بواكيا في رثاء امه الحنون لمرور عام على غيابها عن دنيانا ، وسرعــان ما ورد علي منه رسالة وكتاب ، اما الرسالة فقد املاها على الآلــة الكاتبة استجابة لطلبي منذ سنين اذ لم استطع قــراءة خطه المغربي ، ونحن في الشرق لا نجيد قراءة الخطوط المغربية ، وهذا تقصير فينا . وقد حمل الي البشرى برسالة في انه اخرج لقرائه ديوانا من شعره ، فحمدت الله قبل ان انظر في ديوانه ، اذ كان لابد ــ عنــدي ــ من ان يغالبه الشوق في شعره ليراه مطبوعا في ديوان ، وهو منذ سنين استجاب لرغبتي في ان اراه يجعــل عــوده الى المغرب بطريــق الشام اذ كــان رئيسا لوفد الحجاج المغربي ، فيا لله كم كــان سروري بالغا ومؤنسا حين حظيت برؤيته ولقائــه الحبيب بضفاف بردى ، ويا لله امسية ضمتنا في متنزه « اشبيليا بدمر » في ضاحية من ضواحي دمشق الفواحة اذ كان المــاء يتدلع من مطافر على بركة كبيرة وساعتئذ والغــروب يدلف الى مراتعه الداكنة اخذ الشاعر الكبير عبد الله كنون يقرا لي من شعره العذب المصفى ، ولم اكد اسمع هذا الشعر الرقيق الرصين والمكين الحر حتى اقامني سماعه واقعدني ، فهتفت بــه :

ــ يا لك شاعرا مكينا كبيرا ، اين خبات هــذا الشعر وانت رب الشعور تساقط عليك الموحيات مــن رباته الفواتن ، فهلم لطبع ديوانك ! . .

واخذنا نضحك من اجل ربة الشعر ، فان العرب زعموا ان لكل شاعر شيطانا يلهمه واخذت انبذ هــذا الزعم مريدا الربات الفواتن لاخيلــة الشعــراء ، لا الشياطين الراجميــن .

كل ذلك مر بخاطري وانا التهم التهاما جديــدا ديوان صديقي القديم عبد الله كنــون الذي اسمــاه (لوحات شعرية) وقد كتب مقدمته معربا عن قعوده عن الشعر زمنــا حتى كان هذا ديوانه الاول في هــذه الاونة المعطرة من عــام 1967 .

يقول في مقدمته الوارفة انه مزق مــن شعــره جانبــا . وانــي لاعد هذا العمل وادا ، فكيــف جــاز لعلامة الادب والدين الاستاذ كنون أن يئد من شعــره البنات الغوالــي وقد نهــى الاسلام عن الواد « واذا المــوءودة سئلت باي ذنب قتلت » والقصيــدة بنت الشاعر ولا يجوز وادها مهما يبلغ الامر فيها من قدم ، او ضــعف ، او خــلاف .

وقد عتبت في كتاباتي على الشاعر العظيم ولـي الدين يكن اذ كان قد مزق كثيرا من شعـره ، وكذلك فعل الشاعر الفرنسي الفريد دو موسيه . .

وكيف دار الامر فقد اخذت اسكب على ديـوان « لوحات شعرية » شعوري وتأملي وعقلي ونظراتي في الادب والنقد والتحليل فاذا بي ادهش لمـا ارى مـن شعـر في موضوعات اشتات في الوطنيـة والوصف والشكوى والغزل ايضا ـ وهل على عبد الله كنون من حرج ان يتغزل ؟ ان جلباب الوقار الذي يزين منكبيه لا يزحزحه عنهما شعر الغـزل ولا الغـزل نفسه .

وآنست في شعره حزنا مريرا وقد يكون دفينـا في مثل قوله في قصيدته التي اسماها : « الحماسـة العصريـة »

فان كـان في طبعـي اتضاع لماجـد
فرب اتضاع كـان في حسنه كبـرا

يقـول حسـودي انـنـي متطامـن
وكيـف ونفسي قد تجاوزت الشعرى

لئـن غـره مني مـداراة جـاهـل
فان السياسي من يداري الورى طـرا

فأثـار في كوامن نفسي قضية الحسد فـرحت انظر الى شعـره وبدور خاطـري بأبيات لابي الطيب المتنبي في شكواه من حسد حساده حتى حسدوه على حياته ، حتى سمى ابنه الاوحد « محسدا » وقد قتل معه . وكان الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر محسودا فألف رسالة في الحاسد والمحسود جاءت في التحليل النفسي اعجوبة ادبه وفكره ، وفي ديوانه اي الاستـاذ عبد الله كنون قصائد ممتعات وروائع فواتن تفـوح بخواطر مليئة بالحماسة والذوب في حب الوطن والرثاء للعظيم الاديب والفداء للحركـة الوطنية والحركـة الاسلامية والاعياد الملكية . ولقـد رحت الـوب على شعره في رثاء امه التي توفيت منذ عام فلم اجد مـن اجلها مرثية في ديوانه(*) ولقد رثى اباه ـ ووجدت مقطوعة بعنوان (وداع) فيها حزن وما احسبه من اجـل الام فأخذت اعتب عليه بيني وبين نفسي ثم ابحت هـذا العتاب قلمي ليبلغه وليكون في ديوانه الثاني البكاء على الام . وانني حتى اليوم لم اجمع شعري ليكون ديوانا حتى لا احمل الى قرائي الاعـزة وقارئاتـي العزيزات احزانا ومواجد وان ديواني سيكون فيه عشر قصائـد في امـي .

ولم يخل الشاعر الكبير عبد الله كنون ديوانه من الروح العلمية المعاصـرة فكتب قصيدة في الذرة واحب ان يجرب حظه في الشعر الحر فعمل قصيدتين اردفهما بقصائـده المستقيمة الخليلية العامرة ، والظاهر انـه يعطف على الحركة الجديدة في الشعر المنثور ، وانا من اجل عطفه اتجاوز عن نقده في هذه التجربة التي يريـد بهـا عبد الله كنون ان يلبس اللبوس المعاصر ، ولـو كـان مـا فـوق الركبـة (Mini-jupe)

فارتد خيالي اليه ـ حفظه الله ـ حين دمر علي بدمشق فاذا بي اطالعه في بذلة اوربية وعقدة عنق وهو حاسر الراس عليه من الشباب ما يغالب الكهولة وكان ارسل الي صورا لشخصه الحبيب بالبرنس الابيض الصوف المغربي وعلى راسه العمامة البيضاء . . ولعل من يقول، حين يقرا مقالي هذا ، اني لم اورد له شعرا فيه سوى ابيات ثلاثة وليعلم هذا القائل اني ارغبه بهذا الشعـر الجميل المكين وبشاعره الموهوب ، ولقـد دللتـه على النبع فليرد مـوارده الدارة ليجد الري فيها .

فللاستاذ الصديق القديم عبد الله كنون عواطـر تحياتي من شفاف بردى تأتيه بها الانسام عليلة هفهافة على « طنجـة » التي كم اتوق لرؤيتهـا ولتسريـح الطرف في المغرب الاغر بعد ان سرحته في كتب افذاذه البوانع وقد اطرفوني بها ومنهم صديقـي الفيلسوف والاستاذ الكبير الدكتور العميد عبد العزيز الحبابي واخي الاديب الموهوب والسفير السياسي المحنك عبد المجيد بن جلون وسواهم كثير ممن اقرا لهم واتوق الى رؤيتهم من كتاب وشعراء ومفكرين .

واذا ختمت هذا المقال عدت بالقول الى قصيـدة (المكتبـة) في ديوان « لوحات شعرية » اذ وصفهـا الشاعر الملهم بانها حرم الفكر والشعـور فاحببت ان تشاركني الاعجاب بها بنتاي « ذكاء وسماء المحاسني » وهما الحائزتان على الليسانس في الوثائق والمكتبات من جامعة القاهرة ولقد طربنا واعجبنا بهـا اذ وجـدتا نفسيهما سادنتين لهذا الهيكل الفكري الخالد الـذي هـو (المكتبـة) .

دمشـق ـ الدكتور زكي المحاسني

(*) لقد توفيت المرحومة والدة الاستاذ سيدي عبد الله كنون بعد طبع الديوان .



التوسع الإسلامي في عصر الكواكب الاصطناعية :

المجتمع الدولي والتطورات في وسائل الاعلام الحديثة

للأستاذ : المهدي البرجالي

الاعلام ، قوة من القوى الرئيسية ، العاملة في محيطنا العالمي الراهن ، والمؤثرة بشكل أو بآخر – في تكييف العقلية الفردية والجماعية ، على مستوى العالم كله ؛ لقد كانت الجريدة أداة الاعلام الرئيسية خلال القرن الماضي وأوائل الحاضر ، أما اليوم فان العالم يدخل في عصر الاعلام عن طريق الكواكب الاصطناعية فما هي الملابسات الناشئة عن ذلك ؟ وما هو موقف المجتمع الدولي من مثل هذه الامور ؟

لعله لا يخطىء من يذهب الى تسمية عصرنا هذا بعصر الاعلام أو عصر وسائل الاعلام ، اذا ما فضل آخرون لهذا العصر تسميات أخرى ، تنطبق عليه ايضا ، كالعصر النووي او الفضائي او غير ذلك ؛ وفي موضوعنا هذا الذي نعالجه الآن ، لا تبتغي التوسع في تبيين قيمة الدور الحيوي الذي تؤديه وسائل الاعلام في حياة الحضارة الحديثة فذلك ، مما نعيشه عمليا ونعيش آثاره والحقائق المرتبطة به في شتى الميادين . فأدوات الاعلام هي – في دنيانا الحاضرة – من اشد ادوات الحضارة تغلغلا في حياة الناس ، وانتشارا بين ظهرانيهم ، مما قد لا نحتاج معه الى ايراد الحديث عن اهمية هذه الوسائل الاعلامية ، ودورها القوي في المجتمع الانساني الحاضر ؛ لكن وسائل الاعلام – اذا كانت تؤدي ادوارا في حياة الحضارة الحديثة ، قربت المسافات بين الناس ، وساعدت على تعريفهم ببعض البعض ، فان لها من جانب آخر ، ملابسات دقيقة ترتبط بها على وجه أو آخر ، بل وينتج عنها – اي عن هذه الملابسات – جملة قضايا ومشاكل ، قد تكون محرجة في بعض الاحيان . وهذه الملابسات والمشاكل والقضايا المتعلقة بها ، هي ما يعني – بصورة اخص – رجال القانون الدولي ، في وقتنا هذا ، وقد تزداد عنايتهم بالموضوع اكثر بكثير ، مما هو عليه الامر الآن ، نظرا لازدياد تشعب وسائل الاعلام الحديثة ، واتساع مداها ، وتنوع وسائلها ، واشتداد فاعلية تاثيراتها على صعيد العالم قاطبة ؛ ان انواع التاثير التي تحدثها وسائل الاعلام الحديثة ، تتناول الفرد ، كما تتناول الجماعة ، وتمس الحياة المجتمعية المحدودة في كل قطر على حدة ، كما تمس الحياة الدولية والعالمية عموما ؛ وكل هذا مما يخلق حالة الاهتمام القانوني بالانظمة الاعلامية الحديثة ، باعتبار انها – اذ تمس العلاقات بين الناس على مستوى العالم كله – فلا بد ان ينجر عنها كل ما ينجر عن الاحتكاك بين الناس من عواقب قانونية دولية ، كأي شيء يتعلق بحالة العلائق بين الاقطار بعضها ببعض ، والشعوب بعضها مع بعض .

ويأتي كل هذا ، من كون انظمة الاعلام الحديثة ، قد خلقت حالة فريدة من نوعها ، لم تكن موجودة من قبل ، بمثل هذه الصورة ؛ وهذه الحالة هي التي تتمثل في زوال اية قيمة للمسافة والحواجز الفاصلة بين الدول ، وتهيؤ المجال هكذا ، أمام مختلف الدول ، لايصال كل ما تبتغي قوله الى الشعوب الاخرى عبر حواجزها الطبيعية والاصطناعية دون ان تستطيع تلك الحواجز شيئا فعلا ودائما لحجز ما يصدر عبرها من

بضاعة اعلامية اجنبية ، قد تنال موافقة المصدرة اليهم هذه البضاعة وقد تكون مدعاة لاثارة اشمئزازهم وسخطهم كذلك .

ومن مفارقات عصرنا ، ان قدرة وسائل الاعلام على اختراق الحواجز المختلفة بين الاقطار قد حصلت في نفس الوقت الذي اشتدت فيه الرغبة عند الدول في اقامة مزيد من الحواجز فيما بين بعضها البعض، يدعو الى ذلك ما هو واقع من تناقض المصالح الاقتصادية وغيرها بين الامم ، واشتداد المشاعر القومية والاقليمية في كل مكان .

وهذا التناقض بين القدرة على اختراق الحواجز التي لوسائل الاعلام الحديثة ، وبين الرغبة في الابقاء على الحواجز ، وتنميتها طبقا للمقاييس والمفاهيم التي تسود اعضاء المجتمع الدولي في عصرنا الحاضر — نقول : هذا التناقض الحاصل هو من بين ما تثيره الادوات الاعلامية الحديثة من قضايا وملابسات مثيرة للاهتمام ؛ الا ان ما ذكرناه هو صورة واحدة من المسالة تتعلق بالصلات بين الامم بعضها مع بعض ، ويبقى هناك في المسالة صورة أخرى تتعلق بصلة الفرد بمجتمعه ؛ وفي هذا النطاق ايضا ترتبط بوسائل الاعلام ملابسات مختلفة تتعلق بمدى حرية فكر الفرد ازاء الوسائل الاعلامية المتغلغلة في كل مرفق من مرافق حياة الافراد في اي مجتمع ، والى اي حد يحق بل يجب على وسائل الاعلام ان تتدخل في تكييف عقلية الفرد ، وتطعيمها ، وتوجيهها على نحو ما من ميادين التوجيه .

وسواء بالنسبة للفرد وعلاقته بالمجتمع ، او بالنظر لعلاقة الامم بعضها ببعض ، فان المفاهيم هنا تختلف اختلافا كبيرا ، حول الدور الذي تقوم به وسائل الاعلام في هذا المضمار ، وما اذا كان هذا الدور يجب ان يؤدى على كيفية أو اخرى ، ليكون دورا ايجابيا مفيدا حقا ؛ فوسائل الاعلام الحديثة ، تقوم بنشاط يومي جبار في كل انحاء العالم ، لكن تقدير الناس لهذا النشاط يختلف بحسب مفاهيمهم ونظرياتهم ، والمؤثرات التي يتاثر بها كل فرد او كل جماعة ؛ فهناك من يرى في وسائل اعلام معينة ان ما تقوم به ، هو عبارة عن عمل توجيهي مفيد ، يخدم مصالح المجتمع او المجتمعات او يبصرها بما يجب ان تسعى اليه وتعمل له ، بينما يرى آخرون في سياسة اعلام من هذا القبيل ، انها تقوم على مسخ الحقائق وتحريف الوقائع والعدوان الناشيء عن سوء نية ، النية التي ترمي الى تحقيق نوع من البلبلة والتهديم لامبرر معقولا لهما ؛ وقد تجد من بعض الجهات سياسة اعلام اكثر محافظة ، والتزاما للمواضعات الدولية المعمول بها ، ولكنك قد تجد — من جهة اخرى — من يرى في هذا الالتزام بالمواضعات الدولية ، نوعا من التحفظ المبالغ فيه ، والذي يقلص — كما يرى مثل هؤلاء — من فاعلية التاثير الموجه الذي يجب ان يقوم به الاعلام في الاصل .

هذه الاختلافات في تعيين مفهوم رسالة الاعلام، وتعيين حدود لها اكثر ثباتا وما يجب ان يقوم به الاعلام الحديث من وظيف ، في بناء المجتمع المحلي، ثم ما يجب ان يقوم به من دور كذلك في تكوين علاقة سليمة وبناءة بين المجتمعات المختلفة — نقول ، مثل هذه الاختلافات ، ليست امرا بسيطا في حد ذاته ، بل انها امر ذو بال ، والى حد كبير . فقضية الاعلام — بهذا الاعتبار — تتعلق بكثير مما لدى الناس من مفاهيم مختلفة في السياسة والثقافة والتنظيم العام بكل مدلولاته وموضوعاته ، وما يتخذونه حسب هذه المفاهيم من مناهج وسلوك في التفكير والعمل ثم ان الموضوع كذلك يتعلق بطبيعة الفلسفة التي ياخذ بها قطر او آخر من الاقطار ، والعقلية التي تسيطر على هذا المجتمع ، او غيره من المجتمعات ؛ ان الامر هنا — امر وسائل الاعلام — اذا كان في اطاره التقنولوجي الذي يعطي صورة عن حالة توسع تقني ، هو من اهم مميزات العصر ، فانه من جانب آخر ، يضع على المجتمع الانساني ، مسؤوليات جسيمة ، مسؤوليات تتلخص في جعل الاحتكاك الناشيء عن توسع الوسائل الاعلامية احتكاكا ايجابيا ، مستنيرا ، وتلافي كل ما امكن — الصعوبات التي تسببها حالة الاحتكاك والتواجه بطبيعتها .

فالنظر الى موضوع الاعلام من هذه الزاوية ، هو اذن نظر في وجه من اوجه الحضارة القائمة ، واستطلاع لافق مهم من آفاق الحياة الانسانية الراهنة ، حيث تتداخل التقنولوجيا مع الحياة العامة للناس تداخلا كبيرا ، وحيث يتطلب هذا التداخل كثيرا من التطور الفكري على صعيد الانسانية ، لتلافي المشاكل الناشئة عنه .

* * *

يقع الفرد — في عصرنا الراهن — تحت تاثير اعلامي شديد التركيز عليه ، يحيط به من مختلف الاوجه ، ويصاحبه طول نهاره وليله كذلك ، اي خلال

الاربع والعشرين ساعة دون انقطاع ؛ والادوات التي يقوم عليها الجهاز الاعلامي العصري ، تتنوع ـ كما نعرف ـ بقدر ما عند الانسان من تنوع في الحواس والسبل المؤدية الى التعقل ؛ فهناك الوسائل الاعلامية المتعددة على السمع فقط ، كالاذاعة او السمع والبصر في آن واحد كالسينما والتلفزة ؛ او البصر لا غير ، كمعارض الرسوم ، وخزانات الكتب والصحافة المكتوبة وغير ذلك مما في هذا المعنى ؛ ان كل هذه الوسائل تتضافر جميعها لايصال « افكار العصر » ومعطياته المختلفة الى ذهن الفرد عن طريق حواسه السمعية والبصرية ، وبجميع ما يمكن من ملابسات الاغراء كالاستعانة باللون والنغم والمفاجأة ، واستغلال غريزة الفضول والاثارات المختلفة ، ومن كل نوع ؛ وتختلف الموضوعات الاعلامية التي يتلقاها المرء كل يوم ، اختلافا لا حد له متراوحة هكذا بين اشد المواضيع السياسية والعلمية تعقيدا ، الى المواضيع الفكاهية والتسلية وما في حكمها ، الا ان مجموع المواضيع الاعلامية الملقى بها الى الفرد ، تتركز كلها تركزا يساهم في صياغة عقلية هذا الفرد من ناحية اجتماعية واقتصادية وسياسية ويساهم ـ بالنتيجة ـ في التأثير على نظرته الى نفسه، والى قومه والى العالم والى الحياة نفسها،وما يتلبس بها من فلسفات ونوازع ؛ ولا نقول بهذا ان وسائل الاعلام الحديثة هي وحدها التي تكيف عقلية الفرد على نحو ما نرى عليه الفرد في مجتمع او آخر من المجتمعات؛ ان وسائل الاعلام لاتعدو ان تكون وسائل وكفى ، فليست هي التي تكيف عقلية الفرد ، وانما الذي يكيفها هو مختلف المؤثرات التي يجدها الفرد في مجتمعه منذ بداية ابصاره للنور ، بما يدخل في ذلك من المفاهيم التي يدين بها الآباء ، والروح التي تسود حياة الدراسة الرسمية ، والمواضعات التي يسير عليها المجتمع مبدئيا او عمليا ، يتمثل ذلك في تقاليد هذا المجتمع ، وفلسفته، وطراز حياته والسلوك الشائع في حظيرته ، والاقوال التي تروج في محيطه وغير هذا من العناصر التي تتشكل منها صورة حضارته الخاصة ، كل هذا يلعب الدور الرئيسي في صياغة العقلية الاصلية التي ينشأ عليها الفرد ، والسبيل الفكري والعملي الذي يسير عليه في الحياة ؛ وبهذا يتسلسل الفرد عن مجتمعه ، ويبقى مؤتمنا على الوديعة الحضارية التي يتلقاها عن هذا المجتمع ، يبقى كصورة من الصور عن هذه الوديعة، صورة تصلح لان يقتبس منها فرد او افراد من الجيل التالي الذي هو جيل ابناء ذلك الفرد او احفاده المباشرين ؛ وتاتي وسائل الاعلام في الغالب ، لا لتخلق شيئا عند الفرد ، خارجا عن ماهية الوجود الحضاري الذي يعيشه منحدرا اليه من قومه ، ولكن لتركز فيه بطريقتها الخاصة ، جوهر العناصر الفكرية والحضارية القومية التي تلقاها في الاصل عن مجتمعه ، اي انها تعمل على اخصاب هذا الوجود الحضاري القومي عنده، وتوسيع آفاقه واعطائه منطلقات جد غنية وايجابية ، وادعى الى زيادة تغلغل الفرد في حضارة قومه وحياتهم الخاصة ، وهذا دور مهم تؤديه وسائل الاعلام الحديثة، في نطاق العمل الدائم الذي يبذله المجتمع من اجل ضمان اندماج افراده فيه ، وجعل هذا الاندماج اكثر حيوية وفاعلية وبنائية ؛ لكن هناك بهذا الشأن سبيلا لملاحظة احوال تبدو في هذا النطاق ، تبعا لما هناك من اختلاف في فلسفة الاعلام عند اهل هذا البلد او الآخر ، واختلاف كذلك في المناهج والقوالب والصيغ التي تسير عليها عمليات الاعلام في شتى الاقطار بالعالم المتخلف او العالم المتقدم . فالفرد ـ عندما يتلقى عن المجتمع في البيت والشارع وغيره ، جملة قيم واصول هي قوام حضارة ذلك المجتمع وشخصيته الفريدة ـ ان المرء عندما يتلقى ذلك ، فانه يتلقاه بصورته الطبيعية الصادقة التي تعكس روح المجتمع ، الحقيقية ، كما هي ، بطبيعتها النموذجية التي لم يتسرب اليها تغيير اساسي ؛ اما عندما يحتل الفرد مقعده في المدرسة فانه لابد ان يجد هناك صورة معدلة عن روح مجتمعه وتقاليد بلاده ، داخل اطار فيه بعض التجديد والتغيير، يتمثل ذلك في الحقائق « غير القويمة » التي تاخذ المدرسة على عاتقها تلقينها للطفل لتربط الصلة بينه وبين الحقيقة الاكثر اطلاقية والاشد تجريدا كالقضايا العلمية ، والحقائق الرياضية وغيرها ، وعندما تنتهي المعاهد المختلفة من صياغة عقلية الطفل المعدلة ، الجامعة بين ارتباطه بحضارة قومه ، وحضارة العالم ، وبين الحقائق المجردة في الحياة ـ حينئذ يصير الفرد حرا في كثير من اختياراته الفكرية وما ياخذ به ، وما يرفضه من معطيات الفكر والنظر ، ضمن الحدود الاساسية التي تشكل شخصيته القومية والانسانية ؛ وهنا تاتي وسائل الاعلام الحديثة ، لتكون بالنسبة اليه المدرسة الدائمة التي تتعهد الحالة العقلية المعدلة ، التي صيغ عليها ذهنه في المدرسة ، هذا اذا كان قد تعلم ؛ اما اذا كان غير متعلم ، فان وسائل الاعلام ، تقوم بالنسبة لهذا الاخير بدور الصائغ الاساسي لعقليته المعدلة ، الجامعة بين ارتباطاته ، واتصالاته بالعالم الخارجي عنه ماديا ومعنويا .

الا ان هناك عناصر جديدة في الموضوع ، تظهر عند انتقالنا من وسائل الاعلام بالمدرسة وما في حكمها،

الى وسائل الاعلام العمومية ، على مستوى الصحافة وغيرها من الوسائل التي استعرضنا صورا منها من قبل . ان هذه العناصر الجديدة تظهر (اولا) في كون وسائل الاعلام العمومية تتوجه الى جميع مستويات الناس ابتداء من الاطفال الى الشيوخ وما بين ذلك ؛ ثم ان وسائل الاعلام العمومية — وان كانت تتقيد بمبادىء اساسية فيما تقدمه من مواد — فان هذه المبادىء الاساسية نفسها ، تتاثر بعقلية الانسان القائم على وسائل الاعلام والمكيف لطريقتها وقوالبها ، بل والمكيف كذلك لروحها في بعض الصور ؛ واظهر ما يظهر لنا هذا في الصحافة المكتوبة بالنسبة للمجتمعات الليبرالية في الاقطار ؛ فالصحافة في مثل هذه الحالة، تتمتع بقسط كبير من الحرية في التوجيه والاقناع ، مما ينوع امامها السبل التي تتخذها في هذا التوجيه والاقناع ؛ وقد لا يقع ان تخرج كل الصحف عن اطار الاهداف والمبادىء القومية والانسانية التي ياخذ بها المجتمع والتي يتلقى المرء اصولا لها في اسرته والشارع والمدرسة ؛ بيد ان التلوين الدقيق لابد ان يدخل في صميم هذه المبادىء والاهداف المعروضة على الناس بواسطة الصحف ، تلوين يتاثر بعقلية الكاتبين في الصحف ، والموجهين لها ، ويتاثر كذلك بنوازعهم واقتناعاتهم الشخصية ، التي لايلزم ان تتخذ وجهة واحدة الامر الذي يجعل للحقيقة الواحدة اكثر من صورة ، واكثر من لون ؛ وعلى افراد المجتمع العاديين أن يتلقوا كل هذه الصور والالوان المتضاربة ، ويهضموها جميعها ويتمثلوها تمثلا يسهم في تكوين عقلياتهم وافكارهم ، على اساليب ومناح مختلفة .

* * *

هذه الحالة من تعديد الصور للحقيقة الواحدة ، واختلاف الوسائل الاعلامية المؤدية الى هذا التعديد ، تجد انصارها الذين يذهبون في تأييد ذلك الى القول ، ان الفرد الراشد الناضج لايمكن اعتباره دائما كتلميذ مدرسة ، تصب عقليته في قالب واحد ، يشبه جميع القوالب التي تستعملها كل المدارس الاخرى في بلاده . ان المرء الراشد يصبح في العادة ذا قدرة اكبر على تكوين افكاره بنفسه ، وسلوك سبيل هذا الاختيار او الآخر فيما ياخذ به من نظريات ومذاهب ، تاتي اليه من خارج ذهنه ؛ فالمجتمع الذي صاغ له عقليته القومية منذ صغره ؛ قد منح له المادة الخام التي يرتكز عليها وجوده الفكري والحضاري في بلاده ، اما المدرسة فقد ساعدته على تنمية ملكاته ، وصقل عقليته ، وربطت بينه وبين العالم الخارجي ، ومنحته من خلال ذلك ، امكانيات العثور بنفسه لنفسه ، على افكاره واستنتاجاته الخاصة ، التي قد تكون استنتاجات مشابهة لما عند عموم الناس، فتعتبر لذلك استنتاجات عادية ، او عادية جدا ، وقد تكون استنتاجات فريدة من نوعها ، وذات عطاء خلاق ، فتعد استنتاجات نابغة او عبقرية ؛ وفي جميع هذه الحالات ، يكون المرء — وهذا هو الاهم — ذا قدرة على الاستنتاج لنفسه ؛ ولهذا فان تلوين المادة الاعلامية التي تقدم له تلوينها بحسب النوازع والمقاصد والعقليات التي للقائمين على تقديم هذه المادة الاعلامية — هذا التلوين ، لا يجب ان يعتبر ضارا بالعقلية العامة عند الناس ، ولو كان ينطوي في بعض ما ينطوي عليه — على ما يوجب الحيرة والاضطراب في افكار بعض الناس وتصوراتهم ؛ اذ ان الحيرة التي تثيرها الموضوعات والاستنتاجات المتناقضة ، مما تحمله ادوات الاعلام المقروءة وغيرها ، سرعان ما تستقر بالمرء في الاخير على شيء ، على استنتاج هو من بنات فكره واختياراته ، وحينئذ يكون الاستنتاج من هذا النوع — الاستنتاج وليد الحيرة والتارجح — اكثر غنى واعمق اساسا من غيره من الاستنتاجات المتيسرة التي يكونها الآخرون لانفسهم مباشرة ، وبدون اصطدام بآراء مختلفة ومتناقضة عند الآخرين ، وبدون معاناة الحيرة وما في معناها .

ويقابل هذه النظرة الى الموضوع ، نظرة اخرى تذهب الى ضرورة تضييق الباب امام الاختيارات الفردية في ميادين الفكر والثقافة ، بحجة ان تعدد الاختيارات وتنوعها بغير تحديد ، من شانه ان يبث روح البلبلة الفكرية التي لا تستقر على هدف ثابت ، ومن شانه كذلك ، ان يجعل الفكر ذا طبيعة ترفية اكثر من ان يبقى عليه كاداة توجيه دقيق ملتزم ومتناسق يؤدي الى مقاصد مدروسة مقدما ، ومنسجمة مع الاهداف الحيوية للمجتمع .

وليس من استنتاج قد يؤدي اليه مثل هذا التفكير الا الاستنتاج القائل بافضلية صهر ادوات الاعلام المختلفة ، في بوتقة واحدة ، تستمد روحها من نهج مشترك ، وفكرة مشتركة ، وان كانت الصور والاساليب المظهرية ، تختلف فيما بينها اشباعا للحاجة الطبيعية الى التنويع والتلوين ، ولو من حيث المظهر فقط ، واذا كان هناك من الاقطار النامية من ياخذ بهذا المبدا الاخير ، فان الحياة العالمية الآخذة في التشابك والتداخل باقصى صورة ممكنة تسير عمليا نحو فرض مبدا التنويع ، وتكثير الصور الاعلامية المعروضة على

الفرد في مختلف انحاء العالم ؛ وعامل ذلك ـ كما نعرف ـ التطور السريع الشامل الذي ادركته المواصلات الحديثة في عالمنا الراهن حيث تتخذ الارض والبحر والهواء مطايا سهلة الاستعمال لتحقيق اضخم عمليات تواصل بين المجتمعات الانسانية عرفت لحد الآن ؛ وتاتي بعد ذلك الامواج الكهربائية المغناطيسية لتجعل هذا التواصل ، فوريا وشاملا على النحو الذي يكاد يجعل من الفكرة هنا وهناك ، ارثا مشاعا بين جميع الناس ، لا اعتبار لما بينهم من ابعاد ارضية وبحرية مترامية ، على شتى المحيطات والقارات والجزر بانحاء كوكبنا الارضي .

فهل من الممكن اعتبار هذه الحالة ، بمثابة حظ حسن توفر لانسانية القرن الحالي ، من بين ما توفر لها من حظوظ جميلة في مضمار الحضارة والتقدم ؟

ربما يعتبر القاء هذا السؤال ، غير ذي موضوع ، نظرا لبداهة الجواب الذي ينتظر من القائه ؛ والا فمن يجادل في الفائدة التي يجنيها الانسان المعاصر من الامكانية التي توفرت له : ان يلتقي مع موارد الثقافة والراي عند غيره في شتى بقاع العالم ، كل هذا بمجرد حصوله على كتاب يقتنيه ببضع دراهم ، او مجلة او صحيفة ، لايكلفه الحصول عليها الا ثمن ازهد من ذلك بكثير ؛ وقد لا يكلفه ذلك شيئا مباشرا حينما يضع يده على الزر ، زر جهاز الاستقبال عنده ، فاذا به ملتق مع خارج بيته في نفس اللحظة والحين .

حظ جيد توفر ـ ولا شك ـ لانسان هذا العصر ، الذي اصبح في امكانه هكذا ان يتعلم ويتثقف، ويكون الراي والذوق ، بعشر معشار ما كان يصرف في سبيل ذلك من جهود قبل ؛ غير ان هذا الحظ الجيد لا يخلو هو ايضا من ملابسات تتصل به ، هذه الملابسات قد تبدو منطوية على بعض التعقيد في نظر البعض ، وقد يراها كثيرون بالغة حد المشكل الذي يجب ان ينظر اليه باهتمام ، ويعنى بتصفية الآثار التي قد تنتج عنه فيما اذا لم تقع تصفيته ، قبل أن تتولد عنه مضاعفات محتملة . فما مصدر هذا التعقيد الذي تخلقه الحياة الاعلامية المتطورة في عصرنا الراهن ؟ وما هي آثاره والنتائج المترتبة عنه ؟ وماذا يفكر في موضوعه على مستوى العالم ؟

اشرنا في فقرة سالفة الى المظهر البسيط لهذه القضية التي يعتبرها البعض بمثابة مشكلة تخلقها وسائل الاعلام الحديثة ، وذلك حينما قلنا ان هناك تناقضا كبيرا بين الرغبة التي تجتاح عصرنا دافعة الامم الى اقامة الحواجز فيما بين بعضها البعض ، بينما تسير وسائل الاعلام الحديثة ، نحو القدرة على اختراق هذه الحواجز والنفوذ منها نفوذا غير مراقب، وغير مضبوط بحال من الاحوال ؛ والواقع ان مايثير الالتفات في هذا التناقض ، ويظهره بمظهر المشكلة عند عدد من الناس في العالم ، هو ان اختراق الحواجز هذا لا ينحصر مداه عند حد معين ، بل يزداد نطاقه توسعا وامتدادا بقدر ما تزداد التقنية الحديثة توسعا وامتدادا هي كذلك ؛ فالصور المنقولة عبر الامواج كان مداها ينحصر في منطقة محدودة داخل القطر الواحد ، او حتى اذا ما توسع مداها ، فانها لاتتجاوز النواحي المجاورة لذلك القطر الذي تصدر عنه الصور المنقولة (المتلفزة) غير ان نظام الاقمار الصناعية قد احدث بهذا الصدد تحولا مدهشا في مجال الصور المنقولة ، اذ عمل على توسيع نطاق انتقالها ، فصار من الممكن تبادلها بين القارات وعبر المحيطات الشاسعة ، كما برهنت عنه تجربة نقل البرنامج التلفزيوني بين اوربا وامريكا منذ بضع سنوات مضت ؛ والتجربة التي تم بموجبها نقل الصور بكل وضوح من امريكا الى غربي اوربا ، مسجلة بذلك بداية الدخول في فترة جديدة من التواصل العالمي ، لها ما بعدها في برامج المواصلات اللاسلكية عبر الكوكب الارضي .

وقد جرت في اليابان خلال سنة 1964 دورة الالعاب الاولامبية ، التي تقع دوريا على رأس بضع سنوات كما نعلم ؛ وليس المهم في الامر ، وقوع الالعاب ونجاح الدورة تلك بالشكل الذي نجحت به ؛ والما موطن الاهمية بهذا الصدد ، هو النجاح الاعلامي الذي تحقق بتلك المناسبة والذي تم على اساسه نقل صور بواسطة القمر الصناعي ، العملية التي تمت خلال تلك الدورة ، كانت بالعكس من ذلك ـ مجرد بداية لفتح صفحة جديدة في تاريخ العلم وفي تاريخ الاعلام ، وفي تاريخ العلاقات الدولية عموما ، هذه الصفحة ما تزال في بداية انفتاحها ، اما الآفاق التي تلوح من خلال هذه الصفحة الجديدة فتبدو لها ملامح مليئة بالوعود الواسعة ، التي من شأنها ان تحدث في حياة العالم من التطورات ، ما احدثه ظهور البث اللاسلكي ، والطيران ونحوهما ؛ الوعود الواسعة التي ذكرنا ، تتصل ـ طبعا ـ بموضوع المواصلات ، والمواصلات الاعلامية

بوجه اخص ! وقد تحققت وسائل الاعلام اللاسلكية في خلال الثلاثين سنة الاخيرة ، التطور الذي نلمسه على صعيد حياتنا اليومية ، الا ان هذه الوسائل الاعلامية اللاسلكية ، لم تصل لحد الآن الى المستوى الكمالي الذي ينشد من حيث المبدا ؛ فما يزال البث الاذاعي على الامواج القصيرة ، يلاقي في بعض الاحيان مصاعب طبيعية جمة ؛ تحول بينه وبين ان يؤدي مهمته دائما على الوجه الاكمل ؛ وما زالت « التلفزة » وهذا اهم ما في الامر ــ محدودة المدى في كل بلد لا تتجاوزه الا الى البلدان المجاورة ؛ حتى ولو بلغت الاجهزة المرسلة للصور مدى بعيدا في الكمال التقني ؛ ومثل هذه النقائص ، ليس مما يسهل سبيل التواصل العالمي على النحو الذي يراد به اقامة مثل هذا التواصل ، فانحاء الارض محتاجة الى « رؤية » بعضها بعضا مباشرة ، كما هي في حاجة الى « سماع » بعضها بعضا مباشرة كذلك ؛ وهذه « الرؤية » المباشرة على المستوى العالمي ، هي ما تتركز حوله الاهتمامات الان ، بعد نجاح مبادرة سنة 1964 في اليابان ، والتطورات التقنية في هذا الميدان ، التي اعقبتها بعد ذلك .

على انه اذا كانت التطورات التقنية ، قد بلغت المدى الذي تنفتح معه أبواب الوعود بهذا الصدد ، على مصراعيها ، فان هناك ــ من الجانب الآخر ــ قضايا متعلقة بالقانون الدولي ، يثيرها هذا الموضوع من اساسه ، ولا ينتظر ان تصل هذه القضايا في الاجل القريب الى تسوية عالمية محكمة ؛ ان القضايا القانونية من هذا القبيل التي يخلقها امر التوسع في الاقمار الصناعية على صعيد الاعلام تتصل بما سبق ان اشرنا اليه ــ قبل ــ من حالة التناقض القائمة في هذا العصر، التناقض بين رغبة الدول في تقنين التسرب الاعلامي الى اراضيها أو الاكتفاء بمراقبة تسربه على الاقل ، وبين الدعاية وسائل الاعلام الحديثة ، وطغيانها على كل مراقبة ، وتقنين ، وخاصة فيما يتعلق بالاعلام عبر الاجواء الحرة ، التي لاتخضع لحدود او قيود ؛ ان الاقمار الصناعية التي يراد لها ان تفتتح عصر الصور المنقولة عبر العالم كله ؛ تعد ولا شك ، اكبر تحد يمكن ان يقوم ضد الرغبة العامة في مراقبة التسرب الاعلامي ، وتقنين تسربه ــ عند الاقتضاء ؛ وهذا النوع من التحدي يثير تساؤلات كثيرة في عدد من المحافل العالمية ، ويثير مع التساؤلات دواعي تفكير في المستقبل الاعلامي على مستوى العالم ، والملابسات القانونية والسياسية التي يخلقها ذلك ، او من شانه ان يخلقها بالضرورة ؛ وتتركز التساؤلات حول هذه الشبكة من الاقمار الصنعية التي ينتظر لها ان تصبح اداة رئيسية لنشر ثقافة اعلامية على مستوى عالمي شامل ، الامر الذي ــ اذا ما تم بالفعل ــ فان من أبسط نتائجه ، هو اقصاء الحواجز الاعلامية نهائيا بين الدول وجعل المجتمع الانساني العالمي ، واقعا تحت فكرة اعلامية متشابهة في كل مكان ؛ ولا شك ان الامر على هذا النحو سيبدو خطوة ايجابية جدا في سبيل العمل على تقريب تيارات الفكر العالمي بعضها من بعض ، وخلق جو موحد للتفكير والتقييم والاستنتاج عند مختلف المجتمعات الانسانية ، التي تباعد بينها تناقضات الافكار بقدر ما تزداد افكار الناس تعددا وتشعبا ، وتتناقض مصالحهم بالتبعية لذلك ؛ والواقع انه من السهولة بقدر كبير تبين مظهر الايجابية على نطاق واسع في مثل هذه الآفاق التي يعد بها عصر الاقمار الاعلامية الصنعية ، غير ان المظهر المثمر لهذه الآفاق ، لا يجب ان يحجب عن الاذهان ، اهمية المشاكل العملية التي يحدثها تقدم عالمي من هذا القبيل ، وهناك حالتان اساسيتان يمكن ان تتركز فيهما معطيات الاعتراض الذي قد يقوم بهذا الشان ؛ (اولى) الحالتين ، ان تنفرد كل دولة بتكوين « شبكتها » الخاصة من الاقمار الاعلامية ، الصنعية وهذه الحالة ، فوق انها غير ممكنة من الناحية العملية ، اذ ان الدول ليست كلها بذات امكانيات مالية وعلمية وتنظيمية تمكنها من تكوين « شبكات » اقمار صنعية ، بحيث تنفرد كل دولة بشبكتها الخاصة ــ فضلا عن هذا ؛ فانه ــ ولو مع فرض ان تستطيع كل دولة دولة ، شيئا من هذا القبيل ؛ فان الذي لابد ان ينتج عن ذلك بطبيعة الحال ، هو زيادة تعقيد الحالة الاعلامية بالعالم ، وجعلها اداة تعارض على نطاق أوسع مما كان لحد الآن ، لا اداة تفاهم وتلاحم فكري على النحو المنشود من حيث المبدا . (ثانية) الحالتين ، ان تتولى الدول ذات الامكانيات الكافية ، اي الدول الكبرى ، تكوين

هذه الشبكات من الاقمار الصنعية والاشراف هكـــذا على توجيه المحتوى الاعلامي الذي ينبعث عن هـــذه الاقمار ؛ ومثل هذا الاحتمال قد اثار بالفعـــل عـــدة اعتراضات قانونية وجيهة ، تنصب كلها على التساؤل عن معقولية ان تتولى دول معـــدودة ، السيطـــرة على مقاليد التوجيه الفكري العالمي ، مساهمـــة فى تكييف الافكار السائدة فى المجتمع الانساني على الكيف الـذي يتفق مع نظرتها الخاصة ، تتذرع الى ذلك بما يتوفر لها من استعدادات ضخمة فى التقنية والمال وغيرهما ؛ وبطبيعة الحال ، فان مثل هذه الحالة لاتبدو معقولـة اطلاقا ، ومتناقضة مع مبدا التفاهم العالمي الذي هـو على صيغة التفاعل ، بمعنـى التشارك فى الفعـــل من طرفين او اطراف متعـــددة ؛ بقيت ــ بعد كل هذا ــ حالة ثالثة ، وهي حالة اشراف دولي مشتـــرك علـى محتويات الاعلام الذي تتولى بثه شبكـات الاقمـــار الاعلامية المحتملة ؛ وقد حدثت على الصعيد الدولـي حول هذه النقطة بالذات ، مبادرات مهمة بقدر كبيـر ، وترتسم حول الموضوع ملامح اتجاه عالمي مثمر ، قـد نعرض لتفاصيله ــ بحوله تعالى ــ فى حديث قادم .

ســلا ــ المهدي البرجالي

ــ تكفيــه الشكوة الواحـــدة ! ! ــ

حكى ان رجلا مر على اناس من قبيلة من قبائل الزوايا فى شنقيط ــ (اولاد ابييدى) وكان الناس يرمونهم بسقـم الفهم ــ يدفنون ميتا ، فحضـر لينال الثواب ، فلما وضعوه فى القبر ، صبوا عليه شكوة من اللبن . فقال لهم الغريب: « ما هذا ؟ » فقال له عالمهم : « فى رسالة ابن ابي زيد : ويصب عليــه اللبــن . الاصل : ينصب عليه اللبن ، بكسر الباء ، فحرف هذا » .

فقال الغريب : « تكفيــه الشكـــوة الواحـــدة » .

الوجادات

للأستاذ عبدالقادر زمامة

92 ـ واجترعنا الفراق والتوديعا ..!

وجدت فى مخطوطة « تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق » وهي الرحلة التي دونها الشيخ خالد البلوي الاندلسي ...

« لما دخلت المدرسة السراجية بالاسكندرية .. رايت على باب بيتي الذي سكنته فيها ما نصه :

عليك سلام الله يا خير منزل
رحلنا وودعناك غير ذميم
فان تكن الايام فرقن بيننا
فما احد من صرفها بسليم
واني لارجو عودة يشتفى بها
غليل محب بالعباد كليم

ثم تأملت فاذا بعده بخط آخر ما نصه :

تركنا ههنا ثم ارتحلنا
كذا الدنيا نزول وارتحال
وما دهر على احد بباق
ولا يبقى على الانسان حال

ثم التفت امامه فاذا بعده بخط آخر ما نصه :

قد حضرنا فى ذا المكان وغبنا
وكذا الدهر غيبة وحضور
فاذكرونا يا حاضرين بخير
واعلموا انها الليالي تدور

ثم نظرت فاذا تحته بحائط آخر ما نصه :

قد حضرنا فى ذا المكان وغبتم
وقرانا من بعده ما كتبتم
وذكرنا بكل جميل
فاذكرونا بمثله ان حضرتم

فعجبت لدار تدين برحيل ! وتنبيء عن سفر طويل! وتفرق بين كل خل وخليل ..! وكتبت من نظمه هنالك بطرف دامع ..! وقلب عليل ..!

قد اسلتم لنا الدموع نجيعا
وذكرنا كم بخير جميعا
وسالنا يا حاضرين دعاء
واجترعنا الفراق والتوديعا ..!

93 ـ على خدود دار « عديل » بالمعادي .. !

وجد مكتوبا بخدود بيوت دار « عديل » بحومة « المعادي » بفاس ما نصه :

انظر بديع بهجتي
ذات الجمال الاكمل
كانني شمس الضحى
اذا بدت فى الحمل
كانني بكر غدت
تجلى بانواع الحلل
شمائلي شاملة
لرائق الحسن الحلي
شكلي رفيع شكله
وذاك غير مشكل

كمثـــل روض نـــاعــــم
بـــزهـــــره ، محتفـــــل
انظر الى ســـــري فمـــا
يلفى لــــه مــــن مثـــل
وكيــــف لا ونشـــــأتـــي
« نيـــل بلــوغ الامـــل »

94 ـ لولا فساد الناس ...

فى الرحلة العياشية :

« قال ابو الحسن الزيات : ماشيت بعض الادباء بشرقي قرطبة فمررنا بمسجد خرب ... فكتب ذلــك الاديب على المسجد ..

بأي جناية وبـــأي ذنـــب
بيوت الله خربها الزمـــان ...

ثم افحم ..! ودرنا بجوانب ذلك المسجد وعدنا ولم نر احدا ..! فوجدنا بيتا مكتوبا ..:

فساد الناس خربها ولـــولا
فساد الناس ما فسد الزمـــان

95 ـ فى شمعـــة ..

وجدت للشيخ العروضي ابي الطيب وابي البقاء صالح بن شريف الرندي هذين البيتين فى وصف شمعة:

وصفراء لون التبر قاسمتها الهوى
اذا ما بكيت الحب ليلا بكت معـي
كمثلي فى لوني ، وسقمي ، وحرقتي
وصبري ، وتسهيدي ، وصمتي ،وادمعي

96 ـ فى البحـــر ...

ووجدت له ايضا فى البحر ...

البحر اعظم مما انـــت تحسبـــه
من لم ير البحر يوما ما راى العجبا..
طام ، له حبب طاف علـــى زرق
مثل السماء اذا ما ملئت شهبـــا

97 ـ لم تسبح ولم تطـر ..!

وجدت منسوبا للتطيلي الاندلسي فى وصـــف سفينة ...

تجري فللماء شاقا عائـم ذرب
وللرياح جناحا طائـر حـــذر
قد قسمتها يد التدبير بينهمـــا
على السواء فلم تسبح ولم تطر..!

98 ـ انا الفريق فما خوفي من البلل ..!

وجدت فى ختام المقامة التي كتبها الشيخ عبد القادر ابن شقرون فى موضوع بنت الرماد « الطنجية » هذه الابيات :

القت الى القوم ما اخفت بباطنها
وفاح منها شذا يبري من العلـــل
اذ قال كل من الاقوام ترجمـــها
ومزقوا لحمها من غير ما زلـــل
فاصبحوا ولسان الخبز ينشدهم
« انا الفريق فما خوفي من البلل»

99 ـ مدائن العجين ... !!

نظر احد الشعراء الاندلسيين الى صورة مدينة من مدن العجين ...!! التي كانت تصنع من الحلـــوى بالاندلس ... فاعجبته وسال لعابه من اجلها .. ! فقال له صاحبها :

صفها .. وخذها .. فانشد ..

مدينـــة مســـــورة	تحار فيها السحرة ..
لم تبنهـــا الا يـــد	عذراء ومخـــدرة ..
بدت عروسا تجتلـــي	فى درمك مزعفرة ..
وما لهـــا مفاتـــح	الا البنان العشرة ...!

100 ـ جامد .. وذائب ..

وجدت فى شعر المعتمد بن عباد هذين البيتين :

لله ســـاق مهفهـــف غنـــج
قام ليسقـــي فجـــاء بالعجـــب
اهدى لنا مـــن لطيـــف حكمتـــه
فى جامد الماء ذائـــب الذهـــب

101 ـ وصف دمية من المرمر فى حمام ..

وجدت فى وصف دمية من المرمر بحمام الشطـــارة باشبيلية .. ابياتا لابن زيدون يقول فيها :

ودمية مرمـــر تزهـــو بجيـــد
تناهى فى التورد والبيـــــاض
لها ولد ولم تعـــرف حليـــلا
ولا المت بأوجاع المخـــــاض
ونعلـــم انهـــا حجـــر ولكـــن
تتيمنـــا بالحـــاظ مـــراض

102 — الشنقيطي .. عبشمي ؟ اموي .. ؟

وجدت في الترجمة التي كتبها المرحوم احمد تيمور لشيخه الباقعة اللغوي محمد محمود الشنقيطي المتوفى بمصر سنة 1322 ما ياتي :

« هو الاستاذ العلامة الحجة الثقة ..! امـــام اللغويين في عصره ! شيخنا محمد محمود بن احمد بن محمد التركزي . الشنقيطي .. اشتهر والده (بالتلاميد) بالدال المهملة ..! وسبب ذلك على ما اخبرني به ..! انه كان يقرىء تلاميذه في خيمة انفرد بها .. فكان كل من يسأل عنه يقول : اين خيمة التلاميذ ؟ ثم اطلق هـــذا اللقب عليه ...

وتركز بضم فسكون اسم قبيلته ..

وهو في الاصل اموي .. النسب .. ؟ ولهذا كان يكتب في توقيعه .. العبشمي ..! نسبة الى عبد شمس..! ثم ترك كتابته لما اقام بمصر »

103 — قتيل « المخصص » .

ووجدت ايضا في نفس الترجمة . مما يتعلــق بالشنقيطي المذكور :

« وكان لا يمل المطالعة ليلا ونهارا ..! حتى اضنته كثرة الجلوس .. وسببت له امراضا وآلاما ..! لاسيما لما اشتغل بتصحيح كتاب « المخصص » وانه كان يقابله مع شخص آخر بمكان رطب ! في الطبقة السفلى من داره .. فاشتد به مرض الصدر..! والم الرثية * في اطرافه ..! وكثيرا ما كان يقول :

« انا قتيل — المخصص — ؟! انا قتيل الكتب ..»

104 — كيف لا يشرد خوفا من سرف ..؟

وجدت هذه الابيات في ترجمة محمد بن ابي الفضل الصفاد .. وهو الذي ورد على احمد المنصور الذهبي من مكة .. وقد ترجمه ابن القاضي في الجذوة . والدرة .

لا .. وفرع كدجا الليل الغســـق
وجبين ضوؤه ضـــوء الفلـــق
ومحيـــا كلـــف البـــدر بـــه
وخديد من حواليـــــه شفــق
ما ارى الغـــزلان الا سرقـــت
منه جيدا . والتفاتا ، وحـــدق
اخذتهـــا فتولـــت شـــردا
كيف لا يشرد خوفا من ســـرق ..؟

105 — تكبو الجياد ولا تنبو عزائمها ..!

وجدت في ترجمة ابي الحسن الخزاعي مؤلـــف كتاب « تخريج الدلالات السمعية » التلمساني المولد .. الفاسي الوفاة .. الاندلسي الاب .. ابياتا قالها لما كبا فرس الامير موسى بن ابي عنان المريني .. في سوق الشماعين .. بفاس .. من جملتها .

مولاي لا ذنب للشعراء ان عثرت
ومن يلمها لعمري فهو ظالمهــــا
وهالها ما اعتراها من مهابتكـــم
من اجل ذلك لم تثبت قوائمـــــها
ولم تزل عادة الفرسان مذ ركبوا
تكبوا الجياد ولا تنبو عزائمهـــا ..

وقد انطلقت هذه — الكبوة — السنة عدد مـــن شعراء ذلك العصر .. ومن جملتهم ابو الحسن الخزاعي المترجم في — الدرة — والجذوة . و مستودع العلامة .. ومقدمة التراتيب الادارية ..

فاس : عبد القادر زمامة

---

* الرثية : داء المفاصل .



1 ـ مفهـوم الادب ورسالتـه

للالفاظ التي نستعملها مدلولات تتسع وتضيق، بل وتختلف احيانا، ليس فقط بين عصر وآخر ولكن فى العصر الواحد والبيئة الواحدة، بين شخص وآخر تبعا للمضمون الذي تحتويه من مفهوم كل فرد وتجربته الشخصية، وتختلف بين عصر وآخر لنفس السبب باعتبار التطور الحضاري الذي يكسب الالفاظ اشعاعا جديـدا على الدوام؛ ومن قبيل هذه الالفاظ لفـظ الادب، بل ربما كان على رأس الالفاظ التي اصابت من التطور فى دلالاتها الشيء الكثير. لهذا كان من الواجب تحديد المفهوم الذي يهم هـذا البحث. اما سائـر المفهومات القديمة للفظ والتي تشرحهـا الموسوعات القديمة فلا تهمنا بالنسبة لهذا البحث، بـل تهـم الدارس اللغوي الذي يرصد التطورات التي عرفهـا اللفظ عبر العصور. وسواء كان هذا اللفظ يعنـي الخلق او الدعوة الى الطعام او مجموعة من الفضائـل او مجموعة من العلوم اللسانية فماذا يكون من فائـدة لهذه المعاني الاثرية اليوم؟ ومن الحق ان نشير الى أن لفظ الادب اليوم لم يعد يطلق اطلاقا للدلالة على مفهوم متعارف عليه لا يحتمل الاختـلاف، وانما يقيـد أو يخصص على نحو من الانحاء، ومن ثم نعثر على عبارات تمايز الدلالات فيما بينها تمايزا ملموسا كقولنا: ادب الدنيا والدين، وادب البحث، والادب التطبيقي وادب النفس وعلم الادب وادب اللغة والآداب العامة. صحيح أن هذه الدلالات على اختلافها تتصل فيما بينها من ناحية وتتصل باصول معان قديمة من ناحيـة أخـرى ولكن الوقوف على هذه الصلة لايهم غير باحث معين هـو الرجل المعجمي اما الباحث فى الادب كفرع من فـروع الثقافة الانسانية او كمظهر من مظاهر التعبير الفني عن الانسان فيهمه تحديد المجال الذي تتحرك فيه ظاهـرة الادب بالنسبة للعصر الذي يعيش فيه، لا سيما عندما يكون هدف البحث ربط هذه الظاهرة بالمجتمع مـن ناحية وبالدولة من ناحية أخرى.

مـا الشروط الضرورية التي ياخذ معهـا أي انتاج فكري اسم الادب؟ هناك ضروب مختلفة لنشاط الفكر تستهدف غايات مختلفة، منها ما هو محاولـة رياضية لكشف نواميس الكون ومنها ما هـو تأويـل فلسفي لظواهر الكون ومنها ما هو تصوير ما يجري فى الشعور او النفس من ضروب التأملات بشكل مـن اشكال التعبير. ومهما قيل فى الادب وصلته بشكـل من هذه الاشكال فانه سيبقى متفلتا من ربقة التجديـد لانه نشاط فكري حر، يطرق كل باب من ابواب المعرفة ويحلق فى كل جو من اجوائها، انه الريشة التي تنقـل كل ما يطفح به الحدس الانسانـي فى صياغـة ذات خصائص شكلية تجعل له صلة أو نسبا بالفـن. أما مجاله فهو كل ما يتحسـه الفكر فيضع لـه اسما او يجسده فى الحـرف.

وقديما راى ابن خلدون أن الادب مادة لا موضوع لها ينظر فى اثبات عوارضه او نفيها. فهو لا شك قـد استعرض مجموعة من الاشكال الادبية فلم يجـدها

تستقطب موضوعا معينا أو لعلها ظهرت له وكأنها صور مستقلة وأساليب متمايزة لكل منها طابع فكري خاص .

غير انها تتحد في الصياغة وأشكال التعبير، فاكتفى بهذا المظهر ، وقال انه شعر ونثر ، وعلى هذا النحو جرى اصطلاح الباحثين الى العهود المتاخرة .

واليوم نجد اننا لسنا بأحسن حالا من العلامة ابن خلدون ، وقصارانا في تعريف الادب بغير تعريف المدرسيين أن نقول : انه تعبير الانسان عن موقفه الفكري او الوجداني من شيء بالذات . هذا الموقف يختلف في نوعه ومداه ، فقد يضيق او يتسع وقد يتحرر أو يتقيد بحسب شخصية الاديب نفسه ومدى حساسيته بالروابط المجتمعية والانسانية والكونية ، ومدى عمق وسرعة الاهتزازات التي تتحملها او تتلقاها خيوط وعيه المشتبكة بالعالم حوله . والادب تبعا لذلك هو التعبير عن مواقف انسانية ازاء الحوادث والاشياء المختلفة ولتكن امراة او غروب شمس او اصلاحا اجتماعيا ، او ثورة او مجاعة . فهذه الحوادث أو الاشياء كلها قضايا ، لان الفرد مطالب بأن يقف منها موقفا معينا وبشكل فريد يختص به ، حتى ولو كان الموقف جماعيا ، لانه بتفاعله مع هذه الاشياء يعبر عن كيانه ، ومن ثم كان التعبير عن هذا الموقف يقتضي الشعور بقيمة ما يعبر عنه .

والموقف الانساني اي موقف يستلزم درجة معينة من الوعي للذات وللعالم ، والادب تبعا لذلك بوصفه تعبيرا عن هذا الموقف لا بد ان ينطوي على قيمتين :

اولاهما : الجدة ، لانه تجربة جديدة بالنسبة للاديب فهو يعانيها على نحو فردي خاص لا يتكرر ، ومعنى ذلك أن هذه التجربة لايهمها — بالنسبة لصاحبها — كل ما تراكم من تراث الانسانية الادبي عبر الاجيال في موضوعها ، لان ذلك لا يعني سوى ركام من الثلوج . ان الاديب الحق مسؤول عن التعبير عن موقفه كانسان تجاه الاحداث او الاشياء ، كنموذج فريد ، وبصورة تلقائية في ظروف فردية بالنسبة اليه لا يمكن تكرارها ، والا كان مجرد آلة ذات نشاط تلقائي لا يختلف فيها زيد عن عمرو ، بل لا يختلف فيها اثنان مهما تباعد الزمان والمكان وهذا خلاف الواقع البشري.

ثانيهما الكشف عن الحقيقة : وليس معنى ذلك أن على الاديب ان يكشف بعض الحقائق التي تصير فيما بعد قوانين مطردة في النفس او الطبيعة ولكنه مطالب بأن يكشف ذاته كما هي لان في عمله ذلك كشفا عن جانب من جوانب الكنه الانساني الذي هو عرق نابض في كتلته اللامتناهية . ان عليه ان يعبر عن ذاته بكل اخلاص وحرية ، وفي ذلك كسب للانسانية . هذا العمل — بحكم حضارتنا — يكاد يصبح عملا ذا مظهر وظيفي او قل انه ينبغي ان يكون كذلك . يقول الكاتب الفرنسي جورج دوهميل : « ان معظم المواطنين في هيأة اجتماعية عادية تشغلهم مهام عملهم الشخصي واعبائه عن ان يجدوا المقدرة والوقت اللازمين لمعرفة العالم بالمعنى الفلسفي والشعري للكلمة ، وان يعبروا في لغة لبقة عن خلاصة ما يكتشفون ، وهم يكلون ذلك الى الرجل المختص اي الى الكاتب الذي يناط به — في حدود ما يتمتع به من ثقة — ان يزاول اعمال المعرفة » ونحن هنا نلتقي مع بعض ما يذهب اليه المذهب الوجودي من ان وظيفة الادب هي كشف العالم حتى لا يظل اي فرد يجهل ما يحدث فيه . يقول سارتر : « ان هدفنا هو المساهمة في احداث تغييرات معينة في المجتمع الذي نعيش فيه ، ونحن نتحالف مع كل من يسعى لتغيير ظروف الانسان الاجتماعية وفكرته عن نفسه » . وهذا الهدف مما تعطف عليه الماركسية ايضا لانه لب فلسفتها .

فموقف الاديب يشمل الكشف عن المجهول اولا والجدة ثانيا ، والدعوة ثالثا . اي توجيه المجتمع لانه عندما يختار موقفه لا يختاره عبثا واعتباطا وانما يختاره عن وعي وتقدير لما يجب ان يكون . فكأنه يختاره للانسانية جمعاء في ظرف كظرفه ، ولان في هذا الموقف يتمثل الانسجام مع الحقيقة والقضاء على الزيف . ومن هذه الناحية نلاحظ ان الادب يرتبط لا محالة بنزعة اخلاقية معينة ، وان كان لا ينطلق مبدئيا لخدمة هذه النزعة فانه ينتهي اليها .

2) الادب والحرية

لا يتحقق ادب من هذا النوع الذي المعنا اليه الا مع الحرية ، لانه لا يمكن أن نمارس تجربتنا للحياة بمطلق ارادتنا واختيارنا ولا تعبيرنا عن مواقفنا الشخصية ازاء مظاهرها واحداثها ولا ان نكتشف ما هو طي نفوسنا من أسرار وحقائق بل لا يمكن أن نقوم بدعوة للاخرين لما نراه حقا وخيرا الا اذا كنا احرارا كما لو كنا نحن الذين نصوغ العالم لاول مرة او نوجده بارادة مطلقة . يقول الكاتب الفرنسي سارتر: « ولكي يقدم الكاتب هذا العالم لوعي القراء لابد ان يكون كل من الكاتب والقارىء حرا في تفكيره ، اذ لا يمكن ان يتفاهم كاتب وقارىء كل منهما عبد افكار

معينة او مغلق على نفسه ، فالادب وسيلة اتصال ، ولانه وسيلة اتصال بين حريتين فهو حر كذلك ، ولا يوجد ادب له معنى في مجتمع لا توجد فيه حرية » .

ولما كان الادب هو تعبير الكاتب عن ارادته الحرة ، وكان القارىء ايضا يقرأ للكاتب بمحض ارادته ويستجيب له او لا يستجيب بمحض اختياره ، فالعمل الادبي اذا وثيقة بين ارادتين حرتين ، فهو وثيقة حرية ، ووثيقة الحرية هذه لا يمكن ان تكون ضد الحرية . لهذا نرى ان اسوأ ما يعترض سبيل ازدهار الادب في مجتمع من المجتمعات ان يدعى الاديب او الكاتب لاتخاذ موقف لا يشعر في قرارة نفسه بانه موقفه كانسان ، او لم يكن حرا في ان يتخذ غيره ، او لم يكن حرا في ان يسير اليه من طريق اخرى . ان الادب حينئذ لن يبقى ادبا وان ظل يحتفظ باسم الادب ، لانه سيفقد الكشف والجدة والدعوة الواعية ، ويتحول الى دعاية وتوجيه لا ينبثقان عن ارادة حرة او وعي حر وبالتالي سيكون مظهرا لعدم تطابق الكاتب مع ذاته . واسوأ ما في هذا الوضع ان الكاتب ينفصل بذاته عن جذوره الانسانية وينسلخ عن حريته ويقضي على تلقائية الفكر في مجتمعه .

هذا الحديث عن حرية الاديب او حرية الادب ربما تراءى تحديا للمجتمع او تحديا للدولة في رأي بعض الناس ، وهنا نبلغ جوهر القضية المطروحة للبحث ، وهي : **ما الموقف الذي يجب أن يتخذه الاديب من الدولة ومن المجتمع ؟** وتنشأ عن هذا الموقف اقضية اخرى نرى لزاما ان يتعرض لها هذا البحث ، ولهذا رأينا ان نتناول الموضوع من جذوره كي نتبين في وضوح موضع فروعه واذا كان لابد ان نتخذ موقفا فيجب ان نتخذه انطلاقا عن فلسفة شخصية تلتزم قاعدة كلية تطرد في هذا المجال وغيره .

3) الفرد والدولة والمجتمع

لقد فرقت بين الدولة والمجتمع قصد الدقة والايضاح ، فقد تكون الدولة صورة لارادة المجتمع ، وهنا لا يكون ضير في اطلاق احدهما على الآخر ، وقد يكون العكس فتكون الدولة هي السلطة الموجهة ويكون المجتمع هو الارادة العامة المعطلة وعندئذ يكون لكل منهما مصيره الخاص واسلوبه في العمل والسلوك .

ما الدولة اذن ؟

افضل ان يكون الجواب مستقى من الواقع لا من نظريات فقهاء القانون . لقد كانت الدولة في فجر النهضة الاوربية الحديثة كما صورها الكاتب الانجليزي توماس هوبس في القرن السابع عشر هي ذلك العملاق الضخم الذي صنعه الانسان على صورته ليعيش في حمايته ويتلقى منه الحياة والحركة ، ويجب ان تتمثل فيها القوة المطلقة والسلطان المطلق لانها مسؤولة عن حماية الافراد وتنظيم العلاقات فيما بينهم ، وحماية المجتمع في الداخل والخارج ، ويوم تضعف او تهن يجب على الافراد ان يتخلوا عنها ليضعوا امر حمايتهم وسلامتهم في زمام سلطة اقوى . تلك كانت سلطة الدولة في هذا القرن ، ويأتي جان جاك روسو ليجمع في تناسق شاعري بين الفردية التي تعشقها كشاعر وبين منافع التعايش المشترك ، فلم ير في تعايش الافراد الا ارادة عامة او عقدا اجتماعيا على الدولة ان تمثله وتسير بمقتضاه . وتنطلق الثورة الفرنسية سنة 1787 هذا المنطلق المثالي لتعلن ارادة الامة العامة . على ان الفرد في ظل العقد الاجتماعي لا يمنح الدولة الا العناصر الضرورية لتحقيق اهدافها بينما يحتفظ لنفسه بل عليه أن يحتفظ بكل حقوقه الطبيعية .

4) صراع الفردية والمجتمع

ومنذ عصر جان جاك روسو تطورت النزعة الفردية تطورا كان له مظاهره الواضحة في المذاهب الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت بعده ، فلقد كان النصف الاول من القرن التاسع عشر عصر الفردية ، ولكن النصف الثاني من هذا القرن كان رد فعل لهذه النزعة لصالح النزعة المجتمعية . واصبحت الاتجاهات الفلسفية والاجتماعية تتمحور حول موضوع الفرد والدولة مدفوعة بالتطورات الاقتصادية . فقد اقتضى تضخم الصناعات الحديثة التوسع في تصريف الانتاج كما اقتضى ظهور حق العمل ، وانتقلت الافكار من مبدأ حرية العمل الى مبدأ توجيه العمل ومن مبدأ عدم التدخل في الحركة الاقتصادية الى مبدأ التدخل ، لتحقيق مصالح الطبقة الكادحة . ودخلت النظريات الاشتراكية مجال الاختبار والتطبيق ، وهي نظريات رغم اصولها القديمة فقد استمدت في الواقع محتواها من نتائج التقدم العلمي الذي عرفه هذا القرن من ناحية ، ومن التطور الصناعي والاقتصادي الذي كان يأخذ شكل ازمة تنذر بالانفجار من ناحية ثانية . نعم ، لقد واكب هذه التطورات الاجتماعية تطورات اخرى عظيمة في ميدان العلوم الطبيعية والانسانية ، وتراءى للفلاسفة الاجتماعيين ان بامكان المرء تسخير معطيات علوم الحياة والنفس ومناهج العلوم الطبيعية في سبيل تطوير الاوضاع الاجتماعية ، وهكذا تتداخل علوم مختلفة وتطورات حاسمة لتزيد مشكلة العلاقة بين الفرد والدولة عمقا

وتوترا . واتضح ان تلك الآراء اصبحت تتبلور في اتجاهات سياسية معينة . ومعنى هذا انه اذا كان قيام الدولة امرا ضروريا لضمان سلامة المجتمع وتوازنه فانها مع ذلك امام اختيار حاسم لا محيد عنه ، تبعا لنوع الارادة التي تمثلها والوضع والنظام السياسي الذي تقوم على اساسه .

5) ظهور الدولة ذات السلطة الكلية

ان الدولة اما أن تكون قائمة على اساس نظام اشتراكي يقتضيها القيام بثورة اصلاحية جذرية ، وتستهدف تغيير الوضع الاجتماعي كله ، وبناءه وفق نظرية علمية او فلسفية معينة فهي بهذا العمل وتلك الايديولوجية تواجه تجربة كلية هي التي تستهدفها كل ايديولوجية اشتراكية وهي في هذه الحال لابد ان تمثل السلطة الكلية فلا تؤمن بحرية الفرد داخل المجتمع كيف ما كان مظهر هذه الحرية ، لان تجربتها بعيدة المدى وتستهدف التغيير وتطوير المجتمع ككل، وما على الافراد الا أن يخضعوا لهذه التجربة وينصهروا في بوتقتها وان يتخلوا بالتالي عن كل حرياتهم ويسيروا وفق مخطط معلوم لغاية معلومة . واما ان تكون الدولة قائمة على اساس نظام ديموقراطي فهي ترى ان رسالتها تنحصر في القيام علاوة على وظائفها السياسية بتحقيق عدد من التجارب الجزئية (ذات المدى المحدد ، والمجال المحدد ايضا) وذلك لتحقيق الاصلاح او التوازن الاجتماعي ، وهي في هذه الحال لا تمثل الا سلطة جزئية لانها تترك للفرد نصيبا من حق توجيه الدولة وممارسة مسؤولياته وحرياته في نطاق مشروع فهي بهذا دولة ذات سلطة جزئية .

ان موقف الاديب من الدولة او موقف الدولة من الاديب انما يكتسي اهمية قصوى امام نظرية الدولة الكلية السلطة ، لان الدولة الجزئية السلطة تعطي للاديب حريته كاملة فهل يمكن ان يوجد ادب بالمفهوم السابق للادب في ظل دولة اشتراكية ذات نزعة وتجربة كليتين ؟

ان المذهب الاشتراكي — وهو الذي يرى ان على الدولة ان تعمل على تطبيق التجربة الاشتراكية في المجتمع — يتميز بين جميع المذاهب السياسية بانه مذهب كلي النزعة وذو فلسفة لها منطقها الخاص ، والحقيقة انها فلسفة تتسع لتاويل التاريخ الانساني وتفسير الحركات الاجتماعية والتنبؤ بالمستقبل البشري ومصير الانسان ، وقد يبدو لاول وهلة ان نشاط الاديب او الادب في ظل دولة اشتراكية لهو في الواقع التزام بخدمة حركة اجتماعية ذات تاثير في تاريخ التطور الاجتماعي والانساني ، وان التنكر او الحياد او الهروب من تحمل مسؤولية بهذا القدر من الخطورة يعد على الاقل حيادا سلبيا بالنسبة لعملية تطوير الانسان بل هروبا من واجهة النضال في سبيل سعادة البشرية . والواقع ان الاشتراكية كنظرية تختلف عن نفسها حين تصبح تجربة اجتماعية ، واذا فليس من الحق التحدث عن الاشتراكية باعتبارها مذهبا واحدا في كل مجتمع ، وانما يجب ان يكون الحديث منحصرا في دائرة اشتراكية متطرفة تمثلها دولة كلية النزعة كالاتحاد السوفياتي او الصين الشعبية اذ في ظل دولة كهذه او تلك توضع المشكلة التي نحاول مواجهتها بحدة . فالى اي حد يمكن للاديب ان يحتفظ بشخصيته وحريته ؟ والى اي حد يمكن ان يضع نشاطه في خدمة الدولة ؟

وبما ان محتوى نظرية النزعة الكلية واسلوب العمل في ظلها هما اللذان يحددان موقف الاديب فانني افضل ان احلل اولا هذين العنصرين قبل الحديث عن موقف الادب لان هذا الاخير نتيجة لهما .

ما هو محتوى نظرية النزعة الكلية وما اسلوبها في العمل ؟ ؟

ان معطيات فلسفية وعلمية عديدة قد ساهمت في بناء ايديولوجية الدولة الاشتراكية الكلية النزعة وتقوم هذه الايديولوجية على عدة مبادىء ، منها : ان الحياة الاجتماعية تقوم على مبدأ شبيه بمبدأ الانتخاب الطبيعي وتنازع البقاء ، ومنها : ان الحياة الاجتماعية تمثل على الدوام صراعا ماديا بين طرفين متناقضين في مصالحهما وهما الاقوياء بثروتهم والمستضعفون بفقرهم وان هذا النضال هو المحور الذي تدور حوله احداث التاريخ وان الانظمة السياسية القديمة كلها انما قامت في خدمة طبقة واحدة بعينها هي طبقة الاقوياء لضمان مصالح ثروتها . فاذا امكننا تحليل القوى التي تحدث التغيير الاجتماعي وتخلق التاريخ البشري لانها بمثابة قوانينه فسوف ننفذ الى ماوراء الاحداث ليتاح لنا التحكم فيها ، ونحن نتعلم من الديناميكا كيف تنشأ قوى جديدة من تبادل التاثير بين قوتين ، وننفذ الى العلل الاساسية المسبب للحوادث الفيزيائية ومثل ذلك مطلوب منا في المجتمع لان فيه قوى مادية **كالمصالح الاقتصادية** وقوى روحية **كالدين** ، وعلينا ان نحلل صراع هذه القوى وان ننفذ الى ما وراء اسبابها ليتاح لنا التحكم الكلي في تطور المجتمع ، والتنبؤ بمستقبله ، بل علينا اخضاعه للتجارب الكلية للتدخل في مصيره . وفي هذا الاتجاه

تـبر الفلسفة الماركسية من حيث هي فلسفة مادية يقول عنها اصحابها انها مفهوم علمي — لانها المفهوم العلمي الوحيد بمعنى انه الوحيد الذي يتمشى مع ما تعلمنا اياه العلوم ، وماذا تعلمنا العلوم ؟ انها تعلمنا **ان العالم واقع مادي وان الانسان ليس غريبا عن هذا العالم بل هو يستطيع أن يعرفه ، ومن ثم يستطيع أن يغيره** . ان المادية الماركسية هي النظر الى العالم ومواجهته في تطوره الواقعي ، والعمل على تغييره او بالاحرى تغيير المجتمع فيه . لـذا اصبحت هذه الفلسفة هي فلسفة الطبقة العمالية الكادحة ، وطبقة البروليتاريا ضد البورجوازية والراسمالية والاقطاع .

هذا هو مفهوم ما اصطلحنا على تسميته بالنزعة الكلية التي هي محتوى الفلسفة الماركسية اما اسلوبها في العمل وهو ما يتراءى جوهريا بالنسبة للبحث لان اسلوب العمل هو المناخ الذي على الاديب الملتزم أن يتكيف معه فشيء آخر . فاذا شبهنا المشرف على تطبيق النظرية الماركسية في مجتمع ما بمهندس اجتماعي — ولا ضير في ذلك ما دام المهندسان معا التكنولوجي والاجتماعي يعملان على التخطيط والتصميم وفق قواعد علمية مسبقة ثم تطبيق هذا التصميم في حقل الانتاج — تمكنا من تصور اسلوب العمل الاشتراكي الكلي النزعة انه هندسة اجتماعية تهدف دائما الى اعادة تركيب المجتمع كله وفقا لخطة محددة كما انها ترمي الى توسيع سلطة الدولة حتى تصير الدولة والمجتمع شيئا واحدا تقريبا . كما تهدف الى التحكم في القوى التاريخية التي يتشكل بها مستقبل المجتمع المتطور . هذا الاسلوب في العمل يتحكم في الفرد ويسخره لغاياته دون ان يابه لدوافعه الانسانية فهو بدلا من بناء مجتمع يلائم فيه بين الدوافع الانسانية والواقع المجتمعي مع الحفاظ على كرامة الافراد رجالا ونساء يستهدف تشكيل هؤلاء الافراد تشكيلا يلائم البناء الجديد فهو اسلوب يستبعد منذ البداية امكانية اختبار النجاح او الفشل لان كل من سوف لا يلائمهم هذا البناء الجديد سيحكم بعدم صلاحهم لهذه التجربة وبالتالي للحياة فيما بعد او سيدفعون كرها لتكييف دوافعهم الانسانية وترويض اشخاصهم وفق التصميم الجاهز .

7) ما مفهوم الادب في ظل النزعة الكلية وما مدلول التزامه في ظل هندستها الكلية ؟ ؟

لنترك الكلام لاحد رجال الاشتراكية الكلية النزعة وهو الزعيم الصيني ماوتسي طونغ ، ففي محاضرة له مشهورة عن الادب والفن وكان قد القاها في مؤتمر للادباء الصينيين سنة 1942 يقول عن موضوع الادب: « ان الاعمال الادبية والفنية مهما كانت مستوياتها هي نتيجة العمل الفني للعقل الانساني وهو يعكس ويصور حياة الناس ، وهكذا فان الادب والفن الثوريين هما نتيجة لانعكاس وتصوير حياة الناس في عقول الكتاب والفنانين الثوريين » .

وحول صلة الادباء بالجماهير يقول : « يجب على الكتاب والفنانين الاكفاء بأصالة أن يذهبوا بين الجماهير ويجب ان يهبوا انفسهم لهم بلا شرط ومن كل قلوبهم يجب ان ينضموا للصراع المشتعل » ، « ومثل هذا الادب والفن يستطيع ان يدفع الناس الى الحركة وان يوقظهم وان يرغمهم على الاتحاد ليقوموا بصراع منظم تأخذ الجماهير خلاله مصيرها في ايديها هي » . « ويجب ان نذكر خبراء الحركة الادبية بأن الكتاب الثوريين لا يستطيعون أن يضيفوا عملا ذا قيمة الا عندما يتحدون مع الجماهير وعندما يعبرون عن افكار واحاسيس الجماهير وعندما يكونون المتكلمين المخلصين باسم الجماهير » .

ويتحدث عن المقياس النقدي للادب فيقول : « نطالب بالوحدة بين السياسة والفن والادب ونحن نطالب بالانسجام بين المحتوى والشكل اي الاندماج الكامل الصحيح للمحتوى السياسي الثوري مع اعلى مستوى ممكن من الشكل » .

هذه بعض جوانب من اقوال ماوتسي تونغ تصور مفهوم الادب ووظيفة الاديب كما ينبغي ان تكون عليه في ظل دولة شيوعية . ونعود الآن لاجمال معطيات نظرية النزعة الكلية من حيث المبادىء والاسلوب وتصورها لوظيفة الادب ، لكي نحكم عليها بعد ذلك .

1) ان الدولة هي التطور النهائي لثورة البروليتاريا في المجتمع .

2) انه بالامكان احداث تغيير في تنظيم المجتمع اذا تحكمنا في قوانين سيره التي اكتشفها العلم والفلسفة للعمل في صالح الجماهير مثلما نتحكم في قوانين الفيزياء . لايجاد تنظيمات جديدة .

3) انه بمقدورنا التنبؤ بما سيؤول اليه التطور الاجتماعي في ظل تجربة كلية كالشيوعية لتحقيق اهداف الثورة الاشتراكية .

4) على الاديب والفنان ان يكون في خدمة هذه التجربة الكلية بفكره وقلمه وعليه ان يفضح أعداءها ويمدح انصارها ويعطي نفسه للجماهير بدون تحفظ

او شروط ليبشر بنتائج نجاحها وبمصير التجربة الكلية وخيرها المطلق .

8) نقد هذه النظريات

ان ردودنا على هذه الآراء ذات شقين :

اولها يقوم على فضح الاخطاء العلمية الكامنة في اسسها ومعطياتها والمتناقضات الكامنة في صفتها العلمية ، لانه اذا كانت هناك اخطاء وتناقضات فلا يمكن لادب ينبثق عن حرية ووعي ان يسير في ركابها او تحمل اوزارها والوقوع في التناقض مع نفسه اذا هو بشر بها ولانه لا مندوحة من اصطناع المنطق العلمي نفسه لمواجهة مذهب اجتماعي وفلسفي (فالحديد لا يفله الا الحديد) .

اما الاخطاء العلمية الكامنة هناك فتتعلق أولا بالفكرة التي تزعم انه بالامكان احداث تغيير كلي في المجتمع ، وانه بالامكان اخضاع المجتمع لمجموعة من التقنينات يمكن معها أن نتنبأ بمصيره على نحو ما يتم في التجربة العلمية . فالتجربة الكلية تقوم على التدخل المباشر في الافراد لمحاولة تغييرهم — وكما قلنا — فهي بدلا من محاولة بناء مجتمع جديد يلائم الافراد تستهدف تشكيل هؤلاء الناس تشكيلا يلائم البناء الجديد . وهو عمل يستبعد منذ البداية امكان اختبار النجاح او الفشل لان كل من سوف لا يلائمهم هذا البناء الجديد سوف يحكم عليهم بعدم صلاحهم للحياة . وفي هذه النزعة ابتعاد عن صفة المنهج العلمي ، واهدار لكرامة الانسان اذ بينما هي تريد اسعاد الفرد وتحقيق كرامته ، اذا بها تحاول تغييره ، بل تزييفه .

وثاني الاخطاء العلمية التي يقع فيها هذا الاتجاه الكلي ، انه يريد فرض التجربة بصورة مطلقة على الكل . والكل لا يمكن جعله حقلا للتجربة ولا مجالا للبحث العلمي ، لاننا في حقل العلوم ايضا لا يمكننا دراسة اي قطعة من العالم بكليتها ، لان لهذه القطعة صفات وتطورات لا تنتهي .

وثالث تلك الاخطاء ان التجربة الكلية لا تهدف فقط الى محاولة اعادة تنظيم المجتمع ، بل تسعى الى جعل الدولة والمجتمع شيئا واحدا اي جعل سلطة الدولة مطلقة . وفكرة كهذه مستحيلة التحقيق من الوجهة العلمية ، لانه لا يمكن التحكم في كل العلاقات الاجتماعية ، وكل نوع من التحكم يخلق مواقف شخصية جديدة لدى الافراد فتحتاج هي بدورها الى التحكم ، وهكذا دواليك الى ما لا نهاية له وهذا امر يفوق كل امكان تتوفر عليه الدولة او تحلم به ذلك ان الكائن الانساني غير قابل بطبعه للانضباط والتحديد ولا يمكن معه التوقع والتنبؤ لانه حر في سلوكه ، تلقائي في مواقفه ، وليس كتلة مادية آلية . فاذا اريد له ان يكون كذلك فانه يستجيب لهذه الارادة استجابة تخيب لا محالة امل المريدين .

ورابع الاخطاء — من الوجهة العلمية — في نظرية التجربة الكلية انها تستبعد الوقوع في الخطأ ، بل تقاوم كل نقد يقفها على اخطائها مع ان دور العالم ازاء تجربته العلمية هو دائما دور الناقد الذاتي لانه يبحث دائما عن تكذيب لفروضه . وذلك أن فينا — كما يقول كارل بوبر — ضعفا لا يتفق والروح العلمية يجعلنا نعتقد باننا دائما على صواب ، ويبدو هذا الضعف شائعا على الخصوص في المحترفين السياسيين . والطريق الوحيد للاقتراب من المنهج العلمي في السياسة هو التسليم بانه لا يمكن القيام بعمل سياسي خال من العيوب ، وان ترصد هذه العيوب ، والعثور عليها ، والتعلم منها من اهم اهداف السياسي الذي يريد أن يتصف بمنهجية العالم .

واهم ما تقع فيه التجربة الكلية من اخطاء — في المجال التطبيقي — انها تتحكم في الآراء والميول والافكار وتجمدها بواسطة الدعاية والتربية الموجهة فتسيطر على العقول والراي العام وتضرب حوله سدودا لا يستطيع معها الانفتاح والتجاوب مع الخارج وهذا لا يتفق مع الفكر الحر النقدي ، ويقضي على المعرفة حتى انه يمكن القول مع كارل بوبر انه كلما زاد مقدار السلطة السياسية زاد معها باطراد مقدار التقنين على المعرفة .

الشق الثاني من ردودنا على هذه النظرية — وهو الاكثر صلة بجوهر الموضوع — يقوم على بيان ما يباعد بينها وبين روح الادب .

فمن بين تلك المفهومات المخططة ما يتعارض كليا مع روح الادب لان الادب لايقبل تزييف ا لطبع البشري ولا يقبل التدخل في وجدان الانسان او تلقائية الانسان وبالتالي حرية الانسان ، وكل ادب حق انما ينبثق عن حرية ، وينهم في ظل الحرية ، لانه وثيقة للحرية كما قررنا . من اجل ذلك يتعارض دائما مع كل سلطة مطلقة ، تتجاهل اخطاءها وتقاوم النقد ولو كان نزيها ، وتترفع بذاتها عن كل اعتبار ، لتجعل الغاية تبرر الوسيلة . ومن ناحية ثانية فان الادب في محتواه تعبير عن مواقف حرة وعن تجارب روحية خالصة فكيف

يمكن التدخل فيها او تزييفها او فرضها على الاديب ، في ظل سلطة كلية تتعارض تعارضا صميميا معه .

اما المتناقضات الكامنة في تلك النظرية كما اشرنا من قبل فهي ما يتصل بموقفها من الادب وشخصية الاديب . فانه اذا سلمنا بالقول بحق الدولة في التدخل المباشر في الافراد فماذا ينبغي ان تطلب منهم عندئذ من خلق وابتكار يعبر عنهما الادب والفن ، انها بالاولى تقتل الاستجابة الحرة في الفرد وهي لباب التعبير الادبي وتنتظر منه استجابة معينة شبه آلية . فالنزعة الكلية باختصار لا يهمها الفرد ، ولا مواقف الافراد ، وانما يهمها الكل لخير الكل . وكل التصورات والرؤى الفردية هي توافه لا ضرورة لوجودها او التعبير عنها ، نعم ان هذه النظرية ترى في الادب والفن طاقة قوية يجب استغلالها لخدمة التوجيه الجماهيري والدعاية . وهو امر طالما عمل ادباء وفنانون كثيرون في خدمته ولم يكن ما انتجوه في هذا الموضوع في مستوى الفن والادب .

ولكن ما قيمة هذه الصيحات المتكررة ذات النمط الرتيب وذات المحتوى الواحد تصدر من واحد أو من فئة من الكتاب شبيهة بنشيد مبتذل تلقيه شرذمة من الجنود امام ضابط ؟ ما قيمة هذا النظم الذي يقوم به جماعة من المداحين في ظل دولة او في ظل ثورة اذا لم ينبعث عن شعور صادق . ولكن اليس يتراءى للبعض وكأننا ندعو لانفصال الاديب عن مشاكل مجتمعه وحياة امته ؟ بل اليس في هذا الموقف تواطؤ مع دعاة الفن للفن ؟ بما في هذا الموقف من هروب وسلبية وتعال وفوقية كما يصفه به خصومه . واظن ان كلامنا السابق لم يحاول التمهيد لاقناع القراء بهذا الموقف او ذاك بل كان همنا ان نوضح فقط ان العمل في ظل دولة مطلقة السلطة لخدمة الادب بروح الادب بمفهومه السابق امر غير ممكن لان نظرية وسلوك الدولة الكلية او المطلقة يتنافيان مع مبدا الحرية التي هي روح الادب، سواء في ظل دولة ادبولوجية كالدولة الشيوعية او في ظل دولة دكتاتورية من اجل الحكم فقط كما هو الشأن في بعض بقاع العالم .

لكن انصار النظرية الماركسية قد لا يقتنعون بهذا الذي نقول بل يرفضونه من اساسه ، ويرون انه بالامكان وجود ادب موجه لخدمة هذه الايديولوجية كما يوجه كل شيء في ظلها لخدمة الانسانية على نحو جماعي كلي ، لتغيير ظروف حياتنا ، وبالتالي توجيه التاريخ البشري نحو مصيره المحتوم . وهذا ما تستهدفه الثورة الثقافية في الصين في هذه الايام (1967) بزعامة ماوتسي تونغ اذ يبدو ان هذه الثورة جاءت في نظر قادتها لتصحيح الوضع الفكري في الصين الذي اصبح يهيأ بعوامل مختلفة لقيام حلف بينه وبين الفكر غير الماركسي . وهكذا كان من جملة شعارات هذه الثورة الثقافية شن حرب شعواء على كل ما هو اجنبي عن الماركسية وما هو متناف معها . سواء كان مذهبا فكريا او اثرا ادبيا او فنيا حتى ولو كان سينفونية لبتهوفن . قد يكون وراء هذه الثورة محركات سياسية ولكن ذلك لا يهمنا ، كما أن نقد الاوضاع في الصين ليس من اختصاصنا . ولكننا نتساءل فقط هل يمكن وجود ادب موجه في ظل دولة من هذا النوع ؟ مع التفرقة باديء ذي بدء بين ما هو ادب وما هو مجرد دعاية ادبية ؟

كيف يوجه الادب ؟ وما مصيره في ظل سياسة توجيهية ؟

ان الجواب على هذين السؤالين يجب ان نطلبه في الوقائع التاريخية وفي هذا الصدد يمكن ان نأخذ كمثل على الادب الموجه فترة من حياة الادب في الاتحاد السوفياتي لننظر الى التجربة في بوتقة العمل ، والى الادب كيف امكنه التكيف مع هذه التجربة ، والى النتائج التي حققها ، والى اي امد ظل الادب محافظا على مقوماته في ظلها ؟

لقد خضع الادب في الاتحاد السوفياتي منذ انتصار الثورة الشيوعية وسيطرتها على الحكم وقيام الدولة الاشتراكية الكلية النزعة لواقع لا زالت اصداء النقد تتردد حوله الى اليوم . وفي المؤتمرات الادبية السوفيانية نفسها تتردد أصوات بعضها هو صوت

الدولة وبعضها هو صوت الحرية ولكن اصوات الحرية تخفت آخر الامر في غمرة الهياج والعنف . (1)

ويعتبر عهد ستالين مثلا نموذجا قويا لانهيار الادب والفن في ظل حكم مثالي في نظر الدولة الشيوعية

وقد كان على الادب والفن في ظل هذا العهد أن يدور حول موضوع واحد هو العمل والانتاج اما الموضوعات العاطفية الخاصة للكائنات الانسانية ، والمواقف الحرة او المختارة بحرية فهي عقوق للمجتمع وللدولة واصوات مشوشة يجب أن تخنق .

لقد كان الكتاب في الاتحاد السوفياتي — كما وصفتهم احدى المجلات الادبية (الآداب البيروتية 5/ 1955) مهندسي الروح الانسانية حتى موت ستالين ، وكانوا موظفين يتلقون من الدولة تعويضات مادية كبيرة ينتجون مقابلها ادبا مطابقا من الوجهة الايديولوجية لتوجيهات الحزب ، ومتحركا من حيث الشكل في اطار الواقعية الاشتراكية . وقد كان جبين الادب في تلك الايام موحدا توحيدا كاملا . فان كل مهندس كان يقوم بواجبه فيخرج كتابه او مسرحيته التي يتبين للقارىء من سطورها الاولى ان العامل التقدمي سينجح حتما في تسيير مصنعه ، ويتزوج رفيقته الستاكانوفية او يعدل عنها من غير ادنى حسرة ، اذا ما انحرفت .

ويقول الكسندر مارك احد الكتاب الفرنسيين الصحفيين معلقا في احدى المجلات (الآداب البيروتية ع 2 — سنة 1955) : لم استطع ان اكتشف الا ثلاثة كتب بعد الحرب الثانية لا تنتهي بنهاية سعيدة — اي منذ قرابة عشرين سنة — كان لابد من الاعتراف بأن الحرب قد خلفت موتى وجرحى ، ولكن كل مبالغة في وصف المصائب والكوارث كانت تقابل بتقطيب الجبين ، واذا لم يكن من مأساة في الادب السوفياتي ، فذلك لانه ليس في الحياة السوفياتية نفسها مأساة معترف بها . قد يكون هناك موت او مرض او الم او شقاء فردي ، ولكن حياة الفرد ذات اهمية ضئيلة بالنسبة للمجتمع ومهماته . ولذلك فان الجو المأساوي لا يمكن ان يوجد الا تحت حكم راسمالي ، حيث تضحيات الفرد وآلامه عبث لا جدوى منه . اما في الاتحاد السوفياتي حيث توجه جميع الجهود نحو بناء مجتمع شيوعي ، حتى ولو مات الفرد او اخفق فان المجموع يبلغ غايته ، ومن ثم يبلغ الفرد نفسه غايته . اما الملهاة فليست اكثر نجاحا من المأساة . ان الفكاهة ينبغي ان لا تحتل مكانا في دولة جماعية .

وهكذا نتبين ان الواقعية السوفياتية لا تعني آخر الامر — ما دامت المأساة والملهاة وانواع الصراع مفقودة في الادب السوفياتي — الا الامانة لسياسة الحزب والانسياق لها .

نعم لقد انتظر الناس بفارغ الصبر مصير الادب بعد موت ستالين وتساءلوا عما اذا كانت الدولة مستعدة للتنازل عن تطبيق القوانين الصارمة التي اودت بكل نشاط للاعمال الادبية والفنية في الاتحاد السوفياتي .

لقد ادرك المسؤولون انفسهم خطورة ذلك واصبحوا يولون ظهورهم لاساليب بات اخفاقها محققا وفي المؤتمر الثاني للكتاب السوفيات المنعقد في دجنبر 1954 صورة لهذا المصير . وتعليقا على هذا المؤتمر تقول المجلة « PREUVES » ع 49 / 1955) : ما عساها تكون الحدود التي يقبل في اطارها قليل من الحياة وقليل من التنوع في الادب السوفياتي بعد الآن ؟ .

ان الجواب على هذا يمكن ان يكون واضحا بالنسبة لمراقب خارجي . فليس هناك اية قضية انسانية من القضايا الجوهرية يمكن ان تطرح في العالم

---

1) كتب الاستاذ عبد الكريم غلاب في بعض أعداد صحيفة « العلم » ع 6367 ، عن الادب والدولة في الاتحاد السوفياتي ينقض محتواه ما نتحدث عنه في هذا المقال ، ويرجع ذلك الى كون الاستاذ غلاب تحدث عن رحلة في الاتحاد السوفياتي أكثر مما تحدث عن تحليل الوضع الفكري هناك ، ولان واقع الادب السوفياتي اليوم غيره في ظل الحكم العنيف الذي عرفته ايام ستالين ، فهو اليوم اكثر انفتاحا على العالم ، واكثر تنسما للحرية . ومع ذلك فالكاتب المحترم يؤكد في مقاله روح ما ذهبنا اليه حين يقول: « ولكن لايمكن ان ينشر كتاب الا اذا مر على لجنة التحرير وهي منظمة رسمية تراجع كل ما يريد ان ينشره الكتاب والشعراء فتجيز نشرها او ترفض النشر . » ويمكن القول بأن « اتحاد الكتاب السوفييت » يوازي الحزب الوحيد في الدولة ، بل هو حزب فكري لايتنفس المفكر خارجه ، وهذا وحده يغطي على الضمانات الاجتماعية والقيمة المعنوية التي يتمتع بها الاديب هناك . ومع ذلك فمقالنا يضرب المثل بالادب السوفياتي في فترة كانت اشد انغلاقا من الآن .

السوفياتي ، لقد كتب اديب بولوني شيوعي منذ وقت قصير يلح على عدم تصوير الموت في الروايات باعتبار ان الموت ليس شيئا نموذجيا . ان الموت ليس شيئا هاما في نظر الانسان الشيوعي حتى ولو كان حدثا عاما ، صحيح ان الانسان يموت ولكن المجتمع الشيوعي يعيش دائما . ان الفرد يتجسر قدره على الصعيد الوحيد الذي يهم ان يتحد فيه مع المجتمع ، وطبيعي ان هذا لا يترك ميدانا حرا للادب كما نفهم ، اي انه لا يترك الباب مفتوحا لطرح عدد من الاسئلة حول معنى الوجود البشري وغايته مع فضوله في نبش اعماق الانسان .

يتضح من خلال هذه التعليقات الواعية ان الادب في ظل الدولة الاشتراكية ذات النزعة الكلية اصبح خلوا من كل موضوع اجنبي عن التجربة الاجتماعية ذاتها مفروضا عليه ان يحلم او يتنبأ او يتأمل وهو يمشي متصلبا في طريق التنفيذ او كان الادب في هذه الصورة انسان يريد ان يمارس حرية التجول وهو منخرط في كوكبة من الجنود يتحرك بحركاتها ويتجه وفق خارطة خارج رأسه .

صحيح ان الادب السوفياتي اليوم غيره بالامس فيما يتصل بالنظام المفروض عليه . وانه اصبح يتنسم نسائم الحرية ، ولكنه ما زال يشكو العقم بالقياس الى الادب في دول اخرى في اوربا .

ونحن لا ندين التجربة الاشتراكية الكلية وحدها فقط في هذا المصير المحزن بل قد تكون هناك عوامل اخرى ، ولكن اسلوب العمل في هذه التجربة يتحمل القسط الاوفر من المسؤولية في هذا المصير .

وهذا بالطبع يختلف عن حكمنا فيما لو كان هناك كتاب وادباء اختاروا العمل مع الثورة والتجربة بمحض حريتهم ، ولذلك يجب ان نؤكد انه اذا كان الاديب او الكاتب يصدر في حماسه للثورة او الدولة عن عقيدة وموقف حر واستجابة عفوية فالأمر يختلف بحيث لا يمسه هذا النقد من قريب او بعيد ، لان النقد اذ ذاك يتجه الى قيمة ما يعتقده وقيمة ما ينتجه ، اننا نرى ان من اخطر المتناقضات ان يتنكر الاديب لذاته ليضع قلمه وفكره عن قهر في خدمة اتجاه معين . لان كل ما قد ينتجه بوحي ذلك لن يعتبر ادبا ، لانه لن يعبر فيه بصدق ومعاناة وبالتالي لن يكون فيه شيء من الجدة والكشف .

وعندما نتحدث عن قضية توجيه الادب لا ينبغي ان نعتبر ان توجيه الموضوعات هو كل شيء في هذه القضية ، لان لهذا التوجيه حتما آثاره على الشكل او الاسلوب . وعندما تحدثنا عن توجيه الادب فيما يتصل بالمضمون اكتفينا بالاشارة الى انفصال الادب عن كل ما هو مجتمعي وانساني تحت تأثير توجيه الدولة وضربنا لذلك مثلا بوضع الادب في فترة من فترات حكم الدولة في الاتحاد السوفياتي ، وكيف تقيد هذا الادب بالتعبير عن تجربة الدولة في الحقل والمصنع والانسان ، وكيف اصبح الادب ميدانا للتبشير بالنتائج الحتمية التي هي كل شيء بالنسبة للانسان السوفياتي، ولكننا لم نتحدث عن جانب الشكل او الاسلوب . والقضية المطروحة الآن بالنسبة للاسلوب في ظل الادب الموجه هي ان الادب اذا كان يتقيد بموضوعات معينة ويتجه نحو جماهير معينة فكيف يجب ان يكتب ؟ ايكتب بلغة رفيعة هي صفوة فن صاحبها ومبلغ سموه ، أم يكتب بلغة جماهيرية اي باسلوب شعبي ؟ ويبدو ان قانون العرض والطلب يتحكم في الادب الموجه كما سنرى ! فالذوق يجب ان يكون جماعيا . ولا مندوحة عن اختيار لغة الجماعة . اي لو كانت القضية تطرح نفسها علينا في العالم العربي بظروفها لما كان هناك جدال في ان تصبح اللغة العامية لغة الادب والكتابة في كل بلد عربي وهو الاتجاه الذي لوحظت بوادره في مطلع هذا القرن في مصر . ان ماوتسي تونغ الزعيم الصيني يفرق بين الادب والفن للاغراض التعليمية وبين الادب والفن لرفع مستوى الجماهير . فالفارق عنده بينهما هو فارق في الدرجة ، وفي المرحلة الاولى من النضال يجب ان يهتم بجعل المعرفة والثقافة وكل الاعمال الادبية والفنية وسيلة لرفع حماس الجماهير ودفعها نحو النصر النهائي . وهكذا واجه الادب الصيني نفسه قضية التجنيد الاجباري فلبس البزة العسكرية هو الآخر وتقمص الاسلوب الخشن السطحي . يقول ماوتسي تونغ بنفس العبارة : « ليس واجبنا الاول ان نصنف الورود للتطريز بل ان نرسل الفحم لمنطقة الجليد » وهو يحدد في نفس الوقت المقياس النقدي الذي يجب ان يقاس به العمل الادبي بالنسبة للانتاج الادبي الموجه وفي هذا الصدد يعلن ان النقد له مستويان سياسي وفني ، ومعنى ذلك ان نقدنا للادب والفن لا ينبغي ان يكون بمعزل عن مضمونه السياسي، اما المقياس الفني الخالص فهو مقياس ثانوي بالنسبة للمجتمع وادب المجتمع الذي يخوض معركة النمو والازدهار (مشاكل الادب والفن . دار الفكر ، القاهرة 1956) .

نستخلص من عرض هذه الآراء ان الدولة عندما تقوم بتجربة اجتماعية كلية لا تستطيع ان تنظر الى

الادب والفن نظرة سليمة او موضوعية . وانما تنظر اليه نظرة انتهازية قوامها تسخيره للدعاية مهما فلسفت نظرتها واكستها شكلا اديولوجيا علميا . كما نستخلص ان الشكل والمضمون فى الادب الموجه يسيران فى خط مواز للسياسة المتبعة كما أن النقد الادبي نفسه يستمد مقاييسه من صميم فلسفة النتائج الحتمية ، وكل ما عدا ذلك شيء ثانوي . ولا مجال حتما لانبثاق مذاهب ادبية تشذ عن القاعدة العامة . وهكذا ننتهي الى الاقتناع بأن ادبا موجها لا يمكن ان يصدر عن نزعة انسانية حرة او احساس موضوعي سليم ، ولن يعبر بالتالي عن شيء يتفق الناس على انه ادب بالمعنى الذي يصطلحون عليه .

انني لا انتقد بهذا الاسلوب اي تجربة اشتراكية تجري هنا أو هناك من أقطار الدنيا بالنظر الى مضمونها الانساني ، فقد يكون من الحق الاشادة بنوع من تلك التجارب القائمة عن حماس ووعي وحسن نية ، هذه التجارب التي تقوم على فكر متفتح وتخطيط جزئي ، ولكنني احب ان اوضح فى حرية ووعي ايضا ان احدى نتائج الاشتراكية المتطرفة هي التناقض مع الاسلوب العلمي كما وضحت من قبل . أشرت من قبل الى ان البعض قد يلاحظ او يستنتج مما سبق انني أعارض كل التزام ادبي فى ظروف لم يعد لرجل الفكر والقلم معها مجال لغير العمل بل المساهمة فى توعية الجماهير والتبشير بنتائج الانظمة القائمة ، والتجارب الجزئية او الكلية ولا سيما فى بعض البلاد النامية . ومع اعتراضي على اسلوب هذا الاستنتاج بل تخطيئه من حيث ان هناك فرقا بين الالتزام والالزام وان مدار نقدنا يقوم على شجب الالزام فاني ارى انه لا تناقض بين حرية الاديب والتزامه ، بل أرى أكثر من ذلك أن اعمق معنى لالتزامه ينبثق من الحرية . وما دام الكاتب او الشاعر يعطي نفسه الحق فى ان يكون طرفا ايجابيا فى الحياة البشرية فان عليه بحكم مسؤوليته عن مصير الانسان ان يضع فنه فى خدمة القضايا العادلة . ونزيد قائلين : انه لا يمكن ان نتصور اديبا سليم الاحساس عميق النزعة الانسانية لا ينفعل بحياة مجتمعه بل حياة العالم بأسره ، ولا يعكس فى انتاجه قضايا الانسان ومشاكله .

بعد هذا التحليل المسهب نعود لنتساءل: ما موقف الاديب من الدولة ؟ او ما ينبغي أن يكون موقف الادب من الدولة ؟ انه لن يكون حتما موقف الخصم لانه ليس هناك تعارض بين حرية الفكر وقيام الدولة ، ولكنه ينبغي ان يكون موقف الرجل الحر فيقف دائما بجانب القيم الانسانية . وهذا يعطي للادب مدلوله الاجتماعي ، ويحدد موقفه من المجتمع من ناحية اخرى ، ومعنى ذلك ان القيم الانسانية اذا كانت مستهدفة من جانب المجتمع فان الفكر الحر والموقف الانساني الحر هو الذي يدعو لها ويحميها . وبالفعل فان المجتمع يتغذى من هذه القيم ويجدد علاقاته بها باستمرار ويطور مفهوماته لها على ضوء الاحداث التي يمر بها فى صورة استهلاك ما ينتجه الادباء الاحرار الذين يخدمون بأقلامهم قضايا الحرية والحقيقة والجمال ، فيصورون للجماهير مدلول نضالهم الانساني ، وحقهم الطبيعي فى ان يعيشوا احرارا ، وفي ان يتصلوا بتلك القيم وان ينشدوها ويسعوا في تحقيقها فى جميع المجالات . وعلى الاديب أن يعي دوره النضالي باستمرار فلا يهن ولا يضعف عندما تعترض طريقه مصاعب او مقاومة حتى ولو بلغت العنف لان مهمته هي اقتحام كل المخاطر فى سبيل دعم القيم الانسانية وتبديد كل المخاوف امام المناضلين فى سبيلها . ولا شك أن مثل هذا الموقف يقفه اديب في ظل دولة ديموقراطية النزعة سيلقى منها كل تشجيع لان موقفه هذا هو الذي يعطي لديموقراطيتها ابعادها الحقيقية ، بل وجوده وحده فى ظلها يعطي المدلول الحقيقي لهذه الديموقراطية ولهذا لم نرد الاطالة في تبسيط العلاقة بين الادب والدولة ذات النزعة الجزئية او السلطة الجزئية ، لانها دولة ديموقراطية بطبيعتها تعطي للفرد كرامته وحقه الطبيعي فى التعبير والتفكير ، وتفسح كل الظروف التي تستمر بها حريته وكرامته . وتلك امثل صورة لعلاقة الادب بالدولة فى نظري واحسن مثل ينبغي ان تسعى الدولة لتحقيقه بدل ان تضغط على الفكر وتحول دعوته الى دعاية وتنكر لمبدا النقد الذاتي . واذا كان يتفق لبعض الدول ان تمر بهذه المنعطفات الخطيرة فى بعض مراحل تاريخها فان الفكر الحر ــ والادب صورته ــ يبقى رقيبا بل دائما مسئولا عن تصحيح الوضع للخروج من المنعطف الضيق الى الطريق القويم .

فاس : محمد عبد الملك الكتاني



في صحبة الشعر

للأستاذ عبد العلي الوزاني

استقبلني السيد مدير هذه المجلة العتيدة الاستاذ محمد بنعبد الله ، بوجه بشوش ، ولسان يفيض بعبارات المودة والصداقة ، في مكتبه ، حيث تلتقي جميع تيارات الفكر المغربي ، وتتردد اصداء المواهب الخلاقة ، لابناء هذه البلاد الميامين . وكان المكتب حقا على شيء من الجهامة ، يوحي بالجهد العظيم ، الذي يبذل من اجل ان نسعد بهذه الصفحات النقية ، الطافحة بما يلذ من احاديث العقول ، وخلجات النفوس . وما كاد يستقر بنا المجلس ، حتى بادرني الاستاذ بقوله : يظهر ان موضوع الشعر قد راقك ، فكل احاديثك الاخيرة تدور حوله . فقلت : اي نعم ، وذهب بي الخيال بعيدا في رحلة خاطفة الى جنات عبقر ، لأعود من جديد الى الصديق البشوش الذي انطلق يحدثني حديث الادب والفكر واعبائهما الثقال ، ولكن الخواطر والتأملات التي اثارتها عبارته تلك ، ما لبثت ان آنست وحدتي وانا في طريقي الى فاس ، عقب انتهاء هذا اللقاء مباشرة ، حيث وجدتني اطوي الطريق طيا ، والقوافي والكلمات الشعرية تتراقص في مخيلتي، وتتدافع تدافع الاشجار الباسقة على جانبي الطريق ، ومن ثم كان مولد هذا الحديث ، الذي ادرته بيني وبين نفسي ، قبل ان اديره بيني وبين القراء الكرام .

هناك عادة لها سلطان على نفسي ، كما ان لكل انسان عادة او عادات ، تلازمه في سائر اطوار حياته ، او في بعضها على الاقل ، وهي اني اذا هزني داع من داعي العقل والوجدان ، الى لون من الوان النشاط العقلي والروحي ، ادمن عليه حتى ارتوي ، دون ان اقنع منه بالشيء اليسير ، فلسفة كان هذا اللون او اجتماعا او تاريخا او نقدا ادبيا او غير ذلك . فانا منذ عدة شهور مدمن شعر ، اقرؤه اذا اصبحت ، واقرؤه اذا امسيت ، واشغل به نفسي فيما بين الصباح والمساء ، امتشقت الحسام مع ابي فراس ، وصاولت الخصوم مع المتنبي ، وقارعت الكؤوس مع ابي نواس ، وكانت لي عين غزلة مع ابن ابي ربيعة ، وخيال آثم مع نزار قباني ... كما عشت مع غير هؤلاء ، متنقلا بين هذه العوالم الساحرة العجيبة ، واجدا في ذلك لذة ومتاعا ليس الى وصفهما من سبيل . وكلما لقيت شاعرا اعطيته زمام نفسي ، وتركته يقودني على هواه، ناسيا او متناسيا كل ما كتبه عنه الكاتبون ، وما احاطه به الناقدون ، لاني اريده خالصا لي بدون وساطة احد ، ولو كان الوسيط اماما من ائمة البيان ، او بليغا من جهابذة البلغاء . وماذا يبغي الوسيط عند ما يدخل فيما بيني وبين من اقرأ له من الشعراء ؟ ولماذا يدس انفه في هذه العلاقة التي اريدها بعيدة عن اعين الرقباء، لان لي فيها وطرا من اوطار الروح ، ولي عندها غرضا من اغراض القلب والوجدان ؟ فاحيانا يود القارىء ان يخلص له شاعره المفضل ليجرب جنته وناره ، او حيرته وشكوكه ، او يأسه وقنوطه ، تجربة فيها كل ما في تجاريب الحياة التي يتعرض لها ، بما تحمله من خير وشر . ان نقاد الشعر اذ يساعدوننا على هضم الشعر ، انما يفعلون ذلك عن حسن نية ، ورغبة منهم في وقايتنا من شرور الضلال بين أودية

الشعراء ، ولكن ما ادراهم اننا نود دائما ان نكون من المهتدين ؟ السنا نجد انفسنا احيانا في حاجة الى ارسالها على سجاياها ، لتمرح في حدائق الشعر ، هائمة بين رياحينها ، سكرى لا تريد ان تفيق من احلامها الجميلة ؟ الا يستحق الشعراء منا ان نكافئهم على احسانهم الينا بان نقاد اليهم دونما اعتماد على سند او معين ، لنعيش مغامراتهم وتجاربهم التي تعرضوا لها ، موكولين الى انفسهم وظروفهم وحدها ، دون ما عاصم يعصمهم من شرور التجربة وآفات الطريق ؟

صحبة الشعراء تجربة ومغامرة تفقد كثيرا من سحرها ومفاجآتها وما يترصد لها عادة من عوامل الخيبة والفشل ، والنجاح والتوفيق ، اذا هي خضعت لعين الناقد الفاحصة ، ونظرته الثاقبة ، وذهنه اليقظ ، ولم تترك لظروفها وحظوظها ، بل وقعت تحت المصباح الكشاف ، مصباح الناقد الذي يفيدنا كثيرا ، ويتولى تبديد كثير من الظلمات امام سعينا الى نفوس الشعراء وقلوبهم ، ولكن ضوءه قد يعشي الاعين ، ويعوق عن الرؤية الواضحة احيانا ، شأن المصابيح الوهاجة ، عند ما تغمر الناس بضوئها الساطع ، فتنبهم امامهم كثير من الاشياء .

متعة كبيرة ان تتعرف الى انسان فتبلو خيره وشره ، وحالات انقباضه وانبساطه ، وحيرته ويقينه ، وتفاؤله وتشاؤمه ، مكتشفا هذه الطباع من خلال التجربة وحدها ، دون ان يقف بينك وبينه انسان آخر ، ليقدم اليك كشفا لا يترك منه كبيرة ولا صغيرة الا احصاها ، فيضيع عليك لذة المغامرة ، ومتعة المعاناة ، ولا يمكن ذكاءك من فرصة استعماله في قراءة الاشخاص . ونفس المتعة تجدها اذا انت تعرفت على شاعر عالما مغلقا على نفسه ، تدل عليه فقط ، هذه الكوى المفتوحة في جدرانه ، والمدعوة بالكلمات ، فانت تنظر من خلالها بعين متلصصة متعرضا لما قد يعوق عن الرؤية الواضحة من غواشي ربما اشتملت على انظارنا حتى عند ما ننظر الى الدنيا من جوانبها الواسعة ، وآفاقها المفتوحة الرحبة ، ملء عيوننا بسعتها . ويقتل هذه المتعة ان يتدخل انسان نسميه ناقدا ليتولى – نيابة عنا – تذوق الشعر وهضمه وقتله فهما ودرسا فيضعه بين ايدينا طعاما جاهزا فيه نكهة وله طعم ، ولكنا لا ندري شيئا عن المراحل التي مر بها ليكون على شكله الماثل امامنا . لا اقصد بهذا الى التقليل من قيمة نقد الشعر ، والا لكان حديثي عن الشعر منذ ان بدات هذه السلسلة من الاحاديث نقضا لهذه الفكرة ، وانما اريد الى شيء واحد فقط ، ليس من شانه ان يزحزح النقد عن مكانته قيد انملة ، وهو ان قارىء الشعر يحتاج احيانا في صحبته للشعراء ، الى ان يعتمد على تجربته وحدها دون واسطة الناقد ، بشأن سائح يقبل من بعيد على بلاد جميلة تطاها قدماه لاول مرة ، فلا يستنجد بدليل ، وانما يهيم في طرقاتها ، فيجد بعضها مسدودا ، فيعود القهقرى من حيث اتى ، ليسلك طريقا آخر قد يؤدي الى مكان بعيد عما كان يتوقع ، وهكذا من درب الى درب ، ومن ضياع الى ضياع ، واجد في ذلك لذة وراحة ، راحة المغامرة ولذة التجربة ، ذلك ان من مصادر المتعة العقلية والروحية للانسان ، ان يكتشف الاشياء والمعاني بنفسه ، دونما مساعدة من احد . فبالنسبة الى ذلك السائح ، كان في امكانه ان يسترشد بدليل ، فيكفيه مؤونة البحث عن اسم هذه الطريق ، واسم ذلك الربع ، ويملأ ذهنه بمعلوماته المحفوظة المعادة ، ويقف به عند كل اثر ليلقي عليه محاضرته التقليدية ، ولكنه يعدل عن ذلك ، لانه يريد ان يشبع فضوله عن طريق التامل الانفرادي ، وليس من الضروري ان ينجح فيما هو بصدده ، اذ المهم هو متعة التجربة في حد ذاتها .

لقد قمنا – كما قام غيرنا – بنزهات شعرية في دنيا الشعراء ، صحبة هؤلاء الادلاء الذين نسميهم نقادا ، فوجدنا الناقد الذي يحذرنا من نزوات الشاعر ، والناقد الذي يقول لنا عن شاعر ما انه كاذب ، فلا تثقوا بما يصدر عنه ، والناقد الذي ينبهنا الى ان ذوق هذا الشاعر رخيص مبتذل ، والناقد الذي يضع يديه على عالم احد الشعراء ويختصره ويقدمه الينا في قارورة ، زاعما ان كل ما انتجه هذا الشاعر ، وما سينتجه في المستقبل ، لا يمكن ان يخرج عن الدائرة التي رسمها له ، وقد يكون كل ما قالوه صحيحا ولو على سبيل الافتراض ، ولكن اين هي الصحبة بكل ما فيها من عفوية وما تخبئه من مفاجآت ، امام هذه التعاليم التي يحيطنا النقاد بها علما ؟ لذلك كان افضل النقاد عندي ، هو ذلك الذي يطرح جانبا التعميم واصدار الاحكام المطلقة على أعمال الشعراء ، ويقف بي عند نص معين ، يرافقني في قراءته ، دون ان يصدر حكما ، وانما يكتفي بان يلفت نظري الى هذه العاطفة الرقيقة ، وهذا اللفظ الجميل ، وتلك الخاطرة اللطيفة ، كرفيق يصاحبك على الطريق ، ليشاركك المتعة بجمال الاشياء دون ان يلبس روب القاضي ليصدر الاحكام ، من غير ان تكون عنده مراعاة لما قد

يكون لك من رأي ، وما يخصك من تجربة ، هذا الناقد اقبل على اعماله كثيرا واستفيد منها ، ولكن حتىهذا كثيرا ما اضيق به ذرعا ، واحب ان تتاح لي الفرصة لاسير في رياض الشعر وحدي ، ليس معي الا خواطري وتاملاتي ، وهذه البدائع الشعرية تاخذني بروعتها من كل جانب ، وتملك مني الخوالج والحواس ، ليتحقق معنى الصحبة بيني وبين الشعر ، الصحبة بمفاجآتها ومغامراتها ، وما تحمله من لذة والم ، وخير وشر ، ويمكنك ان تعتبر حديثي هذا عن الشعر ، وكذا احاديثي السابقة ، من قبيل ما يفعله اولئك النقاد ، عند ما يتدخلون بيننا وبين من نصحبهم من الشعراء، وربما تكون قد ضقت به ذرعا ، كما قد نضيق احيانا بتدخلات النقاد . . .

ولكن هل يخلص لنا الشاعر وتخلص له في بعد عن جميع الشوائب ؟ لا اعتقد ان هذا اللقاء الخالص يمكن ان يتحقق ، ذلك اننا اثناء صحبتنا للشاعر ، نراه من خلال ما حشونا به ادمغتنا من قبل ، من كل ما استفدناه من قراءاتنا ، وتجاربنا والاصداء التي تحدثها فينا شتى احداث الحياة ، وحتى ذلك الناقد الذي نظن انا ابعدناه عن لقائنا المباشر للشاعر ، يلبس طاقية الاخفاء ، ليتسلل الى نفوسنا ، فيلون عيوننا ، ويغلف اخيلتنا ، ويضع شيئا من توابله في اذواقنا ، وليس في وسع احد مهما بلغت مناعته الذاتية ، ان يطرح الناقد الكامن في نفسه ، ذلك انه لا يأتينا مباشرة، ولا يواجهنا حتى نتمكن من صده ، وانما يحتال علينا، ويندس في خلال قراءاتنا ، ويسعى الينا متنكرا في كتب المدرسة ، ومحاضرات الجامعة ، واحاديث الاصدقاء ، فاذا به يهيمن على علاقاتنا بشعرائنا المفضلين ، نتحدث اليهم ويتحدثون الينا ، وناخذ عنهم ونعطيهم ، ولكن الناقد القابع في اعماقنا لا يترك هذا الاتصال يتم ، دون ان يدس انفه فيه ، من حيث نظن اننا استطعنا ابعاده عنا ولو موقتا ، وتلك مغالطة يقع فيها كل من قرا الشعر واراده خالصا مصفى من كل شائبة أو عامل خارجي يملك قوة التوجيه والملاحظة والنقد ، وهكذا دائما قراءتنا للشعر ، وصحبتنا اياه .

واني لارى في هذه الصحبة شيئا زائدا على القراءة ، فقد تقرا الشعر فتتاثر به وتتمثل معانيه ، وتنفذ الى اعماقه ، وتمضي معه شوطا هنا أو هناك ، وبعد ذلك تعود ادراجك ، كمن قام برحلة خاطفة لم يلبث ان عاد منها وكأن شيئا لم يكن ، اما صحبة الشعر، ففيها ما تستدعيه الصحبة من معاني الالفة والانسجام والتوافق والتماثل، صحبتنا للشعراء تعني فيما تعنيه، اننا تكونت بيننا وبينهم صداقة ، قد تكون عابرة لا تستمر طويلا كصداقة ركاب القطار ، وقد تكون محاطة بشيء من الحيطة والحذر وربما سوء الظن ، وقد لا تخلو من بعض الخلاف وسوء التفاهم ، شأن كل صداقة تتكون بين الناس ، ولكنها على اية حال تحمل الكثير مما في الصداقة من التلقائية والعفوية وطرح الحرج والكلفة جانبا ، واعتقد ان كلا من القارىء والشاعر اذا هما وصلا من لقائهما الى هذا الطور ، فقد اصبحت صلتهما ذات خطر ، ولعلها ان تكون فيما بعد صداقة دائمة ، وقد تتحول الى حب واعجاب وتقدير، واذا وصلت الصحبة الى هذا الحد ، فتلك هي العشرة الدائمة المستمرة التي لا تنال منها الايام ، بل هي تزيدها ثباتا ورسوخا ، وحينئذ تصبح علاقة المتلقي بالشاعر هي نفس علاقته بنفسه وجوارحه وكل عصب فيه ، فلا غرو حينئذ اذا رأينا اختلاط السيئات بالحسنات ، واتحاد اسباب النفور باسباب المودة والعطف ، وتداخل النواحي القوية والنواحي الضعيفة. لذلك كانت افضل واقوم علاقة عندي بين قارىء وشاعر ، هي تلك التي تقف عند حدود الصحبة بكل ما فيها من تعقل وحذر ، فلا هي معاملة جافة كالتي بين الزبون وصاحب الانتاج ، ولا هي بالهيام المطلق ، والمحبة العمياء ، وانما هي صحبة فقط ، فيها الالفة والانسجام والتوافق ، ولكن فيها ايضا شيء من حساب ، وقليل من حيطة وسوء ظن . فالحب يعمي ويصم (احب حبيبي ولو كان عبدا اسود) ، اما الصداقة العاقلة الرزينة الواثقة من نفسها ، فتقيم نوعا من التوازن بين شخصيتي الطرفين ، بحيث لا يطغى احدهما على الاخر ، بيد انها في الوقت نفسه ، لا تمنع من الاستسلام الموقت ، والانقياد الواعي ، السليم من كل عوامل الامحاء والفناء ، فناء الذاتية وذوبانها وتفتتها . فانا — مثلا — يلذ لي ان اسلم قيادي لشاعر كبير ، ويحلو لي ان اتركه يحلق بي ، وياخذني من كل جانب باقواس قزحه الزاهية الجميلة ، فيدركني الانبهار ، واكاد اصيح من نشوة الفرح ، ولكن بشرط ان يبقى لي شيء من قدرة على استخلاص نفسي من قبضة الشاعر ، وانتزاعها من بين ذراعيه ، لانفصل عنه قليلا ، فانظر الى ما ترك عندي من أثر ، وما صنعه بخيالي ونفسي اثناء ارتمائي بين احضانه في لذة وانتشاء ، اما اذا عجزت ، فتلك هي الضيعة ، وذلك هو الشلل الادبي الذي لا ارضاه لنفسي ولا ارضاه لاي قارىء كان .

وليست صحبة الشعر هينة وادعة قليلة التكاليف رضية العشرة – كما قد يتخيل البعض – في جميع الاحوال ؛ فمنها ما يجهدنا ويخرجنا عن طورنا ، ويهزنا هزا عنيفا ، ويأخذنا اخذا شديدا . وما رايك في شاعر كلف باقتحام الصعاب كأبي الطيب المتنبي ؟ فصولاته وجولاته ، وناره المتاججة ، وسخطه العظيم ، ومصاولته الجريئة ، وجراته على اهل زمانه ، وتحديه لمكر الايام ، كل ذلك عشته معه ، فكنت اخال العرق يتصبب من جبيني ، في رحلتي مع هذا المتمرد الثائر الطموح . اما صحبة المعري فهي رحلة في دنيا من الظلام الحالك ، مع نفس معذبة محرومة ، كلها مواهب وطاقات ضخمة ، وكلها شك وعذاب وحيرة ، فعشرتها محنة ، وصحبتها عذاب ، ولكنه عذاب لذيذ ، عذاب عظيم ، فيه عمق ، وفيه تغلغل الى صميم الاشياء ، وفيه هتك للحجب ، واقتحام لاسرار الوجود ، اين منه اللذائذ الجوفاء ، الباعثة على الخمول ، الداعية الى الكسل . وكم احب الشاعر الذي يستفزني ، ويقيمني ويقعدني ، ويجري بي صعدا في مرتقى صعب ، وان ادمت قدمي الصخور الناتئة ، والاشواك الحادة . ولكن كم يطيب لي ايضا ان اعود الى نفسي لآخذ نفسا ، والتمس راحة بعد تعب ، وجنة بعد جحيم ، وحينئذ اجدني امام مجموعة من الشعراء المرحين ، الذين يحققون لي هذه الغاية . فهل من مرح مع ابي نواس ؟ او جولة مع ابن ابي ربيعة ؟ او غدوة مع امرىء القيس ؟

ولا يتحقق لصحبة الشعر معناها الكامل ، الا اذا كانت خاضعة للصدفة او الاختيار الحر ، فلا صحبة مع الاكراه ، وتدخل ارادة الغير ، لتفرض علينا شاعرا معينا . لا يمكن – مثلا – أن تكون دراستنا لشعر معين التجه شعراء معينون داخل المدرسة او الكلية ، صحبة بالمعنى الصحيح للكلمة ، لان هناك ارادة شاءت لنا ان نقرا نصوصا من نوع خاص ، لشعراء من طراز خاص ، بقطع النظر عن كوننا نحبهم او نكرههم ، وبقطع النظر عن كون النصوص المفروضة علينا مما يتفق واذواقنا ، او مما يختلف عنها كل الاختلاف . واذا كان الشاعر العربي يقول :

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى
عدوا له ما من صداقته بد

فنحن لا نتفق معه في اعطاء الشخص المفروض علينا هذا اللقب ، فما الصديق ، والمؤنس ، والصاحب ، الا من وكل امر اختياره الى ذوقك ومبادرتك ، يصدق هذا على صداقة الناس داخل الحياة الاجتماعية وعلى صحبتهم داخل الحياة الادبية . والمدرسة او الكلية اذ تفرض علينا نصوصا معينة ، لشعراء معينين ، تكون في الحقيقة مراعية لمصلحتنا ، مشفقة علينا من الضياع في دنيا الشعراء الواسعة ، لذلك فهي لا تتركنا احرارا في ان ندرس الشعر كيفما اتفق ، وانما تقوم بالتحديد والتعيين ، تحديد النصوص ، وتعيين الشعراء . ولست ادري كيف يمكن ان نسمي دراسة شاعر صحبة ، اذا نحن فرض علينا ان نعرفه في جانب دون آخر ، وفي لون من انتاجه دون آخر ، فلا صحبة الا بالتعرض لجميع الجوانب ، لاكتشافها جانبا بعد جانب ، ولا صحبة الا حيث يتحمل الانسان مسؤولية ما تجره عليه من خير او شر ، اما عند ما تقوم المدرسة او الكلية بالاختيار والاصطفاء نيابة عنا ، بل دون استشارتنا ، متحملة وحدها المسؤولية كاملة ، فقد انتفى معنى المصاحبة ، وتحول الامر الى التزام وتنفيذ . نعم قد تكون دروس المدرسة او الكلية فرصة لنشوء صداقة بيننا وبين شاعر فيما بعد ، وكثيرا ما احببنا شعراء ، فعاشرناهم في مختلف اعمالهم ، بعد ان عرفناهم داخل المدرسة ، وضمن البرامج المقررة . والعاطفية المصطنعة قد تتحول بفعل الزمن الى عاطفة حقيقية ، والصداقة المزيفة قد تنقلب الى صداقة اصيلة ، هذا مع العلم باننا قد نجد من بين الشعراء المفروضين علينا في المدرسة او الكلية ، ذلك الشاعر الذي نحبه اول ما نلقاه في اعماله المقررة ، الا ان المدرس لا يدعنا (نصاحبه) اذ يكلفنا ان نحفظ له عددا من القصائد عن ظهر قلب ... ويوجع ادمغتنا بما شاء ، مما كتب عنه النقاد والباحثون ، ويطغى صوته هو ، وشعوره هو ، وذوقه هو ، على صوت الشاعر وشعوره وذوقه ، واذا لم نقم بكل ما امرنا به من حفظ وهضم للمعلومات التي حشا بها ادمغتنا عن الشاعر ، فالويل لنا من غضبه وسخطه ... فاين هي الصحبة مع هذا الجو الصارم الذي قدر لنا ان نلقى فيه الشاعر المظلوم .. ؟ فالصحبة انما تبدا يوم نتخلص من هذا المدرس ، ونملك ان نمد ايدينا الى دواوين الشاعر وقتما نشاء ، وكيفما نشاء ، لنقرا ما يروقنا ، لا لنؤدي فيه امتحانا ، ولا لنعيده على سمع المدرس ، دون ان نسقط كلمة او حرفا ، وانما لنعيش في احلام ممتعة ، ونحلق في آفاق مشرقة .

الطرف الذي ربما لا يدري شيئا عن هذه الصحبة هو الشاعر ، فقد يصحبه الاف الاشخاص ، ينتمون الى بقاع مختلفة من الارض ، وهو لا يدري شيئا عن الكثرين منهم . بيد ان الشاعر عند ما القى الى الناس

بقصائده ، كان مستعدا لان يصحبه ويعاشره هؤلاء الناس على اختلاف الوانهم وطبقاتهم ، لانه اصبح شيئا عاما ، بل هو الذي خطب ودهم ، ومد اليهم يد الصداقة ، منذ ان اسكر آذانهم بكلمته الاولى ، وبعدها جاءت كلماته تترى ، فتفتحت لها كل باب ، واتخذت لها منزلة رفيعة من كل قلب ، وكونت لها عشا دافئا في كل روح .

وصحبة الشعراء لها حدود ، اي ليس في امكاننا ان (نصحب) كل شاعر ، لاننا لا نملك القدرة على ان نحلق مع جميع الشعراء ، في جميع الاجواء ، ولا على ان نسير معهم جميعا جنبا الى جنب . فنحن نصحب الشعراء الذين نتمكن من اللحاق بخطواتهم ، والوصول الى امتداد قاماتهم ، بينما هناك شعراء آخرون يخطون خطوات الجبابرة ، ويشمخون شموخ الالهة ، اصولهم ثابتة ، وفروعهم في السماء ، خيالهم يطوي الاكوان طيا ويلخص اجيالا واحقابا بكاملها ، ويضم الدنيا على سعتها بين جنابه . هؤلاء لكذب على انفسنا اذا زعمنا انا (نصحبهم) والاقرب الى طبائع الاشياء ان نقول : نحن نسير وراءهم ، وننظر مبهورين الى بصمات اصابعهم ، الى مواطىء اقدامهم ، الى صراعهم العظيم مع اسرار الوجود الكبرى . وهيهات ان يسير الاقزام بخطوات المردة ، وان يتطاول الحجر الملقى على شم الجبال ، او الفراخ الضعيفة على سباع الطير انظر كم من كتاب وشعراء تسلقوا اكتاف شكسبير ، وشدوا انفسهم الى كيانه الضخم ، وراضوا اقلامهم على الاعتراف من بحره البعيد القرار ، ومع ذلك فالعملاق ما زال يشرف من علو شاهق على هذه المخلوقات التي تسعى جاهدة مشرئبة ، دون ان تدنو من قمته الا لترتد عنها ، عائدة الى السفح ، لتعاود الكرة من جديد واذن فالصحبة مشروطة باستطاعة القارىء ان يتابع الشاعر في خطواته ، وسبحاته ، وانطلاقاته عبر آفاق الخيال . وهنا ياتي دور الشاعر نفسه ، ليساعدنا على تحقيق هذا النوع من الصداقة بيننا وبينه ، بالا ينغلق ، ولا يصدنا عنه باللفظ المبهم ، والعبارة الغامضة والخيال الملفوف في لفافات من السرية ، وانما يمد الينا يده ليرفعنا اليه ، ويوطىء لنا طريقا نلقاه عنده ، اقول هذا ، لان هناك عددا من الشعراء الذين يلقون الينا بكلمتهم ، وعند ما نتلقفها منهم ونريد اتخاذها مفتاحا لدنياهم ، نجد انفسنا في طريق مسدود .

وكما لا يتحقق معنى المصاحبة كاملا مع اولئك الفطاحل من الشعراء ، بالنسبة الينا ، كذلك لا يتحقق بيننا وبين صغار الشعراء من ضعاف المواهب والملكات بالنسبة الينا ايضا ، نظرا لكون طاقاتنا الروحية اضخم من طاقاتهم ، ومجالاتنا الخيالية اوسع من مجالاتهم ؛ فاذا نحن قرانا لهم ، فانما هي القراءة المشجعة ، واذا صحبناهم كنا مضطرين الى التنازل عن كثير من قوانا الروحية اذا استطعنا الى ذلك سبيلا ، بنفس الاسلوب الذي يتخلى به البعض منا عن مستواه الفكري والادبي، ليضع نفسه الى جانب البسطاء من الناس ، حتى اذا استرده صعب عليه ان يبقى حيث هو ، فيضطر الى استرجاع ما اعتاده من توثب وانطلاق . وكل صحبة تحملك حملا على ان تضع مكاسبك الروحية والفكرية جانبا ، ليست صحبة بقدر ما هي احسان ، وليست اخذا بقدر ما هي عطاء ، ولا تاثرا بقدر ما هي تاثير . ولا يفهمن احد من كلامي هذا اني ازري بالمبتدئين من الشعراء ، فهم احق بان ندرسهم ونتجاوب معهم ، ونخصص لهم نصيبا من اوقاتنا ، ولكن لا نستطيع ان نقول انا (نصحبهم) الا بكثير من التجوز ، نظرا لما يفهم من المصاحبة ، ومن معاني التكافؤ ، وتماثل القوى والملكات .

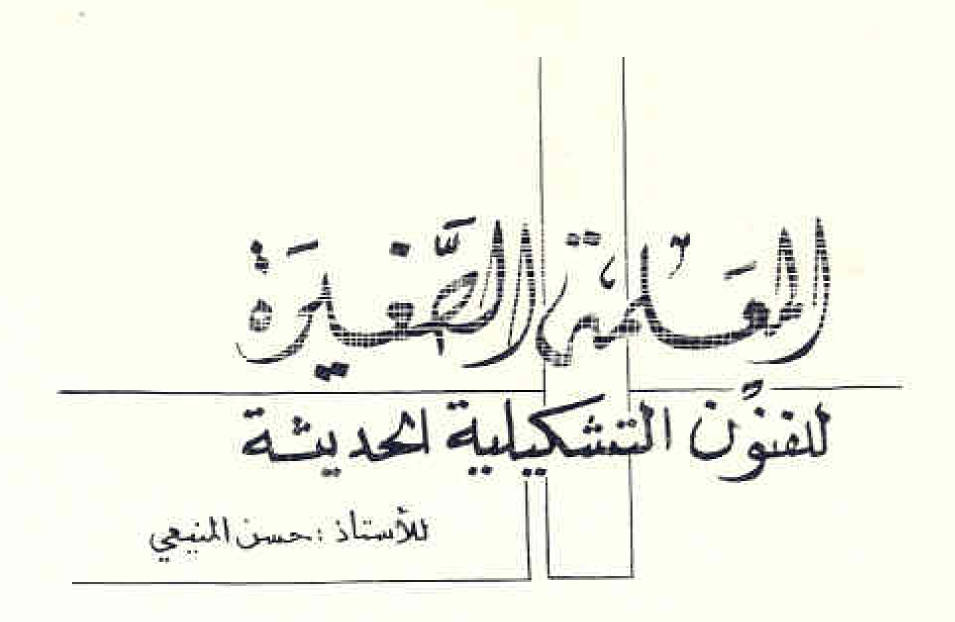
وليس من الضروري ان نكون شعراء ، لكي نصحب شعراءنا المفضلين ، كما قد يتبادر الى الذهن، وكما قد يفهم من معاني المصاحبة المتقدمة ، والا كنا نشترط في كل مجموعة من الاصدقاء والصحابة ان يكونوا ذوي مشرب واحد ، واتجاه واحد ، في نشاطهم الانساني ، وهذا لا يقول به عاقل . فانت تجد الحداد يرافق النجار ، والاستاذ يرافق المحامي ، وموظف الادارة يرافق الطبيب ، بنفس الطريقة التي يرافق بها الموسيقار الرسام ، والنحات الاديب ، والراقص المصور ، فالعبرة انما هي بالتقارب والتجانس في مستويات الفكر ومطارح العاطفة والخيال . ولو كان كل فنان او صاحب كلمة ، لا يصاحب الا المنتمين الى نفس نشاطه الروحي ، سواء في واقع الحياة او واقع الفن ، لكان في ذلك ضرر كبير بالفن الذي يلتقي فيه الطرفان ، ذلك ان من عوامل النهضة الفنية ان يكون هناك كثير من التنوع في الاطراف الملتقية على ارضية الفنون والآداب ، حتى يستمد بعضها من بعض ، وياخذ ما هو في حاجة اليه ، لتطويره والنهوض به الى الاوج الرفيع ، وهكذا نجد الشاعر يستفيد من الناقد، والموسيقار ياخذ عن الرسام ، والمصور ياخذ عن الراقص ، فيحدث التكامل بين مجموع هذه العناصر ، التي يكمل بعضها بعضا ويمده بدم جديد .

واذا كنا قد رددنا القراء لشعرائهم المفضلين ، الى التجانس والتقارب غالبا ، ونفينا ان يكون المراد بذلك الاشتراك في القدرة على نظم الشعر ، فنحن بطبيعة الحال ، لا نعني التجاوب والتجانس الكاملين ، بمعنى ان تزول كل اوجه الخلاف بين الطرفين ، حتى ليكون احدهما نسخة طبق الاصل من الاخر ، فلا خير في الصحبة التي من هذا النوع ، لافتقارها الى العناصر السالبة ، والعناصر الموجبة ، والى عنصر الاثارة والاستفزاز والتحدي ، لابد ان يكون لهذه الصحبة جانبها الايجابي المثمر المتوقف على شيء من خلاف ، وقدر من صراع ، لا ينافي التجاوب الحاصل . فعندي الاصراع بدون تجاوب ، اي بدون ان يكون لكل من الطرفين اثر في الاخر ، قد يكون هذا الاثر حسنا وقد يكون سيئا ، ولكن ليس من شانه ان يسيء الى الصداقة والعشرة ، ما دام الطرفان يلتقيان على محبة نوع من المثل ، ويومنان برسالة الشعر في تحقيق تلك المثل او الاقتراب منها على اقل تقدير .

نعم ، لا خير في صلة تربطني بشاعر ، اذا كان كل ما عنده مطابقا لكل ما عندي ، فحينئذ لا يكون في مقدوري ان استدرك عليه شيئا ولا ان احاجه في شيء ولا ان اخالفه احيانا وازور عنه لاعود اليه بقلب متشوق واذن فهي صحبة عقيمة سلبية الى ابعد الحدود ، وخير لي وله ان يمضي كل لنا لطيته ، ليبحث عن صديق آخر ، تكون صداقته خيرا وبركة على الفن الشعري ، وعلى الشاعر والمتلقي عنه على السواء ، والطبيعة قد كفتنا مؤونة هذا ، اذ انها لم تكون الناس متحدين في جميع الطبائع والميول ، وانما جعلت الاناسي مختلفين – رغم ما قد يكون من تشابه – احبوا ذلك او كرهوه .

وفي الوقت الذي نشترط فيه في الصحبة الفنية تلك ، ان تكون مبطنة بشيء من خلاف ، ينبغي الا تتسع شقة الخلاف ، فتتحول الصحبة الى منافرة ومغاضبة، قد تؤديان الى قطيعة لا عودة بعدها الى ايام العشرة الحلوة الرضية . الصديق الذي يماثلك في كل شيء ، قد تكون صحبته مدعاة الى الملل والنفور ، والصديق الذي يخالفك في كل شيء ، تكون صحبته مجلبة للخصام الذي يستدعي القطيعة . وخير من الاثنين ، الصديق الذي يثيرك ولا ينفرك ، ويخالفك ولا يناقضك، ويبتعد عنك ليقترب منك ، سواء في واقع الحياة او في واقع الفن . وتشبه العلاقة بين الطرفين ان تكون كالعلاقة التي بين الرجل وبين من يهوى من النساء ، فهي اذا شاءت الاحتفاظ بهواه ، لا بد ان تعاكسه احيانا قليلة ، معاكسة كيسة ، فيها حذق وذكاء ، ليكون دائما هائما بها مفتونا بروعتها ، اما اذا كانت له كالخاتم في اصبعه ، طيعة ذلولا ، حتى لكأنها رغباته واهواؤه ، قيل لها كوني انسانة فكانت ، فهو والحالة هذه ، قد يحتفظ زمنا ، ولكن الشيء الذي اشك فيه ، هو ان يكون حبه اياها ، من ذلك النوع الذي يتجدد بين آونة واخرى .

فاس : عبد العلي الوزاني



اصبحت الفنون التشكيلية ، منذ بداية القرن العشرين ، تحقق انقلابا هاما في الاشكال والقوالب ، وذلك بعد اطلاع الفنانين على تجارب اساتذتهم امثال : « سيزان » و « فان كوغ » بحيث مكنهم هذا الاطلاع من مسايرة القاعدة الاولى الموروثة عن النهضة ، والمعجزة الاغريقية ، ومراعاة رسالة الفن التي تنطوي على التعبير الصادق لمظاهر الطبيعة ومحتوياتها كما يؤكد ذلك الفنان « ليونارد » عندما يقول « بأن احسن طريقة للرسم : هي التي تبتعد عن التقليد العميق وجعل اللوحة اقرب الى الشيء الطبيعي المعبر عنه » او كما يرى « انجريس » في حديثه عن الفن الذي لا يصل في رايه « الى الدرجة القصوى من الكمال الا عند ما يشبه الطبيعة بقوة الى ان ندرك فيه الطبيعة نفسها»

وهكذا فقد احس سائر الفنانين طيلة قرون عديدة انه لا وجود للجمال الا في الاخلاص للشيء الحقيقي والانسجام معه ولو بطريقة لا واعية . فكان هذا الاحساس قاعدة اساسية للفن الغربي ، اصبحت سائدة منذ السبعينيات الاخيرة خصوصا في الوقت الذي اخذ فيه الرسامون ينسلخون عن الطبيعة وذلك منذ سنة 1910 .. اما عملية انسلاخهم هذه فقد ساعد على تحقيقها اثر فنون الشرق الاوسط ، وكذا الفنون الزنجية ، واكتشاف الصورة الشمسية . ثم ما لبثت ان غيرت مجراها وظهرت في صورة ازمة تحدث عنها « دو لاكروا » في مذكراته التي جمل فيها فناني القرن العشرين امام تساؤلات عديدة ، من بينها محاولتهم الحصول على طريقة لتجاوز التشابه بالطبيعة وتقليدها وجعل حد لمشاكل العصر .

وفي غمرة تلك المحاولة الرامية الى تخطي الطبيعة وابتكار خلفيات جديدة انقسم الرسامون الى فئات وطوائف طبقا لما وصلوا اليه من استنتاجات وحلول في عملية البحث ، وان كان بعضهم قد ارتأى ان يتقلب في جل المدارس ويعانق كل الاتجاهات دون ان يحصر نفسه في طائفة معينة . وبذلك اصبحت لدينا تيارات فنية عديدة نذكرها كما يلي :

اولا — **الواقعيون :** (او الذين يعبرون عن الطبيعة باخلاص) .

كان عصر هؤلاء يدعوهم الى التساؤل عن الوسيلة الكفيلة لابراز الطبيعة شاملة واضحة المعالم. وكان معظمهم قد استجاب لهذا الاتجاه رغم طغيان المدارس الحديثة الناشئة : واقتنع بأن القضايا الاستتيكية لم تتغير منذ « فوكي » و « كوربي » و « كورو » . لذلك توصلوا الى قاعدة مفادها « ان البحث الرصين في اصالة الفن لم يثبت شيئا غير

كتبت هذا المقال بالاعتماد على المراجع الآتية :

— **مجلة حقائق** « Réalités »

Panorama des arts plastiques

الرتيبة والملل . وان السر الازلي للرسم لا يكمن الا في ثنايا القيم الانسانية التي تورثها التقاليد » .. وعليه فقد كان عملهم يرمي الى معانقة الطبيعة بابراز عناصرها كما هي : الشيء الذي جعلهم يرددون مصطلحات كانت متداولة فيما بينهم منها : « الميراث الواقعي » ، « والعقلية الكلاسيكية » ، « والمهنة القوية » .

ويمثل هذا الاتجاه : أندري دنويي وبرايير ، وبرودسكي وروجيه شابلان وغيرهم .

ثانيا — **الساذجون :** كان اصحاب هذه المدرسة يحتفظون باسرار الطفولة ويستلهمون مواضيعهم من الاصل ، اي من البيئة التي تحتضنهم بطقوسها الشعبية . وتحفزهم الى تقديم رؤى بسيطة خارقة للكون . اما اقتحامهم لميدان الرسم فقد كان عن طريق تنكرهم للقواعد المضبوطة والحركات والقوانين الجارية في عالم الفن . اذ كان عملهم نتيجة انطلاقة سحرية تقوم على الخلق والابتكار استجابة لرغبة غامضة ، استبدت بهم ذات يوم ، فكان من اللازم التعبير عنها وسط عالم فاتن بالنسبة لرؤياهم ، اثبتوا محاسنه باخلاص دقيق مما جعل الشجرة عندهم عبارة عن قصيدة شعرية كل ورقة منها تقوم مقام بيت القصيدة وتحتاج الى شرح كامل .

ويمثل هذا الاتجاه : هنري روسو ، وموريس أوتريو ، وكاميي بوربوا ، ورفائيل مورينو .

ثالثا — **الذين ينظرون الى الطبيعة بغرابة**

ينقسم هؤلاء الى اربعة مدارس :

1 — **الدادية :** وقد كانت هذه المدرسة حصيلة الفواجع التي اجتاحت الانسانية في بداية هذا القرن من ذلك فوران الحروب وما حملته من خراب وتدمير : اذ ما ان احس اتباع المذهب بخطورة ما وصلت اليه الانسانية من اوضاع سيئة ، حتى تكونت لديهم ازمة ضميرية ، وانساقوا وراء شعارات خاصة تنعكس في اتجاههم العبثي Adsnede وتعريتهم للكون ، واتخاذ مواقف معادية للبورجوازية . اما الفن في اشكاله التقليدية للطبيعة فقد كان في رأيهم مجرد « ترويير مثالي » (1) والنتاج مجتمع يدعي « الرزانة والتعقل » بيد انه لم يتمكن من انقاذ الانسانية مما تسلط عليها من ويال وما يرهقها من فواجع .

وامام هذا الموقف الاجرامي رفض الداديون الاعتقاد في الحياة الواقعية واستسلموا للعبثية وعشوائية « باكونين » (2) الذي كان يرى « التخريب نوعا من الابتكار الفني » (3) . كما ان لوحاتهم كانت تتضمن « آلية » ترمز الى معول التخريب والهدم ، في حين كانت الطبيعة تبدو عندهم في اطار خاص يناقض الطبيعة باشكاله اللامعقولية .

وفيما يخص رواد هذه المدرسة فقد كان هؤلاء منقسمين الى فريقين :

— **فريق زوريخ :** ويضم جان آرب ومارسيل جانكو ، وهانس ريشتر ، وصوفي طوبير ...

— **وفريق نيويورك :** ومنه مارسيل دوشان وفرانسيس بيكابيا وماتري ، وماكس ارنست ، وكورت شفيتر ...

2 — **السريالية :** تعتبر هذه المدرسة وارثة لمدرسة الدادية حيث كانت تقدم على اقتفاء كل ما هو جميل أو عجائبي في المجتمع الحديث وقد صرح احد اعلامها ، وهو «برتون» ، في البيان الاول الذي وضع سنة 1924 « ان كل ما هو عجيب جميل ، مهما كان هذا الشيء العجيب .. اذ لا جميل الا فيما هو عجيب »

---

1) Une mystification idéaliste

2) **باكونين** : Michel Bakounine متمرد روسي من مواليد 1814 . (توفي سنة 1876) — كان قد قصد باريس واتصل هنالك بالاديبة « جورج صاند » وبالمفكر « برودون » ثم طرد من فرنسا بطلب من الحكومة الروسية فقام بعد ذلك بحملة سياسية ترمي الى احداث هزات ديمقراطية الشيء الذي جعله يحكم عليه بالاعدام مرات عديدة — ونقل الى سيبيريا ، فهرب من منفاه قاصدا « سويسرا » حيث كون هناك « جمعية الاخوان الدوليين » La secte des frères internationaux ورابطة الديمقراطية الاشتراكية — كان في سويسرا يحاول الاتصال بالشغالين ليبث أفكاره فيما بينهم مما جلب له عداوة « كارل ماركس » — اما جمعيته الدولية فقد كانت تبشر بالالحاد الديني ومحو الطبقات ومساواة الجنسين وتقاسم الاملاك واللامبالاة بالحكومات والسلطات — حاول ايضا القيام بانقلاب شيوعي في مدينة ليون » .

3) وهو القائل بأن « التخريب نوع من الابتكار »

ولتوضيح هذا الاتجاه ، وابراز انطباق اللامعقول فيها هو تافه ، فقد عمد رواد هذه المدرسة الى ضبط الطبيعة في لوحاتهم بصورة دقيقة مما جعلهم احيانا « اتباعيين » في مناهجهم وذلك في محاولتهم تحقيق تداخل بسيط او قوي مع الاشياء المنقولة بفرشاتهم .

وينتمي الى هذه النزعة جورجيو دي شريكو ، ومارك شغال ، وبول كلي ، وجون ميرو ، وسلفادور دالي ، واندريه ماسون ، وروبرتو ماتا ، وماكس ارنست واسكار دميتيس وغيرهم ....

3 — **البوب آرت :** (Pop' arts) اصبح هذا الفن سائدا في امريكا وانجلترا منذ سنين قليلة ، وكان قد نتج بصورة مباشرة عن التجربة الدادية . اذ بينما كان « شفيتور ، ودوشان ، وبيكابيا » ينتجون لوحاتهم ، منذ ما يقرب من نصف قرن ، بعناصر مأخوذة من الحياة الواقعية : كالصحف العتيقة ، والتذاكر المستعملة ، وعقائب السجاير والثياب الممزقة ، ويستلهمون طريقة « الكولاج » المستعملة من طرف التكعيبيين ، اصبح هؤلاء اساتذة هذا الاتجاه الشعبي الذي كان عشاقه يضعون تصميماتهم بوسائل مألوفة كصناديق الجعة ، وباب البوفيه المزوق بصور الممثلين والمهرجين . أما أساليبهم التعبيرية فقد كانت تختلف عما هي عليه عند الداديين ، اذ كانوا يقومون بعملية اقتلاع للاشياء الحقيقية من جذورها المتأصلة ، وتلوينها بطابع شعري ثم صبغها بمعنى ثاني يجعلنا اكثر اقترابا منها في وضعها الاول ، كأنهم يريدون بذلك تبرير وجود تلك الاشياء في الحياة العادية ، بينما كان الداديون يأخذون نفس الاشياء والعناصر ويستعملونها للتعبير عن سخطهم وكراهيتهم للحضارة القائمة على الاستهلاك.

ومن رواد هذه المدرسة : كورت شفيتور — دوشان ، بيكابيا ، باسبير جونس ، كلوس اولدنبوغ ، الكسندر اطيرو ، جيمس رورنكيتا ، طوم فسليمان وغيرهم ...

رابعا : **الذين يشوهون الطبيعة :**

تعتقد طائفة هامة من الفنانين المعاصرين انها لم تبتعد كليا عن الواقع فان فعلت ذلك فانما تفعله في الالوان والاشكال كما حدث للرسامين من ذوي الاتجاه التعبيري في هذا العصر ، الذين غيروا معالم الواقع حسب اغراضهم التعبيرية الخاصة دون ان يأخذوا اي اعتبار لمتطلبات المنطق الفني القديم، كما كان الشأن عند رسامي القرن التاسع عشر ، هذا وبينما كان الانطباعيون والمدققون (4) يجهدون انفسهم في تبرير الاختيار المقصود لالوانهم بطريقة علمية ، وتوضيح الاسباب التي جعلتهم يرسمون الشجرة باللون الازرق الداكن بعد ارتكازهم على نظريات وقواعد فيزيقية ، كان الوحشيون والتكعيبيون قد تحرروا من كل ضغط واقعي ورسموا الابقار باللون الاخضر ، والسماء باللون الاصفر . في حين كان الوجه الامامي لنماذجهم البشرية متداخلا في الوجه الجانبي (البروفيل) .

1 — **الوحشية :** نشأ هذا المذهب في غضون سنة 1897 وذلك عندما وقف « دوماتيس » ضد « تعسف الانقسامية » في الفن .. وفي المذهب تأثيرات وايقاعات عديدة لاعلام الرسم امثال « فان كوغ وجوجان وجوستاف مورد » . اما هدفه الرئيسي فقد كان يقوم على ابراز اللون بدون خجل او ظلال وتوهيمات ، اذ تسطع في لوحات الفنان الوان خالصة صريحة ، تعرض بانشراح لتعبر عن احساس واضعها، وتجسد المهارة في عملية الخلق التي تتخذ ابعادا مخالفة للطبيعة التي لا يمكن الابداع في تقليدها كما يقول « ماتيس » ...

كانت واقعية الوحشية تنم في الغالب عن بهجة الحياة وصفاء ذاتية المنتمين اليها كما تيس ، وروول دوفي ، ودران ، وموجان ، وجورج براك . اما في المانيا وشمال اوروبا فقد كان المذهب يستعمل نفس الالوان المستعملة في فرنسا الا انه كان مطبوعا بالقلق والخلل الرومانطيقي والعزلة والخوف أمام طبيعة جامدة ، معادية ، لا انسانية .

---

4) المدققون : Les Pointillistes هم الرسامون الذين ينتمون الى مدرسة « Pointillisme » . وهي عبارة عن رسم يقوم على تقديم الالوان الخالصة بحيث تبدو الظاهرة التعبيرية الاساسية من خلال تلاحق الالوان وتزاحمها في اطار منسق . تولد هذا الاتجاه عن آراء « دولكروا » في الطبيعة الملونة بالظلال . ويطلق على هذا المذهب ايضا تسمية : الانطباعية الجديدة « Le Néo-Impressionnisme »

2 — **التكعيبية : لعبت** هذه المدرسة دورا هاما في عالم الفن وتركت أثرا بعيد المدى في مجموعة من الفنانين أمثال « دولوني » وليجي وموردريان ، ودوشان اما كيف طرح روادها قضية الواقع أو الحقيقة ، فذلك راجع الى امتداد أصول هذا المذهب في الفنون الزنجية وفي تلميحات « سيخزان » ؛ بيد ان « براك ، وبيكاسو » كانا منذ أبحاثهما الاولى ، في سنة 1907 ، يريان أن الصور المرئية لا يجب أن تنتقل الى اللوحة حسب النظام الطبيعي . بل عليها أن تكون منكسرة مطابقة لاحساس الفنان وعواطفه اثناء المشاهدة : لذا تبدو كل العناصر متداخلة بعضها في بعض مما يجعل الانتاج التكعيبي متشعب الرؤى ، مخللا لعناصر الطبيعة التي تكدست في عقل الفنان وكونت شحنة هائلة ؛ كأن يختلط منظر السماء بالمدينة والطاوولة وواجهة الدكاكين والقارورات وغير ذلك ...

وما أن تتشعب هذه الاحاسيس التي تبدو منظمة على صفحة اللوحة ، حتى تغدو بالنسبة للفنان شاهدا حيا للواقع الذي اراد التعبير عنه ، والظروف التي سعى الى عرضها والتعايش معها في نطاق تحليلي ذاتي للواقع الذي يتضح جزئيا وسط الخليط التعبيري الصوري (*) .

يمثل الاتجاه كل من بيكاسو وبراك ؛ وفرنائد لجي ، ومارك شاغال ودوشان ؛ وبيكابيا ؛ والمهندس المعماري لوكوربيزيي « Le Corbusier »

3 — **المستقبلية الايطالية :** سبق لهذه المدرسة أن عبرت عن اتجاهها في البيان الذي نشرته سنة 1909 ، وفي المعرض الاول الذي اقامته سنة 1911 ، اذ كانت مدينة للتكعيبية وللاثر القوي الذي تركته في أعلامها « كبوشيوني ولويجي روسلو ، وسفريني » حيث كان هؤلاء يقدسون الاتجاه التكعيبي ويجعلون من انتاجهم عبارة عن انشودة لتفوق الالية والتقنية وكل القيم الحديثة ، كما كانوا يتوخون الوصول الى واقعية سيكلوجية ، بتحقيق انسجام كلي مع الواقعية المرئية ، والواقعية الباطنية المتسترة .

4 — **التعبيرية :** تولد هذا الاتجاه عن حالة الظلم والفساد الاجتماعي ، ومرارة الحروب : اذ كان الفنان امام هذا الوضع اليائس ، يأخذ مادته من الواقع ثم يغيرها ويصبغ عليها صورة شخصية تعبر عن سخطه واحتجاجه او مواساته للمخلوقات المظلومة ، والا عبر عن قلق فرادني كما هو الامر عند « جيا كميتي » و « سوتين » او ابرز نوعا من السخرية اللاذعة والحنان الفائض والعواطف الجياشة .

من رواد هذه المدرسة : بيكاسو — سوتين — مودغلياني ، برنارد بوفيه جيا كميتي وغيرهم .

5 — **الاحواليون :** بينما كان الفن محط انقلابات عديدة في التجديد ، كانت شرذمة من الرسامين تحاول الاستقرار في مكانها بتبني الاكتشافات السابقة (التكعيبية والوحشية ، والتجريدية) في بساطة وحذر وبالارتكاز على أقلها عقيدة . وهكذا عمل هذا الاتجاه على بروز رسامين من امثال هنري دوفاركيه ، وبالتوس ، واندري مارشان ، وجان كارزو ، وماسيمو كامبغلي .

6 — **المدرسة التعبيرية الجديدة :** كانت تتردد بين الواقع والتجريد. وكان يعرف روادها في المقارنة التي قام بها « بول كلي » فيما بين الفنان وجذع الشجرة حيث كان كل منهما يمتص اكلته من الحياة ومن الواقع بأن يحمل الاول ما توصل به الى لوحته والثاني الى أوراقه .. وهذا النوع من العمل يفسر موقف الفنان المحايد بالنسبة للواقع . على أن اتباع هذه المدرسة ذهبوا بعيدا بهذا الموقف الحيادي الى أن ركزوه في حدود التجريد المطلق . ومن هنا كان انتاجهم يبدو تجريديا اثناء الوقوف عليه والتطلع اليه لاول وهلة ، بيد أن الناظر المتفحص لا يتأخر في استكشاف الوان الطبيعة واشكالها التي تترجم احساس الفنان المرتبط بتلك الطبيعة .

من اعلام هذه المدرسة : روجيه بيسيير ، جان بزين — الفريد مانسييه — مارك توبي — شارل لبيك وغيرهم .

خامسا : **التجريدية :** أو الذين يرفضون الواقع :

كان هذا الاتجاه وليد صدفة غريبة ؛ أفادت الرسام في أن الموضوع والحكاية لا داعي لهما في عالم الرسم اذ يكفي أن تثير اللوحة اعجاب الغير بأشكالها والوانها وما تتضمنه من تعبير كما حصل للفنان « كندنسكي » الذي كان محط تلك الصدفة القائمة على تجربة رخيصة مكنته من تغيير نظرة في الرسم وبروزه

(*) من المعروف أن الرسام التكعيبي يعرض في الوقت نفسه الوجه الجانبي (البروفيل) والوجه الامامي للشيء وقد تداخل كل منهما في الاخر .

كرائد اول للاتجاه التجريدي .. هذا وفيما يتعلق بتلك التجربة التي عاشها « كندنسكي » نرى أن هذا الفنان نفسه يروي قصتها في : « نظرة الى الماضي » (5) حيث يقول : « ... كنت قد سحرت في مدينة ميونيخ بمشهد غير منتظر .. بل امسيت محط اندهاش في مقر عملي . كان ذلك قرب غروب الشمس عند ما كنت عائدا الى بيتي محملا بصندوق الالوان غائصا في احلامي وفي ذكرى العمل المنجز . وفجاة ابصرت على الحائط لوحة ذات جمال فريد تتالق بشعاع داخلي . فمكث حائرا ، ثم اقتربت من اللوحة المرسومة التي لم اكن ارى فيها اشكالا بعيدة عند ادراكي او شحنة غريبة لدى .. وفي سرعة تمكنت من الوقوف على مفتاح الصورة المرسومة : كانت اللوحة من وضعي ، وكانت قد علقت على الحائط بكيفية مقلوبة . وفي الغد حاولت في وضوح النهار استكشاف انطباعات البارحة لكني ما ادركت الا نصف التوفيق اذ كنت ارى المادة دوما رغم اللوحة المعكوسة ...

حينذاك فهمت بوضوح أن المواد تضر برسومي، بل احسست وكأن هوة سحيقة تنفتح تحتقدمي بينما تتجمع لدي في الوقت نفسه وفرة من الامكانيات والتساؤلات العديدة المليئة بالمسؤولية كان من اهمها ما ياتي : اي شيء يمكن أن يعوض المادة ؟ ..

ثم انتصبت أمامي خطورة رسم «زخرفي» وكانت الظاهرة اللاتعبيرية لوجود اشكال منمقة لا تستطيع سوى تخويفي .. وبعد سنوات من العمل الدقيق وجهد متواصل من التفكير ، ومحاولات عديدة رصينة قائمة على ابراز فاعلية الاشكال الخالصة ومعايشتها في تجريديتها والانغماس اكثر فأكثر في تلك الاعماق اللامحدودة ادركت اساليب الرسم التي اسير عليها اليوم والتي آمل واريد انها سوف تتزايد في نموها .. هذا وقد استغرق ذلك زمنا طويلا الى ان وفقت الى اجابة صائبة للسؤال : بماذا تعوض المادة ؟

واخيرا سمعت أن فنانا لامعا لا اذكر اسمه صرح بأنه اذا اردنا ان نرسم ، فانه يلزمنا ان نلقي نظرةكاملة على اللوحة ونصفها على خشبة الالوان والنموذج . وكان هذا حكما جميلا ، على اني اكتشفت توا انه لا يؤثر في نفسي الا في خط معاكس حيث ان عشر نظرات الى اللوحة ، وواحدة الى خشبة الالوان ونصفها الى الطبيعة هو الذي لقنني طريقة مقاومة اللوحة وكيفية اعتبارها ككائن متطلع لرغائبي واحلامي التي كان لابد من اخضاعها بالقوة الى تلك الميولات .. كذلك اتضح عندي بتزايد « تباين » ميدان الفن وميدان الطبيعة الى ان تمكنت من اعتبار كل منهما بذاته كميدانين متفارقين على الاطلاق .. »

وهكذا نستفيد من هذا التصريح ان للفن ميدانا حقيقيا ينفرد عن ميدان الطبيعة ويخضع لقوانين ثابتة كما ندرك تولد الاتجاه التجريدي الذي أحس به من قبل سائر الفنانين دون أن يستطيعوا التعبير عنه حتى اذا ظهر رسميا كان محط بحوث ودراسات عديدة جعلته ينقسم الى نزعتين :

— التجريد اللاشكلي

— والتجريد الهندسي

1 — **التجريد اللا شكلي :** ظهرت هذه النزعة منذ سنة 1945 . وكان اصحابها يرفضون كل ضغط خارجي كما كانوا يباشرون عملهم بحرية كاملة كما يفعل الموسيقي اثناء ابتكار الحانه .. اما طريقة عملهم فقد كانت تقوم على بعثرة البقع والخطوط بالوان صارخة لطيفة تعبر عن العزف والهدوء وتعكس طباع الفنان التي كانت تختلف حسب الظروف مما جعل النقاد يحصرون اصحاب هذا الاتجاه في مراتب منها :

— **اصحاب العنف :** وهم يشبهون التعبيريين في ارتكازهم على العواطف الهستيرية ومنهم جميس بروك وسام فرنسيس ...

— **اصحاب التنميق :** وهؤلاء يبحثون في توازن الاشكال عن انعكاسه لوداعتهم الانسانية ومن بينهمجان اتلان ، وأنا ايفا برغمان ، وبرسبيه ..

— **الفنائيون :** وهم اكثر التصاقا بالطبيعة في حركاتهم والوانهم وان تأثر بعضهم بالمذهب السريالي . وقد اشتهر منهم هانس هارتونغ ، وبولوك ، وجورج ماتيو ، وكندنسكي ، وسونيا ، وبيكابيا وغيرهم .

2 — **التجريد الهندسي :**

اذا كانت الهندسة هي الوسيلة المطلقة لمحو اية علاقة مع الطبيعة فقد كانت بالنسبة للرسامين « البنائين » طريقة للتخلص من القلق ، ونبذ الغموض، ودحر الخوف وذلكباشكالهم المتينة وخطوطهم الهندسية

(5 « Regard sur le passé » - Wassily Kindinsky - Munich, 1963.

الثابتة التي كانت تعطي دليلا على وجود الانسان وسيطرته على الفراغ والموت او العدم .

هذا وقد كان الرسم الهندسي يستعمل فى ترويق البنايات وزخرفتها كما انه لعب دورا هاما فى ميدان الهندسة المعمارية .. ومن رواد هذا الاتجاه : ويلي باتميستي ، وماكس بيل ، واوطو غرند وفيكتور دمارلي وغيرهم ..

وبعد فهذه اشارة عابرة الى مدارس الفنون التشكيلية الحديثة وما تنطوي عليه من ارهاصات فلسفية وابعاد استتيكية . وقد قصدت من ورائها التعريف بهذا الفن الذي اصبح مشاعا عندنا بكثرة ، وتسهيل السبيل أمام المتذوق والمتعلم لادراك رموزه .

الا ان هذه الدراسة بعيدة أن تكون جامعة مانعة نظرا لتعدد المدارس وصعوبة حصرها فى مقال واحد . وعليه أشير الى انه توجد مدارس اخرى شاذة كالمدرسة الميتافزيقية Pein ure métaphysique والمدرسة الاليكترونية P. électronique والتحطيمية (6) « Le destructivisme » والفورتيسية (7) « Le Vorticisme » التي اخذت انطلاقتها الاولى فى انكلترا على يد « وندام لويس » وغيرها من المدارس التي تسعى جادة الى التعبير عن الانسان فى مراحل تطوره وفى صراعه الدائم مع المادة ومع اشباهه من الاحياء ، وفى مواجهته للظروف الحياتية .

مكناس : حسن المنيعي

---

6) **التحطيمية :** « Le destructivisme » كنت قد ترجمت لجريدة « العلم » فى عددها الصادر يوم 12 فبراير 1967 مقالا يعرض اتجاهات هذه المدرسة الحديثة التي تقوم على الفوضوية وتحطيم عالمنا حتى لا يكون الفنانون من ضحاياه .. وهذه المدرسة تستغل كل المواد التركية استتيكيتها فى هذا العالم المنهار ، وربما تعتبر مكملة لمدرسة « البوب آرتين » .

7) **الفورتيسية** « Le Vorticisme » اخذت التسمية من كلمة « Voetex » وهي اقصى درجة فى عالم الطاقة كما انها ابعد ما يمكن ان تصل اليه الفعالية فى علم الميكانيك وفى عالم الرسم ندرك ان كل شعور او حكم فرداني يبدو للوعي الانساني نشيطا فى صورته الاولى .



المفاوضات أعقد من أن يتولاها الرؤساء

ريجينالد باجيت

نقل وتعليق : أحمد عبد السلام البقالي

ما أحوجنا في هذا العصر الذي كثرت فيه مؤتمرات القمة الى نصيحة سياسي عجوز مجرب مثل « ريجينالد باجيت »

المشاكل التي يتخبط فيها العالم العربي اليوم لم تعد تستطيع الانتظار وليس ثمة كاف من الوقت ليتعلم ملوكنا ورؤساؤنا بالتجربة والخطا ، كما كان الامر في القصور والبلاطات القديمة حيث كان الزمن نهرا بطيئا أو آسنا لا يتحرك . الاحداث تتعاقب بسرعة مدهشة في هذا العصر . وكل دولة تستفيد من تجارب جيرانها في جميع مجالات الحياة . واذا كان العالم العربي يمر اليوم بما مرت به الدول الاوروبية قبل قرنين ، واعني بذلك التطور السايكولوجي ، فاننا ينبغي ان نعد انفسنا محظوظين لقدرتنا على دراسة اخطائهم وتجاربهم والاستفادة منها . يبلغ « ريجينالد باجيت » الثامنة والخمسين من العمر وهو مستشار ملكي ، وعضو برلمان عمالي عن « نورث هاميشون » منذ 1945 .

كتب للويكند تلغراف هذا المقال القصير بمناسبة زيارة رئيس الوزراء السوفياتي « كوسيجن » لبريطانيا وهذا ما كتب :

رؤساء الدول ينبغي الا يلتقوا ، اذ حين يجتمعون تؤثر اصطدامات شخصياتهم على المصالح العامة . وينبغي الا يتفاوضوا ابدا . اذ حين يحاولون تكون النتائج في الغالب كوارث !

في المدرسة تعلمنا انه بعد مفاوضات « حقل ثياب الذهب » دخلنا الحرب مع فرنسا في نفس السنة!

نابليون قابل القيصر على طوف بـ « تيلست » ، وملوك اسبانيا « ببسايون » والمفاوضتان معا اديا الى الحرب .

اجتماع هتلر بالمستشار النمساوي تبعها الاحتلال .

واجتماعاته بموسوليني ادت الى حلف قام على عدم الثقة والغيرة التي أودت بحياتهما معا .

رحلات تشرتشل أثناء الحرب كانت اكثر خصوبة ، الا ان اجتماع الدار البيضاء ادى بنا الى الاستسلام بلا قيد ولا شرط ، بينما ضمن مؤتمر « يالتا وطهران » استعباد شرق اوروبا .

زيارة ماكميلان لموسكو افزعت المانيا دون أن تطمئن روسيا .

وزيارته لدوكول « برامبويي » وكينيدي « بالبهامات » عكرت جو المفاوضات للدخول في السوق المشتركة .

وما نزال نعاني من زيارته لافريقيا ، فقد خلق عدم الثقة في كل مكان ذهب اليه .

ومن المؤتمرات الكبرى ، كان فرساي ــ حيث اجتمع كليمانصو ولويد جورج والرئيس الامبريكي ويلسون ــ اعظم كارثة !

والاسباب ليست بعيدة عن الفهم .. المفاوضات الدولية ينبغي ان تكون اجراءات مهيلة تمارس بعناية فائقة . ويتولاها ناس المفاوضات حرفتهم الاساسية . الاقتراحات لا ينبغي ان تلقى على عواهنها دون سابق دراسة . وحين تقدم ينبغي ان تدرس بتدقيق للقبول او الرفض او مرفقة باقتراح مقابل ..

حضور العظماء يعقد هذه الاجراءات الدقيقة ، لانه لا يوجد هناك من هو اعلى منهم للرجوع اليه . قيمتهم وغالبا حظهم الانتخابي يعتمد على النتائج التي يرغبون فيها ، وحين يقولون « لا » يصبح موقفهم مبدا قائما .. وحين يقولون « نعم » فان تعهداتهم غالبا ما تقبل بدون فحص كامل ، وحين يثبت البحث ان التعهد كان غير عملي ، تتبادل تهم عدم الثقة . واصيانة وجه الواحد ، عندما لاتتمشى الامور ، يلقى اللوم على الآخر .

واخطر من هذا كله ان المصالح المتضاربة غالبا ماتصبح سبب المواجهة العدائية .

وظيفة الديلوماسية هي ان تحقق لنا التعايش مع مشاكلنا التي لا تحل ؛ ولكن عندما تاخذ هذه المشاكل الى مؤتمر قمة ، فاننا نسلط عليها الاضواء ، ولا يمكن ان نتجاهلها بعد ذلك .

العظماء يتخذون مواقفهم ، ولتبريرها يبالغون في اختلافاتهم لدرجة يصعب عندها احتمالهم .

ولكل هذا ينبغي ان نضيف عاملا شخصيا ؛ عظماء هذا العصر غالبا ما يكونون « خارجي الانانية » « Extrovert Egoists » و « الخارجوا الانانية » قلما يتجابون طويلا .

نابليون قد يكون اعظم رجل ، ولكنه كان أشنع ديبلوماسي . فقد خلق عدم ثقة عالمي لدرجة انه لم يعرف امكانه التعامل مع احد .

الرئيس البريطاني ، ويلسون رجل عظيم ، له كثير من الروح الامبراطورية اليعقوبية ، نفس الاخلاص لنجمه ، نفس الطاقة والشجاعة ، نفس القدرة على قلب واستغلال كل زلة أو خطا يقترفه خصومه لصلحته ، ونفس السهولة على الايحاء بعدم الثقة !

كان هذا واضحا طول مدة رئاسته . عندما فاز بقيادة حزب العمال لم يحصل الا على صوت واحد من زملائه اعضاء هياة وزارة المعارضة ، وهذا لم يحدث لشكهم في مقدرته ..

وكمثل ، حكاية روديسيا كانت محاطة بالحذر . منذ 1923 تمتعت روديسيا بالاستقلال الداخلي . وسرعة تقدم الافارقة كانت شغل الحكومة الروديسية ، ولم تكن لبريطانيا الوسيلة او الرغبة في التدخل . ولم يحدث الاستقلال فرقا بالمرة ، ولكن باجتماع رؤساء حكومات الكمنويلث اصبحت الحبة قبة !

وبمحاولة السيد ويلسون تقوية عضده ادخل نفسه في شباك مؤتمر الكمنويلث واضطر الى اعطاء وعود بعقد مؤتمر آخر لا قدرة له على الوفاء بها ، ليس بالشكل الذي فهمها به اعضاء المؤتمر على اي حال .

وعند ما ضاق عليه الوقت دعا « سميث » الى اجتماع « التايجر » واضطر ان يعرض عليه شروطا اعتبرها الافارقة غير متفقة مع تعهداته لهم . هذه الشروط اعطت « سميث » عمليا السيادة المستقلة . ولو اعطيت السلطة لمستر « بودن » لعرض هذه الشروط على « سميث » لكان الامر سوي في « سالزبوري » .

وبما ان شخصية وقيمة ويلسون اقتضت ان تلبس الهزيمة حلة النصر ، فقد جرت قصة « التايجر » والانذار النهائي .. وقد سبب هذا عدم ثقة لدرجة ان بيض روديسيا ، لعجب ويلسون ، رفضوا اقتراحا اعطاهم في الحقيقة ، كل شيء !

وهكذا احيلت القضية على هياة الامم لفرض عقوبات يجب الا تغضب جنوب افريقيا ـ وما كانت لتؤثر على سميث اذا لم تفعل !

وقد ادى ويلسون ثمنا غاليا لعدم كسب ثقة البيض والسود على السواء . ولا يمكننا الا ان نؤمل انه تعلم درسه !

ريجنالد باجيت

ترجمة احمد عبد السلام البقالي

ديوان المجلة



للأستاذ العالم الشاعر نديم الجسر
مفتي الديار اللبنانية ...

اخشى على قلبي ، وانت حبيبه ، … ان يستشيط اذا ظللت تذيبه

مابي ، وحقك ، ان يكون منعما … سيان عندي ، برده ولهيبه

كلا ، ولا بي ان يقر قراره … هين علي سكونه ووجيبه

لكن اخاف قراره وإباقه … ان طال من هذا الجفاء نصيبه

ويلي اذا انتهت الحياة ولم اجد … قلبا منيبا فى الحساب أنيبه

فتن الحياة امرها تلك التي … تأتي على القلب الكبير تريبه

* * *

واحسرتا للعبد يظلم نفسه … ويظل يعلو ، بالثبور ، نعيبه

ويقول ربي شانني واهانني … ويخوض فى قدر السماء يعيبه

واذا اصاب الخير قال ، بجلهه ، … هذا على علم لدي اصيبه

يكبو ، ويطلب ان يقال عثاره … يجني ويرجو ان تقال ذنوبه

وينام عن سنن الحياة ويشتهي … ان المحال اذا دعاه يجيبه

* * *

ياسادة جمع « الكتاب » شتاتهم … ووقاهم من فرقة تهذيبه

بالله ، بالاسلام ، بالجرح الذي … مازال ينهر فى القلوب صبيبه

لا تتركوا احقادكم تطغى على … ايمانكم بالله فهي تشوبه

الخطب فى الاسلام فوق صغائر … تلهو بهن وقد اطل رهيبه

لم ننس « اندلسنا » وكيف اضاعها ... ذاك الشقاق وفي الفؤاد ندوبه

دول نكاد تكون في تاريخنا ... صورا لها يطوي البعيد قريبه

ما كانت « الحمراء » الا ومضة ... من عهد مجد قد اظل شحوبه

القصر لايبقى اذا لم يحمه ... شعب أبي ضرسته حروبه

اولى علامات الزوال لامة ... ترف يدب الى الشعوب دبيبه

* * *

استغفر الرحمن من يأس بدا ... مني على غرب الدموع غريبه

لم يجتمع ، في صدر عبد مؤمن ، ... يأس مع الايمان فهو يشوبه

ثلث البسيطة ملكنا ، وعديدنا ... ثلث الورى ، والدين نحن قطوبه

ولنا من البر الفسيح عوالم ... ولنا من البحر المحيط دروبه

ولنا من الامواه اعظم انهر ... ولنا من النفط العظيم قليبه

ولنا ، بحر الروم ، اطول ساحل ... هو حصة الاسد اشترته نيوبه

وعلى معابره الثلاثة تلتقي ... اشداقنا ، فتجيبه ، ونجوبه

وبشد وحدتنا كتاب واحد ... نلقى عليه الله وهو حسيبه

مهما تفرقنا فلا معدى لنا ... عن القمة يقضي بها تاديبه

هذا بمعركة البقاء سلاحنا ... لم يجتمع عند الشعوب ضريبه

ان مسنا قرح فما من معشر ... الا اتاه ، من القروح ، نصيبه

دول هي الدنيا يداولها الذي ... خلق الوجود وصرفته غيوبه

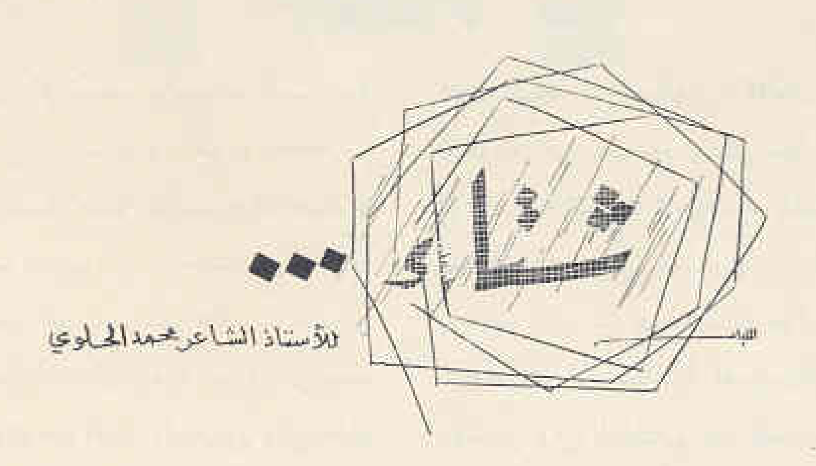
* * *

هي نكبة لكن اكاد ارى بها ... خيرا لشعب اترفته عيوبه

ما الخطب ، عندي ، ان يباغت نائم ... في غفلة ، بالمترفات ، تنوبه

الخطب ان يبقى الخمار ملازما ... شعبا توطأ بالنعال جنوبه

لبنان ــ نديم الجسر



الجو ادكن والطبيعة ترتدي ... ثوب الحداد كأنها لم تبسم
والسحب تذرف فى سخاء دمعها ... والريح تزار والربى فى مأتم
هذي الرياض فأين وشي زهورها ... وعبير رباها وجدولها الظمي ؟
اين الخمائل ؟ اين فرحة طيرها ... بطلائع الفجر الوضيء الملهم ؟
اين الفراش معربدا في نشوة ... يمتص فى نهم رحيق البرعم ؟
اين الاراجيج التي علقت بها ... ايدي الولائد والصبايا الحوم ؟
دنيا انطوت بجمالها وضيائها ... وطوت محاسنها يد لم ترحم
كانت رؤى عبرت وحلما امتعت ... اطيافه نفسي وان لم تحلم

* * *

غامت سمائي بعد صحو لم تغب ... عني بشاشته ولم تتجهم
وتناثرت أوراق روضي مثلما ... تهوي دموع من محاجر مغرم
خلعت يد الانواء عنه رواءه ... واتته نائحة بوبل مسجم
والطير كالتمتام اخرسها الاسى ... اصباحها مثل الظلام المعتم
ضاعت وهامت بعدما عصفت بها ... هوج الشتا وبعشها المتهدم
غطى الجليد عشيشها وتلفعت ... بمروطه في ذلة المسترحم
سكتت طيورك يا خمائل بعدما ... دوت مجلجلة رعود الموسم
مرحى بوجهك يا شتاء وان يكن ... جهم الملامح في قساوة مجرم

الخير يقطر في نداك سنابلا ذهبية ريا معطرة الفم

والبشر يكمن خلف وجهك عابسا واليمن خلف جمالك المتلثم

* * *

وعلى الرصيف رايتها انسانة تجتر شجو مصابها كالعلقم

مقرورة عصر الطوى امعاءها فتكومت في جنح ليل مظلم

لم يبق منها الجوع الا هيكلا اودى به البرد المجمد للدم

غطت وجيها شاحبا بملاءة مسحوقة من عهد جد آدم

وبكت فلم يسمع بكاها عابر يرنو اليها في ازدراء مؤلم

وتوسدت ارضا تبلل تربها وتأوهت في حالة المستسلم

ودنوت من اختي العجوز وفي يدي خبز وفي شفتي دعاء المسلم

قالت وفي نبراتها غصص الاسى مخنوقة بلسانها المتلعثم

من لي بمطفأة تدغدغ نارها مشلول اوصالي وتدفيء أعظمي

ودعتها ومدامعي مسجومة ويدي على قلب يذوب محطم

* * *

ابصرتها فذكرت نكبة اخوة غرقى عرايا تحت جنح مخيم

يتقلبون على الثرى في رعشة ويراقبون مصيرهم فى ميتم

ويناشدون ضمير عالمنا الذي ماتت مشاعره ولم يتالم

صور تطل مع الشتاء بوجهها فتثير احساسي وتنزف من دمي

ولطالما سنحت فأرق طيفها جفني وفجرت المرارة في فمي

فكرهت اغطيتي وعفت اسرتي ورايت مدفاتي كنار جهنم

ووددت لو ان السعادة حالفت كل العباد غنيهم والمعدم

لكنها قسم وليس بقادر احد على امنية لم تقسم

مرحى بوجهك يا شتاء وان يكن جم الماسي فهو جم المغنم

رو البطاح وصغ ثراها جنة خضراء يزخر فيضها بالانعم

واسق الروابي وانم ف تيجانها زهرا لشاعرك المحب الملهم

واهبط بموطني المفدى رحمة وسلامة وبشير خير مفعم

تطوان: محمد الحلوي



للدكتور عبد السلام الهراس

فى احد شوارع تطوان شاهدت مواطنا جائعا تخونه رجلاه فيتداعى على الارض ، وذلك قــرب بنايــة رائعــة ، ولم يسعفه من المارة الا رجلان وامراة .... فاليه والى اطفاله أهدي هذه القصيــدة :

رايتــه يجثــو والهمــوم تــؤوده   ويصفعــه ذل وينهشــه فقــر
وترفض رجــلاه التحرك ، اعظمــا   واحسن منهــا قــد تقياها القبــر
وفي عينــه حقــد يطير شــراره   يــؤرثــه ظلــم العشيرة والدهــر
ومن عجب ، حتى الدموع تخــونه   سوى دمعة حيرى يبددها الذعــر
ومــر بــه القوم الشبــاع كانهــم   بكلــب عقــور او باوبئــة مــروا
اشخصــا اراه ام بقايــا لخرقــة   يلاعبهــا ريــح ويمسكها ســر ؟

* * *

وقالت له الارض الرؤوم الى متــى   تعيــش واقواما ضميرهم صخــر
تداعوا على الفحشاء جهرا وخفيــة   ويطربهــم شــر ويؤذيهــم خيــر
وداسوك يا روح الفــؤاد ، فأثخنت   كرامتك الثكلى المهانــة والعســر
ومن مدمع الايتام صيغت حياتهــم   ومن كسرة الجياع كان لهم وفــر
ولولا نضــال البائسيــن وبذلهــم   لارواحهــم أنى يكــون لهم نصــر

* * *

ومــدت اليــه يــدا حانيــه   وادمــع احــزانهــا جــاريــة
وكــادت تمــزق اعمــاقهــا   لتحضــن فلــذتهــا الغــاليــة

دعته بشوق الى صدرها   لتلثم انفاسه الفانية
وقالت له والاسى ثائر   على شفتيها هلم ليه
فكم بائس قد سقاه الردى   وحطم عزته طاغيه
سرى في عروقي بشوق ، ومن   احن عليه كاعماقيه
ولكنني قد جذبت عداهم   الي بصاعقة قاضيه
فليست دماهم سوى ظلمتي   وليست دماكم سوى شعبيه

❊ ❊ ❊

وطفى شوقه
لعنان التراب

فرمى جسمه
فوق صدر التراب

ساكبا روحه
في حنايا التراب

والاسى والدموع
وظلام العذاب

لعنة للابد
فوق دنيا الذئاب

فاس — عبد السام الهراس

ابن زيدون

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للشاعر عبد الله بن الهاشمي الفيلالي

الفصل الرابع

(وفيه ثلاثة مشاهد)

المشهد الاول :

نفس المنظر : في بهو قصر « العميد ابن جهور »

ابن المكري : انا « مريمي » هويتك قبلا ... فارحمي مهجتي المليئة حبا
« ابن زيدون » قلبه الصخر ، لكن ... انا لا زلت من جمالك صبا
لم لا تجعلين حبي بديلا ... عن هواه .. أ فقد جفاك وصدا ..

ماري : انت مغرور ..

ابن المكري : انني فيك صب ... هدني لاعج الصبابة هدا

ماري : استمع انك الحبيب لقلبي ... غير اني في حيرة وعذاب
« ابن زيدون » سافر اليوم ، لكن ... بعد ان خط لي سطور كتاب
قال لي افحش الكلام ، وانكى ... من عتاب ، وغضبة وسباب

(ابن عبدوس يظهر)

ابن المكري : ابن عبدوس ..

ابن عبدوس : ما تقولان ..

ابن المكري : انا ... نتسلى باعظم المعجزات
ابن زيدون ..

ابن عبدوس : انه لحقود ... كفرت روحه بقدس الصلات

ماري : ابن زيدون كان قبل حبيبي ... كان قلبي ، ومهجتي ، وحياتي
ان « ولادة » رمت بهوانا ... حيث يفني ظلما مع المهملات

ابن عبدوس : ابن زيدون وحده من تجنى ... كيف « يا مريمي » استطاع سلوا
لا تقولي « ولادة » بل فقولي : ... ابن زيدون ، واجعليه عدوا

ابن المكري : اغفري ذنبه ..

ماري : فكيف واني ..؟ ... لست اعفو عنه ليعرف امري

ابن عبدوس : كيف « يا مريم » السماح لنذل

ماري : لك سمعا ...

ابن عبدوس : فانني جد غر

(ماري تخرج من جيبها ورقة ثم تلقي بها الى ابن المكري قائلة)

ان هذا كتابه (1) فتامل   كم ترى فيه من بذي السباب

(يقبضه)

ابن عبدوس : قله يا ابن المكري بصوت علي

ابن المكري : مثلما شئت يا وحيد الصحاب

(بعد ان يتم القراءة)

ابن عبدوس : ان قلبا يطلي عواطف شر   هو احرى بحرقة وعذاب

ابن المكري : يا ابن عبدوس لم اكن حقودا عليه   قبل هذا حتى قرات الخطابا

ابن عبدوس : انت يا بن المكري اتدري بانا   قد رمانا ، وشتت الارابا

منذ غدا كالوزير والشعب يعلي   منه حتى سما على الوزراء

ان قلب « العميد » اكبر راض   عنه .. اما رايي مع الآراء

فجميعا كرغوة الموج تبدو   ثم تفنى سريعة في الماء

ابن المكري : استمع ..

ابن عبدوس : ها انا ..

ابن المكري : تامل قليلا   انه خلك الوحيد الوافي

ماري : ان تسامى فمثلما انت سام   وتذكر كم عاش في استخفاف

ابن عبدوس : انا لست الحقود .. حاشا عليه   غير انى اشاء رفع مكاني

ماري : ابن عبدوس قد سمعنا كلاما

ابن عبدوس : خبريني ..

ماري : ماذا يريد الجاني

كيف يهوى «ولادة» وهو يدري   انك الصب .. دائما كل قلبك

ابن عبدوس : اسمعي

ماري : ها انا .. ولكن تمهل   انها من هواه القت بحبك

ابن عبدوس : اسمعيني .. فانني صرت وغدا   وبليدا منذ اصطفته حبيبا

ان شخصا يجني عليك لاحرى   ان يجازى ، ولو يكون قريبا

فكرا في العقاب

ابن المكري : مهلا ورويدا   ان امر العقاب شيء يسير

ابن عبدوس : كيف هذا العقاب ؟

ابن المكري : سهل لدينا   ان لكيد العداة وهو سفير

نحن نهواه ان يطيل .. فخطا   باسم ولادة اليه كتابا

انها ازمعت رحيلا اليه   فليقابل هناك منها ركابا

ثم سيرا الى « العميد » وقولا :   ابن زيدون شاء للشعب فتنة

شعب «بطليموس» اصطفاه معينا..   كيف يبقى ، ففي الاقامة محنة !

لم يقف كالسفير عند هداكم   بل غدا دائما من الكفر امرك

ماري : حيلة تعجز العقول ..

ابن عبدوس : رويدا   ان سحرا منه سيغلب سحرك

ابن المكري : كيف هذا ؟

ابن عبدوس : اسمع فانك تدري   يوم قام « القاسي » فينا يحاضر

قد سمعنا منه الجحود صراحا   كيف بعد الشهود فيه يكابر

حين يدري العميد هذا ، فسحقا   لابن زيدون ..

ابن المكري : رايك الان ماكر

1) في الفصل الاول نص هذا الكتاب .

ابن عبدوس : هو ذا الـراي
مـاري : اسمعـا ..
ابن عبدوس : اي راي لـك
مـاري : مهلا .. فان رايـي ظاهـر
هـو فعـل المكيدتيـن
ابن عبدوس : رضينـا
ابن المكري : هـو ذا الراي
ابن عبدوس : سوف يعلم
ابن المكري : طبعـا
مـاري : فوداعـا الى اللقـاء ..
ابن المكري : وداعـا ..
ابن عبدوس : احضري للتنفيذ في الغد ..
مـاري : سمعـا ..

(تخـرج)

ابن عبدوس : ضربة تقصم اللئيم ، ومكر ..
ابن المكري : خطة اتقنت
ابن عبدوس : قريبـا سيـدري
ابن المكري : ما اظن « العميـد » يقبـل منـا ما رسمنـاه من خديعـة مكـر
ابن عبدوس : لا تقـل هكـذا ...
ابو خالـد : (يدخل) السلام عليكم
هما معـا : وعليك السلام يا « ابـا خالـد »
ابن المكري : اي شـيء ..
ابن عبدوس : اجلس ..
ابو خالـد : فماذا ساحكي
ابن المكري : قل لنا ما رايتـه مـن مشاهـد
ابو خالـد : هل علمتم بحـادث اليـوم
ابن عبدوس : مـاذا ؟
ابو خالـد : قد ابـاد « العميد » حان الخمـور
قـد تناهـى اليـه ان شبابـا يشربون الخمـور رغم الظهـور
وارتأى ان يرى السكارى عيـانـا فاتـى والجنـود خلـف ركابـه
كم دنـان تكسرت ، كـم وجـوه لطمت لـم يرعك غيـر سبـابـه
اتركونـي من ذا الحديث ، وهاتـوا عـن كؤوس الشراب كل الفنـون
واسمعوا لـي نشيد خمـر
ابن المكري : رويـدا
ابو خالـد : ها هـو اللحـن صادحا بجنونـي
اسقنيهـا مـن وجنيتك شرابـا واسكبيها في الكأس نور شمـوس
مصرتها الهـة الفجـر صرفـا سلـوة الهـم او سرور العبـوس
ما سقاهـا كسرى ، ولا هي دارت فـرحـة مـن انيسـة لانيـس
اخذت مهجـة الصبـاح دنـانـا وهي سر المنـى ، وحلم النفوس
حبست ثم فضهـا للنـدامـى رشـا تنحنـي لـه بالـرؤوس
بسمت في كـؤوسنا حين صبت كـم تحب السـراح روح الحبيس
ابن عبدوس : (في ابتسام)
يـا ابـا خالـد كفـاك

ابن المكري : اتــدري غير شعر الخمـور من كل شعـرك
ابو خالـد : انـــي شاعــر وللخمـــر فنـي
ابن عبدوس : اتئد .. هل ترى جهلنـا بقـدرك
ابو خالـد : زوجتي كم رجت شفاء ... ولكـن انـا في الخمر قد قضيت حياتــي
ذات يــوم اجبتهــا بقصيـــد هـو في الشعـر آيـة الآيــات
(ينشـد بصـوت عـال) :
تقولين لي اتركها ولست بتــارك وما الخمــر الا لــذة وتنعــم
هي العلم والربح الكثير ، وشربهـا لذيذ ، وفـوز في الحيـاة ومغنـم
اذا ذاقهـا يومـا جبـان رايتـه كقائــد حــرب للوغـى يتقــدم
وان مصها العريان ، والبرد قارس شديد ، تلظت في دمـاه جهنـم
وان ذاقهــا يوما فقيــر تــرده غنيـا وما في الجيب واليد درهـم
ولو شرب المرضى كؤوسا مليئــة لصاروا صحاحا لم يصبهـم تألـم
لو الجمل المحـروم ذاق كؤوسهــا لاصبــح فينــا ناطقــا يتكلـم
ابن المكري : قف سمعنا ، اهكــذا انت
ابو خالـد : عــذرا ان كـل الشباب مثلــي واكثــر
ابن المكري : لو يكـون الشباب مثلـك يـومـا كنت اختــار ان اموت واقبــر
ضاع حـق البـلاد فيك ، ومـاتت ثـورة للشبـاب في الدم تزخـر
ابن عبدوس : لا تقـل هكــذا وخلــه حــرا
ابو خالـد : انـا حـر للخمــر والشعر احيـا
انا للكــاس والندامـــى ، وانتـم للـوزارات فــي غضــارة دنيـا
ثم شيء .. لم تعرفــوه سبانـي
ابن المكري : اي شـيء ...
ابن عبدوس : افصح ولا تخف منا
ابو خالـد : ان ارى في الرمـــال ما كان غيبــا كل سر يجلـى
ابن المكري : اتسخر منا .. ؟
ابو خالـد : كيف الهــو .. ومــرة جربونـي لتــروا انـــي سأصـدق قــولا
ابن عبدوس (لابن المكـري) :
مــا تــرى ؟
ابن المكري : انـــي اشك ..
ابو خالـد : ولكـن جــربونــي
ابن عبدوس (لابن المكـري) : بـدا انت اولـــى
ابو خالـد (لا بن المكـري) :
اي سر تخفيــه اجلــوه حينــا
ابن عبدوس : قل لـه ما تشاء ...
ابن المكري : انك تعلـم
يا « ابن عبدوس » كم كتمت غرامي وجحيم الهـوى قضاء محتـــم
انني اعشق التي انت تــــــدري ملكتنـــي بحسنهــا وبهاهــا
هل سترضاني زوجها ...
ابن عبدوس : لست ادري
ابو خالـد : ربمــا
ابن المكري : انـــي قتيــل هــواهـا
ملكـت مهجتـــي
ابو خالـد : رويدا ... رويـدا هـل تجافيك ام تنـال رضاهــا

انت بالرمل مسرعا

ابن المكري (صائحا) يا « مصافي »

مصافي الحارس لك سمعا

ابن المكري : هات على الطبق رملا

اسرع الخطو ...

مصافي : احضر الرمل حالا (يخرج)

ابن المكري : حارس لا اراه للقصر اهلا

ابو خالد : ولماذا .. ؟

ابن المكري : لانه مستهام بفتاة هنا من الروح اغلى

ربما ان رآك تنظر في الرمل ، يقضي لنا بما هو كاتم

(يدخل)

ابن عبدوس : قد اتى به ...

ابو خالد (لابن المكري) اعندك شيء

ابن المكري : اي شيء تعنيه ؟

ابو خالد : اعني الدارهم

ابن المكري : لست فينا عرافة الحي حتى تأخذ الاجر

ابن عبدوس : ائته بالدراهم

ابن المكري (وقد اخرج الدراهم) :

خذ .. وهات الحديث صدقا

ابو خالد : رويدا ان شيئا اقوله هو صدق

سترى مايكون.. اسمع .. وفكر..

ابن عبدوس : ان قولا يقوله هو حق

ابو خالد (وهو يخط الرمل باصبعه) :

زوجة ام خديعة .. سوف يبدو

ثم يصيح : آه .. « بابن المكري » تريدك زوجا

يوم تغدو كشاعر غزلي

ابن عبدوس يكرر: يوم تبدو كشاعر غزلي

ابن المكري : تهزآن .. هل المحال سيرجى

ما تقولان هل انا مثل وغد تضحكان الغداة من غفلاته

اتركاني : سأخرج الآن حينا فوداعا ..

(وهو يخرج) : فالحر ضد عداته

(ـ يتضاحكان وهنا يخرجان ايضا ـ) بينما الحارس « **مصافي** » يكون قد اخذ بتلابيب ابي خالد ،واعترض طريقه ، وعلى هذه الحالة يسدل الستار .

ختام

المشهد الثاني

نفس المنظر : (**العميد ابن جهوروابنه ابو الوليد وهما يتذاكران في** شان ابن زيدون) .

العميد : ولدي استمع .. فقلبك غض ابن زيدون ظالم يتحدى

كثرت حوله الشكاوي

ابو الوليد : رويدا ان للناس في النوابغ قصدا

ما يزال النبيل شغل لئام عفوك الله .. فاغمر الكون ودا

العميـد : طفت وادي الخيـال فانزل الينـا / واسمع الصوت من عميق الجحيـم

ابو الوليد : لا تكن – يا ابي – عليـه غضوبـا / انـا افـديك من مليـك رحيـم

من اولاء الذيـن بابـك جاؤوا / اتـراهـم جمـاعـة الـوزراء

العميـد : انهـم صادقـون ..

ابو الوليد : ان هواهم / ان يغطوا نبـوغـه بالـدهـاء

حيث اضحى منكم قريبا .. وصاروا / دونـه .. غاظهـم عظيـم الـولاء

فوشوا بالسفير حقدا .. وشاؤوا / للوزيـر العظيـم كـل شقـاء

احد الحراس : مولاي بالباب «ابن عبدوس» أتـى / مـع غـادة ..

العميـد : فليدخلا

احد الحراس : سمعا لكـم

العميـد : فلنختم هذا الحـديث ، فانـه / اصمى فـؤادي بالاسى ..

ابو الوليد : فلنختتم

ابن عبدوس وماري : منـا السلام عليكمـو

العميد وابنه : وعليكمـو منـا السـلام

العميـد : ابن عبـدوس ما اردت ؟

ابن عبدوس : اردنـا / منك صونا لحـق هـذي البـلاد

اخذت صبغـة الجحود ، واضحت / كم تعـادي من مرشد او هـادي

لا لشـيء .. حنانك الله انـي / لا ارى غيـر علـة وفـساد

كيف يغدو الخـؤون فينا نبيـلا / اننـا امـة بغيـر عمـاد

ابن زيـدون باعنـا للاعـادي / بئس راي الهوى .. وسوء اعتقـاد

العميـد : ابن عبدوس ما تقـول .. ؟

ابـو الوليـد لابن عبدوس : تأمـل

ابن عبدوس : انـا والله صـادق فـي ودادي

العميـد : كيـف هـذا .. ؟

ابن عبدوس : مولاي انت عليـم / ان « بطليموس » كهف كل مغامـر

لم كان المقـام فيه طويـلا ..؟ / ابن زيـدون خـان كل الاوامـر

انـه حالـف العـدو

ابو الوليد : امـانـا / ليس هـذا الا افتـراء كـذوب

مـاري : اسألوا «ابن المكري» عن السـر انـا / قـد علمنـاه من حديث غـريب

ابـو الوليـد (يتجه نحو ابن عبدوس وماري) اصمتـا ...

ثم يتجه نحو ابيـه : يا ابي وشاية حقـد / هـي ما ينطقـون مـن اقـوال

لا تثـق ...

العميـد : اني ساعمل فكـري

مـاري : تلك مـولاي غـايـة الآمـال

ابن عبدوس : لابـن زيدون في الحيـاة رجـاء / هـو ان يغتـدي مليـك البـلاد

ان هـذا مـولاي ما قـد سمعنـا / يوم وافى «الشرقي» احدى النوادي

اسأل الحاضرين في الحفل .. ماذا / قال عنكـم من وصمـة وعنـاد

اسمعـونـي اذا نطقـت بقـول / انـا والله صـادق فـي مقالـي

(ثم يتجه نحو ابي الوليـد) :

واستمـع يا بنـي دافعت عنـه / مثل استـاذك العزيـز الغالـي

(يسكت قليـلا)

ابو الوليد : يا ابي لا تطل وجومك .. فانطـق / مالـك الآن ساكتـا لا تجيـب

العميد : ظهر اليوم كل شيء ، وابدت   ما توارى عن ناظرينا الغيوب
ابن زيدون خائن وعنود   سوف يدري مصيره المحتوما
سوف يدري باننا ان غضبنا   اصبح الكون من لظانا جحيما
كنت شاكا ، وقد تجلى يقيني   انا يا رب مومن بقضائك
انت تدري حقيقتي ، ان قلبي   اعمق الصفو مثل صفو سمائك
هذه زهرة تفوح عبيرا   كيف صارت افعى لتنفث سما
كيف اضحى الصباح ليل ظلام   صار جهل النفوس في الارض علما

ابو الوليد : رحمة يا ابي فعقلك اسمى   وتبين هل كل ما قيل صدقا

العميد : ولدي لا تزد على ذاك شيئا   لست تدري وليس عقلك ارقى

ابو الوليد : لست ارقى فكرا ، ولكن شخصا   فاتهم في الذكاء جريا وسبقا
ابن زيدون شاعر ، عشقته   روح ولادة جمالا وخلقا
وابن عبدوس قبله كان صبا   من هواها يموت وجدا وعشقا
هجرته الى ابن زيدون .. هذا   ما دعاه .. فكاد جورا وحمقا

ماري : ان هذا مولاي هجر كلام   شبلك الان قد تفاحش نطقا

العميد لابنه : اخرج الآن من مقامي وذرني

ابو الوليد : (في ادب) :   لك سمعا – (يخرج)

العميد :   وذاك خير وابقى

ماري : عشت فينا مولاي ظلا ظليلا   وليعش شبلك الطموح الابي

العميد : جئتما كالصباح زحزح ليلا   ان هذا منكم ولاء وفي
لست يارب غاضبا عن حياتي   رغم ما في الطريق من اشواك
ابن زيدون سوف اصليه نارا   اي عذر ينجيه شر الهلاك

ماري : عاش مولاي .. انا سوف نمضي

العميد :   انا اوصيكما حذار ثم حذار

ابن عبدوس : انا ارجو مولاي منك طلايا   ان تدوم الاسرار خلف الستار
لو درى الشعب ما تقول ، لاضحى   كل شيء هنا حديث الديار

العميد : ليس في مجلسي خؤون فيفشي   كل ما قلتماه من اسرار
امضيا ...

هما معا : لك البقاء .. وداعا ..

العميد :   القلا ما يكون من اخيار

ابن عبدوس : ذاك حق علي ما دمت حيا   فوداعا (وهو يخرج) ان الولاء شعاري

(ستار)

المشهد الثالث

« يظهر هنا ابن زيدون في سجنه على اليمين ، ويرى على اليسار بهو مضاء يقف في وسطه السجان »

ابن زيدون : انت يا سجن هل رحمت فؤادا   صار تحت الظلام صوتا خفيا
لست تدريه من يكون ؟ وما يشـ   ـكو ..؟ وهل عاش باكيا ام رضيا
انه شعلة من الله .. يا سجـ   ـن اذن .. ؟ .. عرفته عربيا
هو عصف الرياح يهزأ بالر   مل ، وسيل هذا السدود قويا

* * *

ايها النور عفتني ، ولماذا ؟   الانني في السجن ما زلت حيا

صوت : انتحر .. انتحر

ابن زيدون : حنانك ربي   اي صوت .. ؟ واحسرتاه علي

صوت : انتحر ... انتحر

ابن زيدون : ساقتل نفسي   بيدي كي ارضي الفؤاد الابيا

لا .. لان السماء تلعن نفسي   وتراني الحياة وغدا غبيا

لا افك الفؤاد من قسوة القيـ   ـد بكف تجني على مهجتي

* * *

اي شيء يلوح في ظلمة السجـ   ـن ، اطيف المنون يدنو الي .. ؟

ام ملاك اتى لتخليص روحي   من عذاب ، انني اعيش شقيا

انت يا طيف لعنة ام جحيم   ارني وجهك الذميم الغويا

غير اني لا اكره اليوم شيئا   ادن مني ملاما راحتي

انظر الجفن ذابلا ، وضلوعا   كم تجافت فراشها الحجريا

* * *

يا الهي ناداك قلب حزين   صار صخرا ، ولم يعد دمويا

اي ذنب جنيت .. ؟ لم اكبت التو   ر ، ولا دمت في الصبابة غيا

رمت قطف الزهور في الغصن تندى   فاستحالت شوكا بحز يدي

عدلك الله ان قلبي جريح   كيف يقسو قلب الحياة علي

شئت ان اجمع الشتات ، وابني   من شعوب الاسلام صرحا قويا

كيف نجم « الاسبان » يلمع في الجـ   ـو ، ويغدو غض الشعاع سنيا

وشعوب الاسلام في غفوة النـ   ـوم ، تجافي اتحادها العربيا

فاسمح الله ان بكيت بدمع   انا ارجو سماحك الازليا

هل لشكوى الحياة ابدعت جفنا   فجر الحزن دمعه اللؤلؤيا

قد نسيت الصباح من طول ليلي   وظلام السنين في مقلتي

حسدوني ولم اكن غير طيف   عاش تحت السماء قلبا وفيا

* * *

اين مني المروج وارفة الظـ   ـل ، وغصن الزهور يندى شذيا

ورفيف النسيم ضمخه العطـ   ـر ، فابدى اتاقه السحريا

اين مني رقص الغصون عليها   يسكب البلبل الغناء الشجيا

لحظة لم تدم .. كروضة انس   قصف الريح زهرها العطريا

* * *

اين يا جنتي ظلالك مني ؟   انا اهوى عبيرك القدسيا

ظلليني على البعاد ، فاني   عشت في غربة حزينا شجيا

سوف تصفو الحياة للحاسد اليو   م ، ويغدو جم السرور زهيا

غير ان الحياة لا تحفظ العهد   وقلب الزمان ليس وفيا

طالما تكبت الغيوم ضياء   ثم يبدو ملء الفضاء سنيا

حرت يا رب اولني منك عطفا   كيف احيا ، وهل اطيق المضيا

صوت : الفرار ... الفرار ..

ابن زيدون : اي نداء   ملأ السجن والفضاء دويا

سوف لا ارتضي الفرار نجاة   ان سر النجاة في شعريا

ربة الشعر اوسعي النفس عذرا   انت سيفي سانتضيه جليا

وانظمي من جواهر اللفظ عقدا   واسكبي سحره على شفتي

(ومن الجانب الايسر تظهر ولادة مع عائشة حين يكون السجان مستديرا جهتهما) :

ولادة : ايهـا السجـان ..

السجـان في اضطراب : ؟ .. لا تدخلا — ارجعـا ..

ولادة (في استعداد) : انا اتينا للوزير

السجان : كيف هـذا .. اي بـاب فتحت — قـدر حـل ، وشر مستطير

اتيتـا بالاذن حـالا ..

ولادة : لا تخـف — قد اتينـاك مـن الباب الكبيـر

فتـح الجنـد لنا ..

عائشة المغربية : ماذا تـرى ..؟ — ان بـالبـاب جنـودا امنـاء

وبامـر « العميـد » المرتجـى — نحـن جئنـا ..

ولادة : ليس في الامر خفـاء

السجان (وقد همبفتح الباب) :

حجـة واحـدة عنـدكمـا — لم تـدع للفكـر في الامـر مـراء

حجتـي .. انكمـا الآن هنـا

ولادة : افتح الباب فقد طال الكـلام ..

(يفتـح الباب)

ولادة (لابن زيـدون وقد كان في غفلـة كمن يفكـرتفكيرا عميقا) :

ابن زيـدون ...

ابن زيـدون فـيدهشـة وفرحة) : احقا ما ارى — هـل انا في يقظـة ام في منـام

ولادة : « ابن زيدون » يا أعـز حبيـب

عائشة المغربية : « ابن زيـدون » يا بني وروحـي

ابن زيدون : جئتمـا فرحـة لقلبي ، ونـورا — لجفونـي ، وبلسمـا لجروحـي

جئتنـي « يـا ولادة » كصبـاح — زحزح الليـل عن حياتي الحزينـة

ولادة : يا بن زيـدون يا ربيـع شبابـي — حبك الغالـي واجب ان اصونـه

ابن زيدون : انت حبي ، وانت ربـة شعـري — انت لحنـي ، اصوغ منك رنينـه

حجبتني الغيـوم عنك ، ولكـن — جعـل القلب من غـرامك دينـه

ظلموني ، فالحزن ادمـى فـؤادي — يـمع السجـن في الظلام انينـه

شيـع الحاسدون انـي مـريب — ووشـوا للعميـد جـورا وظلمـا

غيـر مجـد ما صغته من قصيـد — لم اجد في العميد عطفـا وحلمـا

* * *

حسدوني على هـواك ، وكـادوا — كل كيد ، وبالغـوا في الخيانـة

وخلا الجو ، فانبـرى كل وغـد — لك يبـدي غـرامـه وحنـانـه

لا تحيدي عن الهـوى ، ففـؤادي — حفظ العهـد في الغرام وصانـه

* * *

اين في النادي من يشابـه فتـى — في اقتدار ، وفي حـلاوة جـرس

اين فيهم من يدرك اليوم شـأوي — في نبـوغ ، وفي كرامـة نفـس

* * *

في دمـي ثـورة على الكفـر تغلـي — وبحب الاسـلام دان فـؤادي

كـل يوم يـزداد صف الاعـادي — في اتحـاد ، وصفنـا في تعـاد

ان هـذا اذا راوه عقـوقـا — لبـلادي ، فيـا ضيـاع بـلادي

ولادة : يا بن زيـدون ..

ابن زيدون : هـا انـا

ولادة : ضاق صدري — كم تقاسي مـن الاسى والبعـاد

لم يلـن شعرك الجميـل قلوبـا — كصخـور تسـيء للاخـلاق

حيـل الفكـر لـو عمدنـا اليهـا — مرت حـرا وضاع كيـد العداة

ابن زيدون : اسمعي يا ولادة انا حر ... رغم اني سجين جور الحياة
ان سجني ، وان اضر بذاتي ... هو اجدى لفكرتي واعتقادي
كل حر سيبلغ القصد ، مهما ... خانه الحظ ، رغم كيد الاعادي

ولادة : انت انساني ، ولكن رويدا ... ليس هذا مصير كل نبيل

ابن زيدون : ظلموني ...

ولادة : وفي فرارك منهم ... اسوة الهجرة التي للرسول

ابن زيدون : كل ما تنطقين صدقا ، ولكن ... كيف انجو ..؟

ولادة : وذاك شيء يسير

عائشة : قد حملنا اليك اطباق تمر ... ثم حلوى ، والسم فيها كثير
واذا ما السجان أعطي شيئا ... منه لم ينتبه الى ما يدور
نحن نمضي ، ونختفي ، واذا ما ... فقد الوعي ، واعتلاه زفير
ليس الا اخذ المفاتيح منه ... هكذا سرعة تتم الامور
ترتدي انت ثوبه ، ثم نمضي

ابن زيدون : ان هذا اثم ، وجرم كبير
اي ذنب « السجان » حتى نجاز ... يه بسم ...

ولادة : قد خانك التفكير

ابن زيدون : سوف لا ارتضي بهذا خلاصا ..

عائشة : انت انساني لديك ضمير
لا تخف فالسجان حينا سيشفى ... و « ابن زهر » لنا طبيب خبير
ذاك راي « ابو الوليد » رآه

ابن زيدون : ذاك راي « ابو الوليد » رآه ..؟

عائشة : وهو من اصدر الاوامر حتى ... فتحوا الباب ..

ابن زيدون : لم يشاور اباه

عائشة : ابدا

ولادة : ما درى العميد بهذا ..

عائشة تقاطعها) : قد دعاه ، وما استجاب نداه

ابن زيدون : افعلا الآن ما تشاءان ، لكن ... احذرا ، فالسجان ارجو شفاءه

ولادة : لا تخف فالسجان لا شك يشفى

عائشة (تشير الى الطبق) : كل شيء فيه السموم .. فحاذر ..

السجان (يقترب منهم) :
اخرجا فقد اطلتما المكث ردحا من زمان ..

ابن زيدون (للسجان) : اني اليك لشاكر

ولادة : سوف نمضي ..

السجان : اجل ..

ولادة : وداعا ..

ابن زيدون : وداعا

عائشة (تتاخر) : ابن زيدون ... اتقن الامر ... غامر

ابن زيدون : لا تخافي ..

السجان : كفاك سيدتي الآن

عائشة : وداعا ..
(وقد استدبرته) : الامر ايسر .... ظاهر ...
(يخرجان معا — وهنا يبدأ السجان فى اغلاق باب السجن)

ابن زيدون : ايها السجان .. هل تسمعني
السجان (وقد عاد ففتح الباب) : اي شيء
ابن زيدون : هذه اجمل حلوى
(وهو يحمل شيئا منها) :
انا اهديك .. فهل تقبلها
السجان : هاتها ... (يمسك)
ابن زيدون : هي من ، هي سلوى
(يغلق السجان الباب ويبتعد)
ابن زيدون (وهو ينظر اليه من ثقب الباب) :
حملقت عيناه فيها ... انه ربما شك ... اراه يقترب
السجان (بعد ان يفتح الباب) :
اعجبتني غير اني لم اثق من يكن مثلي ذكيا يسترب
فالذي عندك يغدو بيدي والذي عندي يغدو من نصيبك
ابن زيدون : مثلما شئت ، ولا تخش اذى
السجان : لازم الحيطة ، واحذر من قريبك
(وهو يمد اليه)
خذ وهات الآن ..
ابن زيدون (وهويمسك) لا تخش اذى (وهو يمد اليه) :
هاك خذ حلوى شهيا طعمها
(السجان وقد اغلق الباب ، وانتحى ناحية وهو يتطلع الى الحلوى)
اي حلوى عجنتها غادة تشبه الشمس (ثم ينقض عليها قائلا):
لذيذ لثمها
اي كف عجنتها ... انها تفضل السكر تزري بمذاقه
سقيت بالخمر صرفا ... فانا اشبه النشوان في سكر اغتباقه
(يقول وقد ارتخت مفاصله) :
اشبه النشوان .. (اشبه النشوان)
اني لم اعد استطيع المشي .. اجثو هاهنا
ابن زيدون (كأنه يريد ان يعرف حالته) :
ايها السجان ... ايها السجان ... (السجان يرفع راسه قليلا)
ايها السجان لو ترحمني باناء الماء ... ظمآن انا
(السجان لا يجيب ثم يستلقي على الارض وقد اصبح لايستطيع حراكا)
ولادة (تظهر الآن ، وهي تقترب نحو السجان ، ثم تلتفت نحو عائشة التي لا تظهر) :
فقد الوعي ... تعالي ..
(عائشة تظهر)
انظري وربما مات ...
عائشة (في يقين) : بعيد ان يموت
« ابن زهر » سوف يشفي داءه
ولادة (وقد انحنت عليه) : نفس بين انقطاع وخفوت
ابن زيدون (وهويطل من ثقب الباب) :
راقباه .. حركاه ... وانظرا : انه ذئب ...
عائشة (لابن زيدون) : تناهى امره
ثم لولادة : اخرجي المفتاح من اثوابه

ولادة (بعد ان تنتهي من البحث) : لم اجد شيئا

عائشة : شدبد مكره

ابن زيدون : انه في ظهره مختبيء

(يقلبانه على بطنه)

ولادة : ها هو المفتاح ..

عائشة : سيري وافتحي

ولادة (بعد ان تفتح الباب) :

انت حر ...

ابن زيدون (وهو يخرج من سجنه) :

شاكر فعلكما ..

عائشة (لولادة) : افرحي يا ولادة ثم امرحي

ابن زيدون (لولادة) :

يا ملاكا خلصتني بيده من قيود .. يا شعاعا من جمال

(ثم لعائشة) :

انت من اجلستني فوق السها تدرك العالي بعيد ان ينال

(تسمع اصوات آتية من الابعاد ، كانها مظاهرة هائلة)

عائشة : اي اصوات

ولادة : ضجيج هائل

ابن زيدون : لست ادري ... ربما امر حدث

عائشة (لولادة) : انظري ولادة ماذا جرى ..

(ولادة تخرج مسرعة)

ثم لابن زيدون : اي سجن قائل اي حدث ...

ابن زيدون : سوف لا ابقى هنا .... (يتحرك)

عائشة : بل فانتظر .. ربما جد من الامر جديد

تقترب الاصوات منا ...

ابن زيدون : ثورة سنرى الآن

ولادة (وهي داخلة مسرعة) : هيا ... مات العميد

(هنا تضج الاصوات : عاش ابو الوليد .... ابن زيدون ... ثم يسمع كأن الباب الخارجي بالسجن قد تحطم)

ولادة (التي تكون اقرب منهما الى الباب) :

حطم الباب ...

(الاصوات ترتفع وهي تقترب ... ابن زيدون ... ابن زيدون)

ابن زيدون (للجمهور) : تفوا ..

(ثم لولادة وعائشة) :

هيا اخرجا ...

(اصوات ... وزغردات ... وتصفيقات : ثم يسكت الجميع لتسمع صوتا واحدا عاليا : عاش ابن زيدون ... وعاش ابو الوليد .

ستار

النهاية

الرباط : علال بن الهاشمي الفيلالي



عصر المنصور الموحدي

للأستاذ محمد الرشيد ملين
تقديم الأستاذ عبد الله كنون

يعقوب المنصور الموحدي شخصية غنية عن التعريف ، فهو من أكبر الشخصيات العظيمة في عصره بلغ المغرب في عهده من الشأو البعيد ، والصيت الطائر ، ما حفل به تاريخ هذه البلاد .
وقد افرد لدراسة هذه الشخصية الفذة ، التي طبعت المغرب اذ ذاك بعصر ذهبي أصيل ، الاستاذ الكبير السيد محمد الرشيد ملين الذي كتب ، بغيرة علمية ، ووطنية صادقة ، دراسة مستفيضة عن الحياة السياسية والفكرية والدينية لعصر يعقوب المنصور الموحدي في الفترة المتراوحة بين سنة 580 – 595 .

والطبعة الاولى لهذا الكتاب صدرت عن دار التاليف والنشر السلطانية بالمطبعة المحمدية عام 1946 بتشجيع واذن المغفور له مولانا محمد الخامس جاد الله بالرحمة ثراه ، الذي حبذ حسن ما وفق اليه المؤلف من العمل ، معلقا – رحمه الله – على ما يزهر مستقبل المغرب خير أمل .

وطبقا للارشادات الملكية السامية التي تحض على التفرغ للعلم ، وتحث على الاكتراع من منابعه الصافية دبج الاستاذ السيد الرشيد ملين فصول كتابه المخصص لحياة شخصية وعصر المنصور الموحدي ، فجاء هذا الكتاب يشهد للاستاذ السيد ملين بالباع الطويل ، والبحث الرصين ، والتوفيق الرشيد ، والدراسة المستانية .

وقد فاز هذا الكتاب بالجائزة الاولى للتاليف في مباراة كانت تونس اذ ذاك قد اجرتها في نطاق التشجيع بين المؤلفين .

ويسعدنا أن نثبت مقدمة الطبعة الثانية المزمع انجازها قريبا والتي كتبها علامة المغرب الاستاذ سيدي عبد الله كنون .

تاريخ المغرب حافل بالمواقف العظيمة سواء في الحرب او السلم ، في رفع راية الحفاظ على الكيان او تمهيد سبل الحضارة . أما الشخصيات الكبيرة التي تركت دويا في الدنيا ، ان في ميدان السياسة والحكم او في مجال الثقافة والفكر ، فان تاريخنا يزخر بالعدد العديد منها وفي مثله يقال حدث عن البحر ولا حرج .

لكن الذي يعوزه هو الاقلام المثقفة التي تعرضه العرض اللائق بعظمته ، وتبرز عبقريته الخالدة في الاعمال والرجال ، وتخدمه الخدمة التي ترد اليه اعتباره عند ابنائنا قبل غيرهم من المستهينين به ، الذين شوهوا محاسنه ، ونكروا معالمه ، وكان لهم أثر كبير في الاهمال الذي مني به من طرف الكتاب والباحثين ، واساءة توجيه من تناولوه بالطعن والتجريح في دراسات ينقصها العلم والانصاف . ولقد قصر المتقدمون من مؤرخينا في رد تلك التهم التي كان الاندلسيون يلصقونها بالمغرب والمغاربة .. والصبيانيات التي نسبوها لرجل عظيم ، مثل يوسف بن تاشفين ، لم يجدوا ما ينتقدون عليه الا أن يتعلقوا بعجمته المزعومة وسوء فهمه لبعض النصوص الادبية فيما ادعوا ، فاسفوا الى ما لا يقبله عقل ولا منطق . بل انا لنرى من مؤرخينا من يروي تلك الترهات ويتفكه بها كما فعل المقري في نفح الطيب ؛ فكان من نتيجة ذلك ان اعتبرت حقائق تاريخية ، وبنيت عليها أحكام وأحكام . وجاء باحث اجنبي يبطن تعصبا كبيرا على الاسلام ؛ هو

المستشرق الهولاندي رينهرت دوزي ، فتحامل على المرابطين وتاريخهم وانكر ما لهم من فضل على العلم والادب ، كما انكر الاندلسيون قبله ما للمغرب من يد فى فتح بلادهم وتوطين العروبة والاسلام فيها وحمايتها الى ما شاء الله .

وخلص ذلك لكتابنا الجدد فصاروا يتشككون فى كل ما ينسب الى المغرب من عمل عظيم وأثر جليل ، ابتداء من خطبة طارق بن زياد التي القاها فى جيش الفتح ، قائلين : كيف يصح ان ينطق بربري فى اول عهد المغرب بالعربية بهذه الخطبة البليغة ، ويفهمها قومه البربر الذين يتألف منهم معظم الجيش ؟ ونسوا ان جده عبد الله هو الذي أسلم ، فالعربية بالنسبة لمن نشأ فى حجرها ولقنها ابا بعد جد ، ليست لغة اجنبية عنه . وما لهم لم يقولوا ذلك فى الفارسي والرومي وغيرهما ممن اسلموا ونطقوا بالعربية واصبحت لغتهم الاولى ، ومنهم من له فيها انتاج رفيع ؟

وبغض النظر عن الماضي فان هؤلاء المتشككين انفسهم ، منهم من يعرف أكثر من لغة اجنبية ويكتب بها ويخطب ، ويكون فى مخاطبيه من يفهمه أكثر مما يفهم العربية — مع الاسف ، فهلا قاس الغائب على الشاهد وجعل عبقرية طارق فى درجة عبقريته هو على الاقل ؟!

فاما اذا تعلق الامر بسبة تاريخية وموقف مشبوه فان سحب الشك حينئذ تتبدد ، ولا يتحمل مسؤولية ذلك الا المغرب المظلوم . وهكذا الصقت به تهمة احراق كتاب الاحياء للغزالي مع انها كانت بفتوى قاضي قرطبة وحرصه الشديد على ذلك . والصقت به تهمة امتحان الفيلسوف ابن رشد ، وهو انما كان بسعي خصومه من اهل بلده وتحريضهم عليه . والصقت به تهمة اغتيال لسان الدين ابن الخطيب ، فى حين كان المغرب يدافع عنه ، والاندلس تبعث الوفود مطالبة براسه ، ولما لم ينجح سعيها دست اليه من كتم انفاسه تحت ستار الظلام .

وهذه الاحداث كلها تخف وزنا ازاء معاملة يوسف ابن تاشفين للمعتمد بن عباد فى نظر هؤلاء المنتقدين ، الذين أقاموا الدنيا وأقعدوها انتصارا للمعتمد وتطاولا على يوسف ، ولا أدري ماذا كانوا يتخذون من موقف، لو أن يوسف عامل المعتمد بما عامل به هذا وزيره ورفيق صباه الشاعر ابن عمار ، ولم يبق على حياته كما هو الشأن فى الملوك اذا ظفرت بمنافسيها وان لم يكن لها عليهم حجة كحجة يوسف على المعتمد ! فهذه المعاملة التي كانت حرية أن تعد فى مناقب يوسف ، وتضرب مثلا على حلمه وسعة صدره وحسن سياسته، اصبحت وصمة فى تاريخ المرابطين كلهم ، وتذرع بها دوزي للنيل منهم ومن المغاربة أجمعين . حتى لقد اقام مناحة على مصير العلم والادب فى عهدهم ، وهم الذين احتضنوهما باحتضان اهلها وأسلموا قياد الحكم فى دولتهم الى الفقهاء باعتبار انهم اساتذة الحقوق ورجال القانون ، وامنوا روعة البلاد الاندلسية من الاكتساح الوحي الذي كان قاب قوسين او ادنى من ايام ملوك الطوائف ، ولم يثبت عليهم انهم اراقوا محجم دم او قتلوا انفسا فى غير حرب او قتال !

حقا ان الظلم الذي حاق بتاريخ المغرب ظلم عظيم، ولا ينتظر ان يرفعه عنه الا ابناء هذا الوطن البررة به، الذين جاهدوا فى سبيله ، واسترجعوا حريته واستقلاله ، وحققوا وحدته ، وهم الآن مدعوون لبناء كيانه الجديد، ورفع قواعده على اساس ماضيه المجيد، من غير ان ينساقوا فى حبل المتآمرين عليه باسم البحث النزيه ، ولا أن يغتروا بالدعايات الباطلة التي تروج ضده بدافع من الحقد الدفين وفعلا فان من وفق منهم للعمل فى هذا الصدد قد نفى كثيرا من الشائعات ، وصحح غير قليل من الاخطاء ، واصبحنا نرى الكتاب الذين يخوضون فى هذا التاريخ يتحفظون بازاء الاحداث الكبرى فلا يسارعون الى الحكم ، ولا يتبرعون باعطاء الاراء ، وتلك خطوة اولى فى تقرير الحقيقة والرجوع الى الصواب .

وممن كانت له يد وعارفة فى الاهتمام بتاريخ المغرب قديمه وحديثه ، والاعتناء بكتابته الكتابة المحررة المعتمدة على النظر والتمحيص والدراسة المستأنية ، الاستاذ الكبير السيد محمد الرشيد ملين ، فقد وضع كتاب عصر المنصور الموحدي ، وكتاب نضال ملك الذي ارخ به للمغفور له محمد الخامس فسد به ثغرة ما كانت لتسد لولاه ، لانه سجل فى كتابه هذا مرحلة الكفاح السياسي ضد الحماية ، تلك المرحلة التي تعد اهم فترة فى حياة محمد الخامس رحمه الله ، واهم حلقة فى تاريخنا الوطني الحديث . وكان له فى ذلك قصب السبق مع التوفيق التام ، لانه ممن شارك فى ماجريات تلك الاحداث بجانب العاهل الراحل ، فتأتى له ان يطلع على ما لم يطلع عليه غيره ، وبذلك فضح سياسة الحماية ودسائس الاستعمار واظهر ما كان يلاقيه الملك المناضل وشعبه المخلص من عنت وارهاق فى سبيل استخلاص الحق من مغتصبيه المستهترين .

ويهمنا في هذه الكلمة كتابه الاول عصر المنصور الموحدي ، فان هذا الملك العظيم الذي هو اكبر شخصية في عصره ، والذي بلغ المغرب العربي بمعناه الواسع الذي شمل الاندلس ، على عهده من الرقي والحضارة والقوة والمنعة ، ما لم يبلغه في أي عهد آخر ، من العار ان لا يكون تاريخه معروفا لدى العرب عموما ، وان تكون اعماله مجهولة عند اكثر المواطنين فضلا عن غيرهم . انه لا يقل عظمة ولا شخصية عن عبد الرحمن الناصر ولا عن المنصور ابن ابي عامر ولا عن صلاح الدين الايوبي وهذه الصبغة ، ومع ذلك فان التواريخ العامة ودوائر المعارف والمعاجم العلمية لا تحفل بترجمته ولا تقدم منها للقارىء اذا تناولتها الا معلومات قليلة في بضعة سطور .. أفبهذا نبني كياننا القومي ونعلي من شأن تاريخنا وحضارتنا في العالم ؟ بل ابهذا نلقن أبناءنا والجيل الصاعد مفاخر اجدادهم واعمالهم الخالدة ؟

لذلك كان عمل الاستاذ ملين يستحق التقدير والتنويه، فكتابته لتاريخ المنصور الموحدي، بالخصوص مما يدل على غيرته العلمية والوطنية في آن واحد . وهو لم يسم كتابه تاريخ المنصور الموحدي ، بل عصر المنصور الموحدي او الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب ، من سنة 580 الى سنة 595 أي انه ارخ لحقبة من دولة الموحدين تكاد لا تزيد على خمس عشرة سنة ، هي مدة ولاية يعقوب المنصور ، ثالث خلفائهم واجلهم قدرا واسيرهم ذكرا واخلدهم اثرا ، ولكنه لم يهجم على موضوعه هجوما بدون توطئة ولا مقدمة ، بل مهد له أولا بفصل عن منطقة الحوادث التي هي حوض البحر الابيض المتوسط وسيطرة العرب عليه بعد الفتح الاسلامي ثم الجزر الذي تلا ذلك المد ، وقيام الحروب الصليبية ، ووقوف المغاربة في وجه هذا العدوان على الضفة الشمالية الغربية للبحر المذكور ، وقوف المشارقة على نظيرتها الشرقية . وهذا هو الوقت الذي ظهر فيه الموحدون .

وبعد هذا التمهيد تناول المؤلف الكلام على الحياة السياسية في المغرب بشيء غير قليل من التفصيل ، وقسم ذلك الى خمسة فصول ، ذكر في اولها ولاية المنصور بعد وفاة والده خارج مدينة شنتمرية وهو محاصر لها ، وفي اثناء حروبه مع بني غانية وهم فل المرابطين بقي ينازع الموحدين السلطة في بعض انحاء المملكة ، وفي الثالث استرجاعه لما كان لهؤلاء قد استولوا عليه من مدن بافريقية ، وفي الرابع جولته بافريقية ، وفي الخامس حروبه باسبانيا . ثم تعرض للحياة الفكرية وحصرها في اربعة فصول اولها عن بعض مظاهر الثقافة في عصر المنصور ، والثاني عن اللغة والنحو والادب خاصة ، والثالث عن الشعر في عصر المنصور ، والرابع عن العلوم في هذا العصر ، وبعد ذلك تكلم على الحياة الدينية في فصل فريد ، أعقبه بخاتمة ذكر فيها نهاية المنصور .

فنحن نرى ان عناصر البحث موضوعية ومنوعة، وانها تستوعب وجوه النشاط ومجالات العمل الذي قام به المنصور ليجعل من عهده عصرا ذهبيا في تاريخ المغرب العربي ، وان كان سردنا لعناوين الفصول لا يعطي فكرة تامة عن ابعاد البحث والاجواء التي حلق فيها مما لا يلم به من يتصوره الا من قرأ الكتاب . وانما المهم هو الطريقة التي عالج بها المؤلف هذه المسائل، فهي تتردد بين العرض والنظر ، وبذلك جاءت هذه الفصول كأنها حلقات متسلسلة من قصة ممتعة لايشعر القارىء معها بأدنى سأم او ملل ، ولا يفرغ من قراءة فصل حتى يكون قد قامت عنده رغبة ملحة في قراءة الفصل الذي يليه ، ولنشر الى الفصل المعنون ببعض مظاهر الثقافة في عصر المنصور ، فانه على تركيزه واشتماله على ادق المعلومات في الموضوع يكاد يكون مقالا وصفيا او استعراضا صحفيا لاسلوبه الخفيف المشوق وهو في الواقع بحث عميق ودراسة مستوفية بما احراه ان يكون نموذجا مدرسيا لكتب المطالعة في الاقسام الثانوية .

وهكذا صور لنا الاستاذ ملين عصر المنصور الموحدي بما ازدهر فيه من حضارة وعلم وأدب وفن ، وما كان للحياة السياسية فيه من مفاجآت آلت كلها الى انتصارات باهرة ، وما طرأ على الحياة الدينية من تطور نتيجة لقيام الدعوة الموحودية ، صور لنا ذلك كله بمثل ريشة الرسام الماهر وهو يبحث ويدرس ويحقق من غير ان يتورط في اختلاف الروايات واضطراب المؤرخين ، وبثقل هوامش الكتاب بالمراجع والتعاليق، فجاء عمله تحفة أدبية تستهوي المثقف وغيره ويستفيد منها الدارس والقارىء العادي . وتلك ميزة لا تتحقق الا للقليل من الكتاب .

فنهنىء الاستاذ ملين على هذا التوفيق ونتمنى له مزيدا من النشاط لفائدة المكتبة المغربية واثرائها بمثل هذه التحفة النادرة .

طنجة : عبد الله كنون

الإمام ابن حزم
عالم الأندلس

للأستاذ: إحسان النمر

احوال الاندلس في عصره ـ بيئته ونشاته العائلية ـ مبداه السياسي ومتاعبه ـ علمه ومعارفه ـ مذهبه الظاهري ـ مؤلفاته .

احوال الاندلس في عصره :

بلغت الاندلس اوج عظمتها في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم الامويين وعهد الحاجب المنصور وابنه الناصر لدين الله ثم تداعت الى السقوط .

كان منصب الحاجب في الاندلس كمنصب رئيس الوزراء اليوم مع الفارق في منصب الملك (الخليفة) فيما بعد اذ هو صاحب السلطة وكان الحكم ميالا الى الادب ولم يفكر بمصير الخلافة بعده لان خليفته هشام في سن التاسعة فاستوصت عليه امه صبح ، وكان الحاجب احد نوابغ الدنيا في السياسة وهو الامير محمد بن ابي عامر فنال ثقتها واطلقت يده في كل الامور وقد نال ثقة الشعب ورجال الدين لما اظهر من الكفاءة في الادارة وفي الحروب وقد كان عهده استمرارا لعظمة الاندلس وقد لقب نفسه بالمنصور وقد اشتهر بأبي عامر المنصور . وبعد موته تلاه ابنه عبد الملك الذي لقب بالمظفر الا ان حكمه لم يطل اكثر من سنتين فخلفه اخوه عبد الرحمن الذي لقب بالناصر لدين الله وجميعهم هجروا على هشام الخليفة الملقب بالمؤيد فنشا ضعيفا مكتوما لا يعرفه احد فطمع الناصر بالخلافة واضطر هشام على التنازل اليه عن لقبها الباقي له . فثار البيت الاموي يعضده القرشيون والمضريون في الاندلس فوقعت الفتنة في الاندلس اذ انقسمت الاندلس الى حزبين أمويين وعامريين كانت نتيجتها القضاء على البيتين وظهور ملوك الطوائف وهم حكام المقاطعات الذين استقل كل واحد منهم في مقاطعة على طائفة .

احوال بني حزم الوزراء في هذه الفترة :

انتقل بنو حزم من لبلة في غرب الاندلس ونزلوا في قرطبة حيث سطع نجمهم في عهد العامريين فاستوزروهم . وقد نزلوا في الزاهرة التي بناها المنصور العامري في شرق قرطبة ، فلما شبت الثورة على العامريين ودمرها البربر انصار المهدي الاموي فانتقل الحزميون الى غرب قرطبة ثم الى المرية .

نشاة ابن حزم :

في سنة 384 هـ وفق 994 م ولد علي بن احمد ابو محمد المشهور بابن حزم ، وكان والده احمد ابن سعيد وزيرا للعامريين فنشأ ابنه نشاة المترفين اذ كان ضعيف الجسم فتركه والده بين الجواري والخصيان بعيش عيش المترفين الهائمين ، لانه لم يكن يعول عليه لضعفه . فنشأ فيه الميل للخنوثة وعشرة النساء والاصغاء الى قصصهن والاشتغال باسرارهن . ولما راهق ولع بهن الواحدة بعد الاخرى ، وقد ولع بالشعر يحفظه ثم ينشده ، واكثر في حبه وغرامه ؛ وكان عفيفا فاستمر الشوق عنده كما يحصل لمن لا يتمتع ؛ فالف على ذلك كتابه طوق الحمامة ، ولم يكن يبالي بشيء ، ولم يكن يخرج من القصر ، ولم يكن يعرف صداقة الامثال ؛ وقد انطبعت في نفسه تقلبات الجواري والخدم فكانت اساس كتابه الاخلاقي الذي اسماه مداواة النفوس ، وقد ضم اليها ما لاقى بسبب مبداه السياسي .

مبداه وطموحه السياسي :

لقد مات والده في غمرة الثورة على العامريين وظل يعتنق مبدأ اعادة الخلافة للامويين ، وقد اضطهد بسبب ذلك ولاقى الامرين حتى السجن فاضطر الى مغادرة قرطبة عشر سنين فنزل في المرية سنة 404هـ على حاكمها ابن خيران ، وقد ظهر ابن حمود العلوي يطلب الخلافة فلعب دورا كبيرا بالفتنة ، وكشف امر ابن حزم بانه يعمل للامويين فزج في سجن المرية بضعة اشهر ثم افرج عنه على شرط التغريب فغادر المرية الى حصن القصر الى ان تغلب الحزب الاموي وتولي عرشهم عبد الرحمن بن محمد سليل عبد الرحمن الناصر الاموي في بلنسية ، فانتقل ابن حزم الى بلنسية حيث اندهش اذ لم يكن الوضع مستساغا لوجود خيران وحدوث انقلاب آخر اطاح بالخليفة الاموي . وتعس ابن حزم ثم تخلص وظل يوالي تأييد مبداه السنين الطوال الى ان فاز الحزب الاموي وولي عرشه عبد الرحمن بن هشام الناصري فشكل وزارة من الادباء كان فيهم ابن حزم ، ولكنها لم تطل اكثر من سبعة واربعين يوما بلغ فيها ابن حزم اربه وقنع بانتهاء البيت الاموي فاعتزل السياسة نهائيا وعكف على العلم يعمل باسلوب خاص لفت اليه الانظار واصبح يشار اليه بالبنان واطلق عليه عالم الاندلس ولولا هذا ما وصلنا خبره ، اذ لم اجد في تاريخ الاندلس السياسي ذكرا له .

العقدة النفسية التي حولته الى العلم :

ذكر في سيرته على طوق الحمامة انه لما خرج من المقاصير شهد جنازة فلما دخل المسجد لم يصل سنة تحية المسجد، فانتقد ، وكانت العادة الرجوع الى المسجد بعد الدفن ، ثم لا سنة اذذاك ، فلما عادوا الى المسجد قام فصلى فانتقد ايضا . وعظم هذا الانتقاد على نفسه فوجدت عنده عقدة تفوق ، اذ آلى ان لا ينفك عن مجالس العلم حتى يتفوق ، الا انه ظل على عظاميته فسلك في انتاجه مسالك خاصة دون ان يعلج داءه النفسي العضال وهو ما ورثه في صباه وهو نكد المترفين الذي تحول الى جدل وعظامية البيت التي تحولت الى مسالك خاصة اثارت عليه نقمة حملت الفقهاء على حرق كتبه كما سياتي ، وقد لقي في مسلكه العلمي من النكد والتعب ما لا يقل عن مسلكه السياسي . اذ كان يسلك في جدله ومناظرته مسلك العنف والسباب وهذا بتأثير منشئه في الصبا وهو مسلك ابناء المترفين من ضيق الصدر والولوع بالنكد والتهجم بالشتائم والسباب .

مجالس العلم ومكاسبه :

كان علي ابن حزم قوي الارادة ، فارغم نفسه على الجلوس في مجالس العلم . لقد اكتسب في المقاصير والقصور سماع الشعر وحفظه ، وفي تمثيله ادواره الغرامية ، اكتسب قول الشعر والاضطلاع باللغة العربية والتعمق بها . فساعده هذا على تلقي علم الحديث ، وهو اول ما يتلقى حسب اصول ذلك العصر فقد قرر مترجموه كابن بشكوال والضبي ان اول سماعه على ابن الجسور احد شيوخ المحدثين في قرطبة . وقد قرأ عليه ايضا تاريخ الطبري وبعد موت ابن الجسور تحول الى ابن نامي الذي اكثر ابن حزم من ذكره في كتبه وكذا اخذ عن ابي القاسم الازدي المصري وكان قدم الى الاندلس وكذا اخذ عن ابي الخيار وتأثر منه بالمذهب الظاهري ، هؤلاء اهم اساتذته ، وقد اخذ عن آخرين اقل منهم مدة لا يتسع المقام لذكرهم .

وفي خلال ايام التعليم اكتسب ابن حزم هذا المترجم نخبة صالحة من الزملاء الذين تحولوا الى اصدقاء واعتمد عليهم اثناء ضيقه بسبب مبدئه السياسي ومذهبه الظاهري كابن شهيد وابي علي القاسي وابن الطبني ، وابو بكر البلنوي ، ولقد كان لصداقاته هذه افضل الاثر في تقلبات الايام عنده ، فقد كان يلجأ اليهم في الملمات .

اعتناق المذهب الظاهري والعمل لنشره :

كان ابن حزم عظاميا يتحرى ما يميزه . لقد كان بيته شافعي المذهب ، وكان السائد في الاندلس المذهب المالكي ، الا ان ابن حزم المترجم لم يرض هذا ولا ذلك بل جنح الى اعتناق مذهب بائد جامد هو مذهب داود الظاهري وهو الاخذ بظاهر الكتاب والسنة والتوسع بهذا للاستغناء عن الراي والقياس الى حد رمي اهل الراي والقياس بالكفر ، وكان المالكية اهل راي ولهم في التشريع المصالح المرسلة وسد الذرائع ، فكان في اعتناقه المذهب الظاهري ومحاولة نشره جالبا على نفسه المقت الكثير . قال ابن خلدون : « وقد فعل ذلك ابن حزم في الاندلس على علو مرتبته في حفظ الحديث ، وصار الى مذهب اهل الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في اقوالهم ، وخالف امامهم داود وتعرض للكثير من ائمة المسلمين فنقم الناس ذلك عليه واوسعوا مذهبه استهجانا وانكارا وتلقوا بالاغفال والترك » . على ان الكتاب المتأخرين كالاستاذ احمد امين والدكتور طه الحاجري فانهم يرون ان المذهب انتشر الى حد كبير وكان له اتباع رغم تصدي اكثر علماء الاندلس له ،

واعتزاله آخر الامر في غرب الاندلس وحـرق كتبه في اشبيلية علنا . وقد ظل في عزلته الى ان مات سنـــة 456 عن 72 سنة من العمر .

قال الاستاذ احمد امين في ظهر الاسلام : « وقد تعلم ابن حزم الحديث وتبحر فيه ، وقد تبعه كثيرون على مذهبه الظاهري ، وقد خرجوا من مذهب مالـك اليه ، كما ان كثيرين ضاقوا به ذرعا وانكروا عليـه صراحته واعلنوا الحرب على كتبه حتى بلغ بهم الغيظ ان احرقوها علنا في اشبيلية » . وقـرروا ايضـا ان مذهبه هو الذي احياه ابن تيمية فيما بعد .

« مؤلفات ابن حـزم »

طـــوق الحمـامـــة :

هو كتاب يبحث في موضوع الحب مثله في مواقفه مع جواري مقاصيرهم مقسما باغلظ الايمان على انها كانت مواقف عف فيها الى اقصى حـدود العفاف ، وانه كان تحت مراقبة شديدة .

وقد اصيب فيها بنعم احدى الجواري التـــي احبها وصادف ذلك ايضا موت اخيه الكبير واليفــه الوحيد ابي بكر في صباه وموت ابيه فاثار ذلك شاعريته ونثره الذي ضمنه كتابه هذا فاتى بالدرجة الثانيــــة وسطا بين شعراء الاندلس من درجة ابن شهيد وابن دراج في النثر ، فما ظهر في طوق الحمامة فكان عاديـا قال الاستاذ احمد امين عنه في ظهر الاسلام : « وامـا نثره فقيمته في صراحة معناه وغزارته لا في ناحيتــه الفنية » . اما نثره البليغ فيظهر في رسالته الاخلاقية مداواة النفوس . وهو واسع الاطلاع في آداب اللغـة العربية ، ويعتبر في الذروة من هذه الناحية . ويمتاز طوق الحمامة ايضا بأن ضمنـه الشـيء الكثيـر من ترجمته ، وما اصابه خلال النكبات .

مـــــداواة النفـــوس :

ان تجاربه العديدة وتقلبات الزمن حملتـه على كتابة رسالة في الاخلاق اسماها « مـداواة النفـوس وتهذيب الاخلاق » . وقد قلد فيها اسلوب ابن المقفع في كتابيه « الادب الكبير والادب الصغير » فاتى على جانب من البلاغة والحكم الرائعة والفوائد الجليلـة ، فمن ذلك قوله : « من ابتلي بالعجب فليفكر في عيوبه ، فان اعجب بفضائله فليفتش ما فيه من الاخلاق الدنيئة فان خفيت عليه عيوبه جملة فانه اعظم الناس نقصـا وعيبا واضعفهم تمييزا . واول ذلك انه ضعيف العقل جاهل ، ولا عيب اقطع من هذين ، لان العاقل هو من عرف عيوب نفسه وسعى في اصلاحها » .

ومنها قوله : « التلون المذموم هو التنقل من زي متكلف لا معنى له الى زي آخر مثله في التكلف لا معنى لـــــه » .

ومنه قوله : « من ساوى بين عدوه وصديقه في التقريب والرفعة فلم يزل على ان زهد الناس في مودته وسهل عليهم مؤونة ولم يزل على استخفاف عدوه له وتمكن من مقاتله وافساد صديقه على نفسه ، والحاقه بجملة اعدائه » .

ومنه قوله : « اثنان عظمت راحتهما ، احداهما في غاية المدح ، والاخرى في غاية الذم ، وهما مطـــرح الدنيا ومطرح الحياء » .

المحلـــــى والمجلـــــى :

المحلى هو كتاب في الفقه الظاهري ، وقد انتقـد كبار الائمة جميعا ، وقد شرحه بكتاب آخر سمـــاه المجلى . وقد جمع فيهما الاصول والفروع بغير تناسق فتناقض فيهما ، قال ابن كثير عنه : « انه جمـع بين طرفي النقيض في اصوله وفروعه وهـو في الاصـول ظاهري جامد يابس وفي الفروع قول مالـع ، قرمطـه القرامطة وهرسه الهرائسة ، وان لا ثمرة له » .

وقد طبع المحلى مؤخرا في مصر . قال الدكتـور طه الحاجري عن سيره فيـه : « يعرض المسالـة من مسائل الفقه الاسلامي ، مقررا فيها رايه وهو لا يستند الا الى الادلة المأثورة : القرآن وما صح من الحديـث كما هو مذهبه ؛ ثم يعرض آراء الائمة السابقين مالك والشافعي وابي حنيفة والاوزاعي ومن اليهم في هـذه المسالة مع ايراد ادلتهم وبيانها ثم تفنيدها اذ يعرضها على الاثار المروية الصحيحة . او يعرض الاثار التي اعتمدها هؤلاء الرجال على النقد ، اذ ينقد اسانيدهـا ويتحدث عن رجالها ثم ينتهي بأن يصك رايه فيها صكا، لا يتجمل ولا يترفق ولا يتلطف . وما زلت اذكر له هذه العبارة واسمع في نفسي اصداءها متجاوبة : « اما قول ابي حنيفة ففي غاية التخليط والتناقض والفساد ، اما قول مالك فظاهر الخطا » .

كتاب الفصل في الملل والنحل :

درس ابن حزم آراء ومعتقدات جميـع الفـرق الاسلامية وكتب عنها كتابا سماه كتاب « الفصـل في الملل والنحل » وهاجم سائر المعتقدات المخالفة لمذهب

شروحه وتقاريره في هذا الصدد ؛ وقد تطور الامر الى السلف ومن يطلع على ما كتبه ابن رشد وابن تيمية يجدانها ماخوذة عن هذا الكتاب على انه بعد الاطلاع على الفقه الجعفري نجد ان اقوال هؤلاء فيها كثير من المغالاة وانهم ظلموا الشيعة المعتدلين وانه ينبغي لمن يطلع على هذه الكتب ان يتريث بالاخذ بها وان يرجع الى ما كتبه المرحوم رشيد رضا وما كتبه ويكتبه الشيخ محمد ابي زهرة فاننا في عمل للتوفيق بين السنة والشيعة المعتدلين فقد كفى تمشيا مع الدعايات السياسية الضارة .

على ان ابن حزم لم يقف عند عقائد الفرق الاسلامية بل تجاوز ذلك الى عقائد الديانتين : اليهودية والنصرانية ، فكان ذلك سببا لاهاجة أهل الديانتين ومهاجمتها للاسلام . والجدير بالذكر هنا أن نشير الى ان الحال في الاندلس كان على خلاف غيرها ، فان اصحاب الديانات الاخرى كانوا كثر وكانوا على شيء من القوة والتكتل حتى بلغ بهم الامر الى التطاول على شخصية الرسول الاعظم بالسباب . واذا علم هذا فلا يستغرب المطلع على كتاب الشفاء للقاضي عياض كثرة شروحه ، وتقاريره في هذا الصدد ، وقد تطور الامر الى ثورات اصحاب الديانتين والبطش بهم وتأثرهم معا ادى الى ضياع الاندلس في النتيجة . فكانت هذه احدى الاسباب ان لم نقل اهمها .

رسائل وكتب اخرى :

ولابن حزم رسائل وكتب منها : رسالة في اعجاز القرآن ، ورسالة في النصائح المنجية ، ورسالة سماها جمهرة الانساب ، واخرى في الناسخ والمنسوخ ، واخرى الاحكام لاصول الاحكام ، الى غير ذلك من الرسائل والكتب التي ذكرت في معجم الادباء عن ابن صاعد الاندلسي انها بلغت نحو اربعمائة مجلد تقع في ثمانين الف صفحة مما لم يبلغه احد في الاسلام .

الحكم على ابن حزم :

كان ابن حزم عظاميا ينشد الاغراب في جميع اتجاهاته ؛ فقد كان ينسب نفسه الى الفرس ولا فرس في الاندلس . وكتب عن الحب مضحيا بكرامته غير مبال بما يقال فيه ؛ اذ لم يستشهد بشيء من مواقف عشاق العرب ؛ بل استشهد بمواقفه مع جواري ابيه واقاربه .

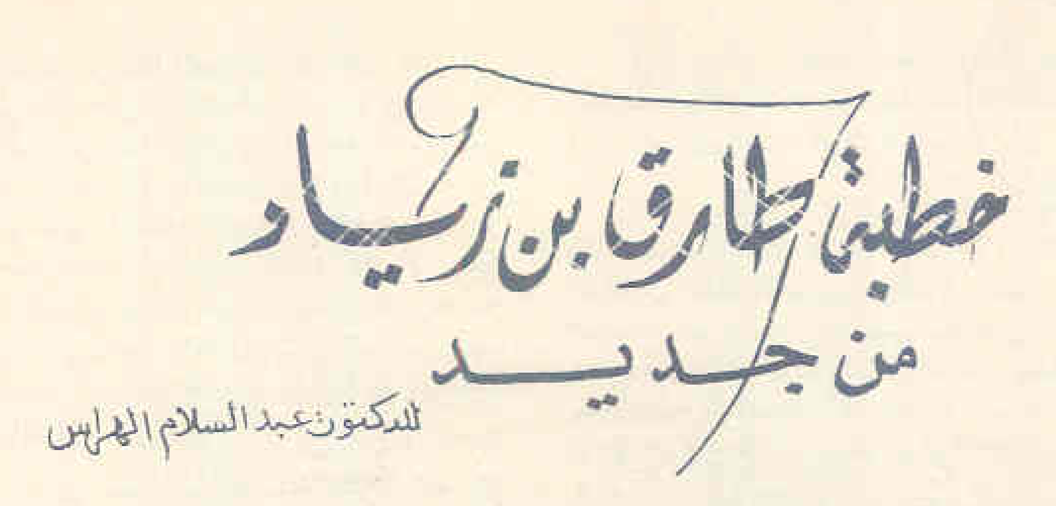
وبالرغم عن سيادة المذهب المالكي في الاندلس والمغرب سيادة مطلقة فانه تمذهب بالمذهب الظاهري غير مبال بنقمة فقهاء المالكية الاشداء .

وقد صمم على استرداد مركز عائلته وهو الوزارة وقد تمسك بالخلافة الاموية رغم فقدان الشخصيات القوية من اعقاب الامويين ، وقد ظل سائرا يتغلب على الصعاب رغم ضعفه الشخصي وتداعي بيته وزوال قصورهم وموت اكثر انصارهم فما زال يعمل حتى بلغ الوزارة وتمتع بهذا اللقب ، وما زال يعمل للمذهب الظاهري حتى انتشر ، وقد شغل الاندلس بالمجادلات الدينية في وقت كانت في غنى عنه ورغم حرق كتبه واندحاره في لبلة في اقصى غرب الاندلس فانه فاز ، فقد اعتنقه ابن تومرت واقام عليه دولة الموحدين فساد الاندلس وافريقيا . وتمسك به الموحدون واعظموه واعظموا صاحبه ابن حزم حتى قال احدهم حين مر عن قبره بعد مائة سنة : « كل العلماء عيال على ابن حزم » . وقد اعتبر ابن رشد مذهبه رابعا فكان يذكره مع الحنفي والشافعي والمالكي وقلما ذكر المذهب الحنبلي .

لقد ماتت المنافسة والمنافسون وعاشت منزلة ابن حزم . قال صاعد : « كان ابن حزم اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والاخبار » . وقال الذهبي : « وكان اليه الانتهاء في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم في الكتاب والسنة والملل والنحل والعربية والاداب والمنطق والشعر مع الصدق والامانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة » . وقال عنه الاستاذ احمد امين في كتابه ظهر الاسلام : « كان عالم الاندلس الديني غير مدافع ابن حزم فقد كان واسع الاطلاع قوي النفس في الجدل متعدد نواحي النبوغ يهاجم من خالفه حتى يدخله في قمقم » .

هذا ابن حزم احد علماء الاسلام البارزين وهو راس انصار السلفية ، ويكفي ان نعرف أن ابن رشد وابن تيمية وامثالهم قد اخذوا عنه وتابعوه في هذا المنهج رضي الله عنهم جميعا .

نابلس : احسان النمر



من منا لا يعتز بهذه الخطبة ؟ ومن منا لا يعدها اعرق تراث مغربي يقترن بفجر الاسلام بالمغرب والاندلس ؟ ان ناحيتها البلاغية لم تكن تسحرنا ، ونحن اطفال فى المدرسة ، وانما الذي كان يثير فينا مشاعر الاعتزاز والزهو هو تلك الروح المغربية الاسلامية التي تتحدى الاخطار ، وتهزأ بالاهوال ، وتقتحم الصعاب ، وتهوى البطولات والخوارق البشرية . ولكن بعض الباحثين – سامحهم الله – حاولوا نسف تلك المشاعر وزعزعة تلك الصورة الرائعة التي كونتها مخيلاتنا من خلال تلك الخطبة ، وحاولوا تنغيص تلك النشوة الروحية التي كانت تسبح فى اجوائها احساساتنا ونحن نرددها على مسامع معلمنا بالمدرسة الابتدائية وكان كل واحد منا طارق محصورا بين البحر والعدو وهو واثق بالنصر المبين .

وكانت بلاغتها التي رويت عليها فى نفح الطيب شؤما عليها اذ كانت من اهم الثغرات التي تسرب منها النقد ليهدم كيانها من القواعد !! ولكن بقليل من البحث حاولت أن اتلافى تلك الثغرات وأوصدها فى وجه الشكوك التي تثار حول نسبة الخطبة لصاحبها طارق والحفاظ على تراثنا الذي نعتز به بشكل او بآخر حسب ما سننتهي اليه فى هذا المقال .

ممن احتار فى امر هذه الخطبة الامير شكيب ارسلان رحمة الله عليه فقال :

« تلك الخطبة الطنانة التي لو حاول مثلها قس ابن ساعدة او سحبان وائل لم يأت بافصح ولا بابلغ منها ، ولقد كنت افكر مليا فى امر هذه الخطبة واقول فى نفسي .. هذا لغز من الغاز التاريخ لا ينحل معناه بالسهولة ... » وحقيقة هذا اللغز لدى امير البيان ان طارقا بربري ، والخطبة تعد من انموذجات الخطب العربية ، ولم يستطع التلفيق بين هذين الامرين المتناقضين وقد حاول ، لكنه لم يسترح لمحاولاته ... واخيرا زال تردده عند ما جزم الاستاذ الكبير عبد الله كنون بأن هذه الخطبة من جملة انطباع البربر بالطابع العربي البحت . (1)

وكذلك يرتاب فى نسبة هذه الخطبة لطارق كل من الاستاذ المؤرخ عبد الله عنان واستاذنا الدكتور احمد هيكل استاذ الادب الاندلسي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة . فاما الاول فيرتكز فى ارتيابه على الادلة التالية : (2)

1 – كون الخطبة لم ترد فى المصادر التاريخية الاسلامية القديمة ، ولم يشر اليها لا ابن خلدون ولا ابن الاثير وانما نقلها المقري وحده عن مؤرخ لم يذكر اسمه .

2 – روعة اسلوبها وعباراتها مع ان طارقا لم يكن عريقا فى العروبة والاسلام ، وينتهي من ذلك الى الحكم بأنها من انشاء بعض المتأخرين ، صاغها على لسان طارق مع مراعاة ظروف المكان والزمان ، وان كان لا ينفي ان يكون طارق خطب ولكن فى غير هذه اللغة .

ويبني الدكتور هيكل شكه فى هذه النسبة على ما يلي :

1) انظر النبوغ المغربي ج 1 / 22 ، 23 الطبعة الجديدة .
2) دولة الاسلام فى الاندلس ج 1 / 47 .

1 — ان طارقا بربري ، حديث عهد بالاسلام والعربية ؛ لانه لم يرتبط بموسى بن نصير الا عند ما ولي هذا الاخير قيادة المغرب سنة 89 هـ . وبين هذا التاريخ وتاريخ الفتح (92 هـ) فترة وجيزة، يستبعد معها ان يجد طارق العربية بحيث تسمح له بالقاء الخطب ونظم الشعر .

2 — ان المصادر الاولى عربية واندلسية ، قد سكتت عن هذه الخطبة ولم تشر اليها ، ولا تنص عليها سوى المصادر المتاخرة كثيرا عن الفتح مثل نفح الطيب .

3 — اسلوب الخطبة بما فيه من الصنعة والزخرف لا ينتسب الى عصر طارق الادبي وانما الى عصر متاخر جدا عن القرن الاول ، ولذلك يرى ان هذه الخطبة هي اقرب الى خصائص اواخر العصر العباسي وربما الى ما بعد ذلك .

4 — ورود هذه العبارة : « وقد اختاركم امير المؤمنين من الابطال عربانا » مما يزيد من حظ الشك ويقوي الارتياب ، لان الجنود لم يكونوا عربا ، بل كانوا برابرة . وبناء على تلك الادلة يخلص الدكتور هيكل الى حكم يرجع فيه ان تكون الخطبة قد وضعت على لسان طارق من طرف بعض الرواة المتاخرين كثيرا عن الفتح والمتاثرين كثيرا باسلوب اواخر العصر العباسي وربما بالعصر المملوكي .

ويرى بعد ذلك ان طارقا قد يكون خطب في جنوده، وقد يكون تغنى انتصاراته مفاخرا مباهيا ، ولكن المعقول ان يكون فعل ذلك بلغته البربرية التي كان يجيدها والتي كان يفهمها جنوده (3) .

وقد تصدى الاستاذ الجليل عبد الله كنون مفندا بعض هذه الادلة الجدلية ونلخص رده فيما يلي :

1 — ان طارقا البربري نشا في حضن العروبة والاسلام ، فابوه هو الذي اسلم بدليل اسمه « زياد » ولا شك انه كان من مسلمة الفتح المغربي الاول ، وانتقل الى المشرق حيث نشا ولده في كنف موسى بن نصير .

2 — لا غرابة في نبوغ طارق البربري في العربية فقد نبغ فيها امثاله عن غير العرب كعكرمة البربري وسلمان الفارسي .

3 — ليس في الخطبة من الصنعة البيانية ما يمنع نسبتها لطارق لان بلاغتها في معانيها ، والمعاني ليست وقفا على عربي ولا عجمي .

نعم قد تكون الخطبة تعرضت لبعض التصرف بالزيادة او النقصان من الرواة ، غير ان هذا لا يسوغ نفي اصل الخطبة ، وليس بحجة للتشكك في نصها الكامل .

ويطمئن الامير شكيب ارسلان لنسبة الخطبة لطارق اعتمادا على اثباتها في النبوغ المغربي وثبوتها لدى مؤلفه الحجة .

الى هنا نكون قد عرضنا مختلف وجهات النظر حول خطبة طارق بن زياد ملاحظين تقاربها احيانا وتباينها احيانا اخرى ، والدكتور هيكل وحده ينكر ان يكون طارق قد خطب بالفصحى ، اما الاستاذ عنان فلا يستبعد ذلك ولكن باسلوب غير هذا الاسلوب .

واسارع الى القول باني لا اشاطر الدكتور هيكل في حكمه الذي بناه على حيثيات لا يعتمد البعض منها الا على افتراضات ، والبعض الاخر يعتمد على اساس النص الوارد في نفح الطيب . فكون طارق ، مثلا ،حديث عهد بالاسلام ، لم يتصل بموسى بن نصير الا عند تولية هذا قيادة المغرب سنة 89 هـ — امر لا يمكن تسليمه،لان طارقا ابن لمسلم وهو زياد ، وحفيد لمسلم وهو عبد الله، حسبما ذكره ابن عذاري في نسبه ؛ فله على الاقل ، ابوان في الاسلام ، وهكذا لم يعد هذا القائد البربري حديث عهد بالاسلام ، ولم تعد الفترة التي قضاها في الاسلام لا تتعدى ثلاث سنوات . ولعل الدكتور هيكل يشايعنا هذا في تعليقه رقم (3) ولو على طريق الفرض، ثم من اين لنا معرفة ما اذا كان طارق قد نشا في المغرب دون المشرق ؟ او تحديد ذلك التاريخ بالذات لاتصاله بموسى بن نصير ؟ وما لنا لا نفترض ، وهو اقرب الى المعقول ، ان اباه او جده هو الذي كان بالمشرق ؟ فنشا الابن والحفيد في بيئة عربية صرف ، اتاحت له حذق لغتها والنبوغ فيها والفوز بثقة بلاط دمشق ليتولى مكانة مرموقة في الدولة الاموية مما اهله لقيادة جيش الفتح . ثم ان احدا من الموحدين القدماء لم يقل بأن طارقا خطب بالبربرية او نفى الخطبة بالعربية !

اما كونها لم ترد الا في المصادر المتاخرة كثيرا كنفح الطيب فليس الامر كذلك ، اذ وردت في مصادر اقدم بكثير من عصر المقري ، فقد اوردها ابن خلكان ، وهو من القرن السابع ، ووردت في تحفة الانفس لابن هذيل ، وهو من القرن الثامن ، وقد نقلها عنان في كتابه المشار اليه سابقا ، واهم من هذا ان صاحب الامامة والسياسة قد اثبتها وهو من رجال القرن الثالث

3) انظر كتابه : الادب الاندلسي ص 80 — 83 .

الهجرة ، كما سنبين ذلك من بعد ، كما وردت قطعة منها في كل من « ريحانة الالباب » للمواعيني (توفي 570 / 1168) وكتاب « استفتاح الاندلس » لعبد الملك ابن حبيب .

ويجدر بنا ان نورد هذه النصوص ليتسنى لنا مقابلتها والتعليق عليها وعلى ما يتصل بها .

أ — نص ابن خلكان : (4)

« فلما نزل طارق من الجبل بالجيش الذي معه كتب تدمير الى لزريق الملك انه وقع بأرضنا قوم لا ندري من السماء هم ام من الارض ، فلما بلغ ذلك رجع عن مقصده في سبعين الف فارس ، ومعه العجل يحمل الاموال والمتاع وهو على سرير بين دابتين عليه قبة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد ، فلما بلغ طارقا دنوه قام في اصحابه فحمد الله سبحانه وتعالى واثنى عليه بما هو اهله ، ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال :

« أيها الناس ! اين المفر ؟ والبحر من ورائكم والعدو امامكم ، فليس لكم والله الا الصدق والصبر ، واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مأدب اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة ، وانتم لا وزر لكم غير سيوفكم ، ولا اقوات لكم الا ما ستحصلونه من ايدي اعدائكم . وان امتدت بكم الايام — على افتقاركم — ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب برعبها منكم الجراءة عليكم ، فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذه الطاغية فقد القت به اليكم مدينته الحصينة ، وان انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم ، ان سمحتم بانفسكم للموت ، واني لم احذركم امرا انا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس أبدا فيها بنفسي ، واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالأرفه الالذ طويلا، فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فيما حظكم فيه اوفر من حظي ، وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان ، الرافلات في الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان ، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الابطال عربانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم لمجالدة الابطال والفرسان ، ليكون حظه معكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة ويكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم ، والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين .

واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله ، فاحملوا معي ، فان هلكت بعده فقد كفيتكم امره، ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون امركم اليه ، وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه ، واحملوا بانفسكم عليه ، واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فانهم بعده يخذلون » .

ب) نص الامامة والسياسة : (5)

« فلما بلغ طارقا دنوه (أي لذريق) منهم قام في اصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد ، ورغبهم في الشهادة وبسط في آمالهم ثم قال :

« ايها الناس ، اين المفر ، البحر من ورائكم والعدو امامكم ، فليس ثم والله الا الصدق والصبر ، فانهما لا يغلبان ، وهما جندان منصوران ، ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة . ايها الناس : ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ؛ ان حملت فاحملوا ، وان وقفت فقفوا ، ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال . الا واني عامد الى طاغيتهم بحيث لا اتهيبه حتى اخالطه (6) او اقتل دونه. فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم ، فتبددوا بين قتيل واسير ، واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ، ولا تعطوا بايديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة (كذا) والذلة ، وما قد اجل لكم من ثواب الشهادة ، فانكم ان تفعلوا ، والله معكم ومعيذكم، تبوءوا بالخسران المبين وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين ، وها انذا حامل حتى اغشاه فاحملوا بحملتي » فحمل وحملوا ... »

4) وفيات الاعيان 2 / 177 — 178 طبعة بولاق . في ترجمة موسى بن نصير .

5) الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة 2 \ 75 الطبعةالثانية (ط. الحلبي) سنة 1377 — 1957 مصر

6) في الاصل « واقتل » ؛ وهو تصحيف .

ج) نص تحفة الانفس نقلته عن كتاب الاستاذ عنان : (7)

« ايها الناس : اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر ، واعلموا انكم فى هذه الجزيرة اضيع من الايتام فى مادبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيوشه واسلحته واقواته موفورة ، وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ، ولا اقوات لكم الا ما تتخلصونه من ايدي عدوكم ، وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب عن رعبها منكم الجراة عليكم ، فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد القت به اليكم مدينته الحصينة ، وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت ، واني لم احذركم انا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة ارخص متاعا فيها للنفوس (كذا) ، ابدا بنفسي ، واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفه الالذ طويلا ، فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي ، فما حظكم فيه باوفى من حظي . وقد بلغكم ما انشات هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان ، الرافلات فى الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان ، المقصورات فى قصور الملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المومنين من الابطال عربانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا واختانا ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته ، واظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصة (كذا) لكم من دونه ، ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا فى الدارين » .

« أيها الناس ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ، ان حملت فاحملوا ، وان وقفت فقفوا ! ثم كونوا كهيئة رجل واحد فى القتال ، واني عامل الى طاغيتهم بحيث لا انهيه (كذا) حتى اخالطه وامثل (كذا) دونه ، فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا ، واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ، ولا تعطوا بايديكم ، وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة (كذا) والذلة وما قد اجل لكم من ثواب الشهادة ، فانكم ان تفعلوا ، والله معكم ومفيدكم (كذا) تبوءوا بالخسران المبين ، وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين ، وهاانذا حامل حتى اغشاه فاحملوا بحملتي » .

فاس : الدكتور عبد السلام الهراس

---

7) انظر دولة الاسلام فى الاندلس 1 / 46 ، 47 ، والاستاذ عنان لم يشر الى المصدر عند ايراده نص الخطبة ، بل بعد ما عقب عليها بقوله : « ويشير صاحب كتاب تحفة الانفس الى خطبة طارق .... ثم يورد نص الخطبة ». وآسف ان المصدر ليس بين يدي ولم احصل عليه بعد ! ولهذا اعتمد على الاستاذ المؤرخ عنان فى هذا النص .



للدكتور محمد كمال شبانة
استاذ التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

« ... كان فنانا شاعرا ، انشا جامعة غرناطة ، لتستعيد ماضي لدتها جامعة قرطبة ، ودانت له الحمراء بافخم وابهى منشآتها ... »

« نسبـــه وولادته »

هو سابع ملوك بني الاحمر « يوسف بن اسماعيل ابن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن محمد بن احمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الانصاري» فهو بهذا يتصل نسبه بأمير الخزرج « سعد بن عبادة » من سادة الانصار بالمدينة .

يكنى السلطان بـ « ابي الحجاج » كما يعرف بـ « امير المسلمين » ، وهو اللقب الملكي الذي غلب على سلاطين بني نصر ، منذ اعتلى عرش غرناطة مؤسس دولتهم محمد الاول بن الاحمر (635 — 671هـ — 1238 — 1272 م » ، كما عرف بـ « الغالب بالله»

ولد ابو الحجاج بحمراء غرناطة في الثامن والعشرين من ربيع الثاني عام 718 هجرية / 28 يونيو 1318 م ، امه تدعى « بهارا » النصرانية » ، « طرف في الخير والصون والرجاحة » ، حظية والده السلطان ابي الوليد اسماعيل (713 — 725 هـ / 1314 — 1325 م) ، وكان قد استولدها ، فأنجبت « يوسف » هذا ، اما اخوته محمد ، وفرج ، وفاطمة ، ومريم فمن الحظية « علوة » ، واما اسماعيل فمن الحظية « قمر » .

صفـــاتــــه

يجمل لنا صفات ابي الحجاج معاصره ووزيره لسان الدين ابن الخطيب ، فيذكر أنه : « كان ابيض أزهر ، ابدا ، مليح القد ، جميل الصفات ، بـــراق الثنايا ، انجل ، رجل الشعر اسوده ، كث اللحيـــة ، وسيما ، عذب الكلام ، عظيم الحلاوة ، يفضل الناس بحسن المرأى وجمال الهيئة ، كما يفضلهم مقاما ورتبة ، وافر العقل ، كثير الهيبة الى ثقوب الذهن ، وبعد الغور ، والتفطن للمعاريض ، والتبريز في كثير من الصنائع العملية ، مائلا الى الهدنة ، مزجها للامور ، كلفا بالمباني والاثواب ، جماعة للحلى والذخيـــرة ، مستميلا لمعاصريه من الملوك (1) .

---

1) راجع مقدمة مخطوطة القاضي النباهي « نزهة البصائر » الاسكوريال 1653 ، وكذا مخطوطة ابن الخطيب « كناسة الدكان » الاسكوريال 1712 .

كفالتـــه

ولد ابو الحجاج بعد ولاية ابيه للحكم بنحو خمس سنوات ، وتوفي والده في رجب 725 هـ (يونيه 1325م) ولم يكن الابن قد تجاوز بعد سبع سنوات ، فكفلتــه جدته ام ابيه السيدة الحرة الجليلة « فاطمة بنت امير المسلمين ابي عبد الله الغالب بالله محمد الثالث » ، وكانت تتوفر على مزيد من الخبرة لطول تجاربـــها في القصر النصري ، فهي « واسطة العقد ، وفخر الحرم، البعيدة الشأو في العز والحرمة وصلة الرحم ، وذكر التراث ، واتصلت حياتها ملتمسة الراي ، برنامجـــا للفوائد ، وتاريخا للانساب » (1) فاستقى حفيدها ابو الحجاج من لبان خبرتها ، وتزود بالجم من حكمتها ، لاسيما وانها بقيت الى جانبه فترة ليست بالقصيرة، فقد عاصرته طفلا يحبو ، ثم فتى يافعا ، ثم سلطانا كبيرا ، حتى توفيت في عنفوان شبابه عام 749 هـ / 1348 م مواصلا برها ، ملتمسا دعاءها ، مستفيدا بتجربتـــها وتاريخها ، مباشرا مواراتها بمقبرة الجنان ، داخـــل الحمراء ، سحر يوم الاحد السابع لـــذي الحجـــة 749 هـ (2) ، وكان عمرها يومئذ قد نيف على التسعين عاما .

تربيتـــه وثقافتـــه

كان السلطان ابو الوليد اسماعيل والد ابـــي الحجاج قد وكل تربية ابنائه الى نخبة ممتازة من رجال العلم والراي والادارة ، اشرفوا على هؤلاء الامراء في حل وترحال تثقيفا وتدريبا ، كما تعهدهم صقلا للمواهب وتنمية للملكات ، فكان ان برز لنا ابو الحجاج من بين اخوته الملك الفنان الشاعر ، والسياسي الهـــادىء الوقور ، وانعكست توجيهات مؤدبيه علـــى ميولـــه السليمة من جانب ، وعلى ما خلعه على العمـــارة الاندلسية من نفسيته الشاعرة من جانب آخر ، بمـــا اضفاه على آثار أسلافه ، من ذوق فني له روعتـــه وسحره وجماله . كذلك حبه للعلم وتقريبه العلماء ، وكلفه بالاداب والفنون ، الذي تجلى فيما قام به مـــن منشآت ثقافية ، ورعاية للقائمين بالامر في هذا الميدان.

وهكذا تاثر ابو الحجاج بخلاصة من المربيـــن العلماء ، والمحنكين من رجالات السياسة : امـــثال الحاجب أبي النعيم رضوان ، والشيخ الرئيس ابـــي الحسن علي بن الجياب ، والمؤرخ لسان الدين ابـــن الخطيب ، وغيرهم ممن حفل بهم بلاط والده ابي الوليد اسماعيل الاول (713 — 725 هـ / 1313 — 1324م) ثم بلاط شقيقه السلطان محمد الرابع (725 — 733 هـ / 1324 — 1333 م) .

« اعتلاؤه عرش غرناطـــــة »

تقلد يوسف الاول شؤون المملكة في يوم الاربعاء 13 ذي الحجة 733 هـ (الموافق 25 اغسطس 1333م) ولم تكن سنه يومئذ قد تجاوزت 16 عاما .

انعكاســـات ثقافة السلطان :

كان لبيئة السلطان اثر الاعداد والتوجيه ، ثـــم الاضطلاع بمهام المنصب الخطير ، فقد كان والـــده اسماعيل ذا شخصية دينية محافظة ، حريصا علـــى اقامةالحدود وفق الشريعة الاسلامية، ففي عهده خصوصا حرمت المسكرات ، وضيق الخناق على الفساد الاخلاقي وحرم جلوس الفتيات في ولائم الرجال (3) ، فكـــان جديرا بالوالد ان يحرص على تنشئة اولاده كذلـــك ، حرصا على مستوى سلالة بيت الملك ، وحفاظا عليهم من مؤثرات تتنافى وشرف التقاليد الملوكية .

وفي ضوء ما أسلفناه نستطيع أن نتحدث عـــن ثقافة الحجاج العامة ، فنقول : انه كان شخصية فنانة، تتمتع بروح شاعرية ، عمل ما استطاع في سبيل حماية العلوم والاداب والفنون ، وربما اجمل ابن الخطيـــب بعض هذه الخلال في قوله : « كان ابو الحجاج مـــن جملة الملوك فضلا وعقلا واعتدالا » (4) ، وقد تجلى هذا الاتجاه الثقافي عند السلطان في جوانب هامة من حياته ، نذكر منها :

الجانـــب الفنـــي :

ويتمثل فيما قام بتشييده في مجال المعمـــار الهندسي ، وبخاصة ما اضفاه على اجنحة الحمراء ،

---

1) الاحاطة ج 1 ص 221 « عنان » .
2) نفس المصدر 222 .
3) نفس المصدر ج 1 ص 395 — 401 ، واللمحة البدرية ص 71 — 74 .
4) اعمال الاعلام لابن الخطيب ص 314 .

وما اضافه الى هذا القصر ، مثل باب الشريعة (1) ، وبهو السفراء (2) ، والحمامات السلطانية (3) ، مما لا يزال — حتى يومنا هذا — شاهد صدق على الروح السامية ، المنطلقة فى آفاق الجمال .. لما انفرد به هذا القصر الخالد من زخارف خطية ، ونقوش ذات هندسة ابداعية ، فى سحر اخاذ ، وجمال فتان ..

الجانـــب العلمـــي :

ويتضح من هذا تشجيع ابي الحجاج للحركـــة العلمية وتشييده المدارس الثقافية بالمملكـــة ، وفى مقدمتها جامعة غرناطة او « المدرسة اليوسفية » (4) ، وذلك على يد حاجبه ابي النعيم رضوان النصري عام 750 هـ / 1349 م ، ثم ما كان من رصد الاوقاف المغلة عليها ، رغبة منه فى اعلاء شأنها ، ومساعدة قصادها من العلماء والطلاب على أن يردوا منهل العلم فى يسر ورخاء ، حتى لقد كانت جامعة غرناطة تحاول استعادة مكانة جامعة قرطبة الاموية .

كذلك رأينا هذا الملك الاديب يفسح المجال فى بلاطه لجهابذة العلم والادب ، ويأخذ بيدهم الى منصب رئاسة الديوان او الوزارة ، مقربا اياهم فى مجلسه ، باذلا الخلع والمنح — على المجودين منهم — فى شتى المناسبات ، حتى لهجت السنتهم بذكره ، وتناولتـــه اقلامهم بالحمد والثناء (5) .

وبالجملة ، فقد بلغت الحركة الفكرية والادبية ذروة ازدهارها فى مملكة غرناطة على عصر السلطان ابي الحجاج يوسف الاول .

لقد برز من اقطاب المعرفة والكتابة والشعر فى هذه الفترة عدد جم ، امثال ابن الخطيب ، وابـــن الجياب ، وابن زمرك ، صاحب القصائد المنقوشة فى ابهاء الحمراء ، وابن الحكيم الرندي ، وابن خاتمـــة الانصاري ، ومن اليهم .

واذا كانت الحركة الفكرية الادبية بالاندلس خلال المائتين والخمسين عاما التي عاشتها مملكة غرناطة قد مرت باطوار ثلاثة : طور التكوين ، وطور النضوج ، وطور الانحلال ، فان عصر السلطان أبي الحجاج يمثل الطور الثاني ، الذى اشرق ابان عصر شقيقه — قبله — السلطان محمد الرابع ، وبقي متلألا الى عصر ابنه — من بعده — السلطان الغني بالله محمد الخامس (755 — 760 هـ / 1354 — 1359 م) ثم (762 — 793 هـ / 1361 — 1392 م) .

الجانـــب الادبـــي :

يعتبر يوسف الاول رائد هذه النهضة الادبية التي سادت الاندلس يومئذ ، فقد رعى روادها من الادبـــاء والشعراء والكتاب ، كما كانت روحه الشاعرية تفيض من حين الى حين ، بما يوحيه الخاطر ، استجابة لموقف يستدعي القول ، او تلبية لذات نفسه والهامها ...

بيد انه — للاسف — لم ينته الينا حتى اليـــوم شيء من شعر هذا السلطان ، بالرغم مما عرف به فى هذا الميدان ، فقد تحدث عن ابي الحجاج — كشاعر — كل من وزيره ابن الخطيب فى بعض مؤلفاته الادبيـــة كالاحاطة مثلا ، ثم المؤرخ ابن حجر العسقلاني ، فى

1) هو المدخل الرئيسي للحمراء ، عبارة عن بوابة عربية هائلة ، يبلغ ارتفاعها نحو خمسة عشر مترا ، وعقدها الزخرفي كحدوة الفرس ، قد نقش عليها اثر خطي تعريفا بمنشئها (يوسف الاول) ، وتاريخ انشائها وهو شهر ربيع الاول 749 هـ (1348م)
2) احد ابهاء الحمراء الرئيسية ، مساحته ثمانية عشر مترا طولا ، واحد عشر مترا عرضا ، وينتهي كل من طرفي البهو بسبعة عقود ، ترتكز على عمد مرمرية ، وللبهو قبة فخمة يبلغ ارتفاعها حوالي ثلاثـــة وعشرين مترا ، قد زخرفت على طراز النجوم ، ويعلو البهو برج قمارش الشامخ .
3) تعتبر هذه الحمامات قطعة فنية اندلسية رائعة ، وهي ثلاثة اقسام : الاستراحة ، والغرفة الدافئـــة ، والغرفة الساخنة . ولها موقد سفلي وماسوران فى الجدران ، بالاضافة الى ماسورة خاصة لنشر العطر فى الحمام . اما الاحواض فبعضها للماء البـــارد وبعضها للساخن ، والقبة ذات فتحات نجمية مـــن الزجاج السميك .
4) كانت تقع المدرسة فى درب ضيق يحاذي شارع الملكين الكاثوليكين بغرناطة . بيد ان المبنى القديم قد ازيل منذ القرن 18 م ، ولم يتبق منها الان سوى محراب مسجدها ذي النقوش والزخارف الخطية . اما بقية المبنى فقد حولته بلدية غرناطة الى مقر ادارة المهرجانات الموسيقية العالمية ، التي تقام بهـــذه المدينة فى رحاب الحمراء من كل عام .
5) اللمحة البدرية ص 100 .

كتابه « الدور الكامنة . في اعيان المائة الثامنة » وافاض كلا الكاتبين في التنويه بأبي الحجاج – كأديب وفنان – برز في النصف الاول من القرن الثامن الهجري (منتصف القرن الرابع عشر الميلادي) .

هذا . ونضيف أن القاضي شهاب الدين بن فضل الاندلسي قد قال عن أبي الحجاج : « ان له يدا في الموشحات (1) » ذلك اللون الشعري الخاص ، الذي لم يقتصر انتشاره على المحترفين من اهل الاندلس فحسب ، بل تعداه الى ملوكهم وامرائهم ، فتعاطوه ايضا ، حتى طبقت للاندلس في هذا شهرة فاقت شهرة المشارقة .

« علاقات أبي الحجاج الخارجية »

لم تكن علاقة غرناطة بالممالك النصرانية الاسبانية تتسم بالصفاء ، تبعا لمخطط النصارى في حروب الاسترداد La Riconquista المعروفة ، وكان معاصره على مملكة قشتالة يومئذ « الفونسو الحادي عشر » (1312 – 1350 م) الذي عول على الاجهاز على آخر معاقل المسلمين ، أملا منه ان تسقط غرناطة نفسها على يديه فيتوج تلك الحروب التي بداها اسلافه مع العرب الفاتحين ، وعرف يوسف الاول نواياه معاصره القشتالي ، فاستنجد – كسابقيه من امراء الاندلس – بالمغرب ، الذي كان يحكمه – وقتئذ – السلطان ابو الحسن علي المريني (697 – 753 هـ) فأيده بجيش عظيم ، عقد عليه لولده الامير ابي مالك ، وكان الامير يبلغ ذروة انتصاراته في اراضي النصارى يومئذ ، لولا ان هؤلاء كانوا قد اعدوا له كمينا ، وفاجاوه فقضوا عليه وعلى كثير من حراسه ، وعادت بقايا الجيش العربي الى مواقعها الاندلسية ، ولكن ما كادت تبلغ السلطان ابا الحسن مأساة ولده حتى بادر بارسال جيش اعظم واقوى ، قيض له الظفر على الجيوش الاسبانية ، بيد انه لم تكن هذه المعركة حدا فاصلا بين الفريقين ، اذ ما لبث الاسبان ان خاضوا ضد المغاربة والاندلسيين – بعدئذ – المعركة العظمى (وقعة طريف) أو معركة سالادو (2) Batalla de salado 7 جمادى الاخرة 741 هـ (30 اكتوبر عام 1340م) ، تلك المعركة التي يؤرخ بها الاسبان لانتصاراتهم في حروب الاسترداد ، فقد احرزوا فيها انتصارا ساحقا ، بفضل خدعة حربية محكمة ، سقطت على اثرها كل من طريف والجزيرة الخضراء وقلعة بني سعيد ، واستولى الاسبان عقب المعركة على علم المقاتلين المغاربة ، وما زال حتى اليوم في كنيسة طليطلة العظمى ، وقد نجا السلطان ابو الحسن من الموت بأعجوبة ، ولحق ابو الحجاج بغرناطة على رأس فلول الجيش الاندلسي.

وبذلك انكسرت شوكة بني مرين تجاه الاسبان اثر هذه المعركة ، ولم يتسن للمغرب بعدها أن يعود الى الاندلس أرض الجهاد مرة اخرى ، كما أن سلطان غرناطة – من جهته – آثر بعدئذ مهادنة جيرانه النصارى ، فلم تقع بينه وبينهم وقائع حربية تذكر ، وذلك حتى نهاية حكمه ووفاته .

« اصلاحاته »

يشيد المؤرخون المعاصرون بعصر ابي الحجاج ، فقد ابتنى المصانع في كثير من مدن الاندلس كان بعضها قائما للصناعات المحلية ، والبعض للاحتياجات الحربية . ففي مدينة المرية – ذات المرفأ الحربي الهام – كانت تقوم « دار الصناعة » هذا الى جانب صناعة الحرير التي اشتهرت بها المدينة ، بالاضافة الى صناعة الحديد والنحاس والزجاج ، لما عرفت به اجوازها من وفرة المعادن والخامات .

كذلك اشتهرت مدينة مالقة بصناعة الفخار المذهب العجيب ، والثياب الموشاة بالخيوط الذهبية ، تصدر من هذا كله كميات وافرة الى الخارج ، حسبما يروي ابن بطوطة في « رحلته » حيث زار الاندلس على عصر هذا السلطان .

هذا ، وقد قام يوسف الاول بانشاء بعض القلاع والحصون ، وأخصها « حصن الببول » قرب مدينة بسطة ، كما جدد ما كان قائما منها ، كحصن جبل فارة بمالقة ، المطل من أعلا الجبل على البحر المتوسط ، والى هذا السلطان يرجع الفضل ايضا في تشييد السور الاعظم حول ربض البيازين ، الذي ما تزال بقية منه قائمة حتى اليوم خارج غرناطة ، ولا سيما في الجهة الشمالية الغربية ، تحصينا للعاصمة ، وسدا دفاعيا عنها .

---

1) القلقشندي صبح الاعشى ج 5 ص 160 .

2) وبهذا يذكرها الاسبان في مؤلفاتهم ، نسبة الى نهر سالادو المتاخم لبلدة طريف جنوبي الاندلس .

وينوه ابن الخطيب مؤرخ العصر بتلك المنشئات الحربية فيقول : « .. وبنى (ابو الحجاج) من الابراج المنيعة فى مثالم الثغور وروابي مطالعها المتذرة ، ما ينيف على اربعين برجا ، فهي ماثلة كالنجوم ، ما بين البحر الشرقي (الابيض المتوسط) من ثغر البيرة الى الاحواز الغربية » (1) .

اما الزراعة والتجارة فى عصر يوسف فقد بلغت شاوا عظيما ، وكانت لغرناطة علاقات تجارية بكثير من الدول ، وفى كتاب ابن الخطيب « معيار الاختيار ، فى وصف المعاهد والديار » (انظر مشاهدات ابـــن الخطيب فى بلاد الاندلس والمغرب . تحقيق د . العبادي 1958 م) اشادة بالرخاء الذي عم الاندلس على عهد هذا الملك خاصة .

الوبـــاء الهائـــل

هذا ، وتجدر الاشارة الى هذا الحدث — غير السياسي — فى عصر السلطان، الا وهو الوباء الخطير، ونكبته المروعة ، التي اجتاحت مطلقة حوض البحر المتوسط يومئذ (749 — 750 هـ / 1347 — 1348 م) فقد سقطت جمهرة عظيمة من الاندلسيين بسببه . فى مقدمتهم المشاهير من رجالات السياســـة والادب والعلم ، امثال الرئيس ابي الحسن علي بن الجياب ، رئيس ديوان الانشاء فى بلاط ابي الحجاج هذا ، وقاضي الجماعة الشيخ احمد بن محمد بن برطال فى هذا العهد ايضا ، الذي تحدث عنه ابن الخطيب فى احاطته ، ذاكرا انه « توفى — رحمه الله ، وعفا عنه — أيام الطاعون الغريب بمالقة ، فى منتصف ليلة الجمعة خامس صفر من عام خمسين وسبعمائة (14 يناير عام 1349) ، وخرجت جنازته فى اليوم التالي لوفاته ، فى ركب من الاموات يناهز الالف ، وينيف بمائتين ، واستمر ذلك مدة (2) » .

وقد ارخ الوزير المعاصر لسان الدين ابن الخطيب لهذه الكارثة ، وكتب عنها رسالة خاصة ، اسماها : « مقنعة السائل عن المرض الهائل » ، وصف فيهـــا ظهور المرض وملابساته ، وكيف انتشر بصورة مروعة على اوسع نطاق بالبلاد الاندلسية ، كما تحدث عـــن عوارض هذا الوباء ، وسبل التوقي منه ، وكيفيـــة علاجه ، وانهى الرسالة بدعاء واستغاثة بالله مـــن شره .. (3) .

كذلك تحدث عن هذا المرض شاعر المرية الكبير « احمد بن علي بن محمد ابن خاتمة الانصاري » (724 — 770 هـ) — بعد ان عصف الوباء نفسه بثغر المرية — فى رسالة خاصة ، اسماها : « تحصيل غرض القاصد، فى تفصيل المرض الوافد (4) .

مـأســاتـــه

قضى السلطان ابو الحجاج يوم العيد الاصغر فى مسجد الحمراء بيد مخبول مجهول القدر والصفة ، عاجله بطعنة نافذة ، بعد ان هجم عليه وهو ساجد ، اثناء ادائه سنة عيد الفطر من عام 755 هـ / 19 أكتوبر عام 1354 م ، ولم يتجاوز عمره السابعة والثلاثين الا باشهر قلائل ، رحمه الله .

اولاده

كان له من الابناء محمد وعائشة من حظيته بثينة واسماعيل وقيس وفاطمة ومؤمنة وخديجة وشمس وزينب من حظيته مريم ، واكبر الذكور محمد ، يليه اسماعيل ، واصغرهم قيس .

وقد تولى الملك من الابناء — فور مصرع أبي الحجاج — كبيرهم محمد الخامس المكنى بأبي عبد الله، والمعروف بالغني بالله ، وذلك حتى عـــام 760 هـ (1359 م) ثم ثار عليه اخوه اسماعيل الثاني ، الذي نودي به ملكا حتى عام 762 هـ (1361 م) حيث استرد محمد الخامس ملكه من جديد ، وبقي متربعا علـــى العرش حتى توفى عام 793 هـ (1392 م) .

اما قيس — اصغر اولاد ابي الحجاج — فقد مات مقتولا .

القاهرة : محمد كمال شبانة

---

1) الاحاطة ج 1 ص 517 « عنان » .
2) ابن الخطيب « الاحاطة » ج 1 ص 247 ، 267 ط « عنان » .
3) توجد هذه المخطوطة فى مكتبة الاسكوريال بمدريد ، ضمن مجموعة خطية ، وتقع فى عشر لوحات فقط (فهرست الغزيري 1780) . وقد قامت « مجلة اكاديمية العلوم البافارية الالمانية » بتحقيق هـــذه الرسالة ، وترجمتها الى الالمانية عام 1863 م .
4) ما زالت هذه الرسالة لم تنشر ، وهـــي مـــن مخطوطات الاسكوريال ايضا ، ضمن نفس المجموعة الخطية المذكورة (الغزيري 1780) .

أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين

سلا - الرباط

للأستاذ عبد الله الجراري

من بين مؤلفات الكاتب الاستاذ عبد الله الجراري ـ كتاب : « أعلام الفكر المعاصر ـ بالعدوتين ـ الرباط وسلا ... »
وقد اقترح بعض الاخوان على الاستاذ الجراري ان يضع لهذا المؤلف مقدمة ـ كتعريف به وبرجاله ـ في عرض لمراحل التعليم قديما وحديثا ـ طلب منه نشرها على حدة ، وبالفعل مثلت للطبع وفي الايام القريبة ستطلع .
ودونك ايها القاريء فاتحتها أولا ، ونموذجا مصغرا من محتوياتها ثانيا :

بسم الله الذي لا يستعان الا به

والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله

وبعد ما اتممت تأليفي : من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين ـ الرباط وسلا ـ اقترح علي ان اضع عليه مقدمة وفعلا لبيت الاقتراح وكتبت المقدمة راغبا ان تكشف ما انطوت عليه الدراسات في عهودها العتيقة من الكتاب ومراحله ، الى المسجد (المدرسة الاولى) وما لعبه كل منهما في تعليم وتهذيب النشء عبر التاريخ ، الى ان فاجأ الاستعمار البلاد ، واندفع يؤسس المدارس والمعاهد ، واضعا برامجه ومناهجه المنبثقة عن غايات تبشيرية خطيرة في مقدمتها اضعاف اللغة العربية ووضع حصة ضئيلة منها في برامجها كخيال وتمويه تستهوي بها سطاء العقول من المواطنين للاقبال على تعليمها ، والتسابق على مقاعد مدارسها الجديدة ، ورغم ما كانت تقوم به من مرغبات ودعوات بوساطة عملائها كان الناس يحاربونها ويقاطعون من دفع بأبنائه في جحيمها . هذا في المدن اما في القرى والبوادي فكانت السلطة ترغم رجال القبيلة من قواد وشيوخ ومقدمين وباقي السكان على حشر ابنائهم في معاهدها الاستعمارية لحد سجنت معه بعض الممتنعين من ادخال اولادهم اليها .

واذ رأى الواعون من ابناء المغرب خطورة الموقف وحراجة المآل على مستقبل الاولاد ـ فكروا في وضع تعليم يحفظ عليهم لغتهم ومبادئهم وينقذهم في ذات الوقت من سموم المدرسة الجديدة ـ فكانت النتيجة وضع تعليم حر يصطبغ بصبغة الجدة في تنظيمه وبرامجه مع الحفاظ على مقومات اللغة والدين كل هذا تحت ستار الكتاب القرآني والسير به نحو تطوير يرفعه الى مكان يضمن تثقيف المنخرطين في صفوفه ولكن في حذر اذ كان الاستعمار يرصده في رقابة صارمة لحد كان لا يطيق معه سماع كلمة مدرسة ان هو الا المسيد بكل ما له وما عليه ـ كما سيراه القاريء داخل المقدمة .

ولكن ما بعد الشدة الا الفرج فقد شاءت الاقدار ان يعتلي عرش المغرب بطل من ابطال الدولة العلوية ـ هو المغفور له محمد الخامس الذي كانت فرنسا ترى فيه ساعدها القوي فيما وضعت وتضع من خطط ، وتنشده من اطماع واهداف طالما حاكها الساسة من رجالها ، بيد انها ظنون باءت بالخيبة اذ اصبح العاهل مع شعبه

الوفي يدا في يد لايفكر كالكتلة الحرة وراءه الا في صالح الامة ، والسير بها الى ما يتفق وكرامتها ــ فاتجه اول ما اتجه الى نشر العلم وفتح معاهده في اطراف المغرب جنوبا وشمالا شرقا وغربا . فكنت لاتسمع الا حجرا اساسيا يوضع لمعهد هنا او مدرسة تفتح هناك ، هكذا والحماس ينمو في النفوس ــ وجذوة التحرر تتأجج في الشرايين مندفعة عن طواعية للبذل في سخاء وتنافس ، وعم التعليم الجنسين ــ فتية وفتيات على حيطة اتخذت حول تعليم الفتاة رغم ما كان يلاقيه تعليمها من معارضة ، على انه ــ كانت بالمغرب منذ عصور بعيدة الى تاريخنا المعاصر دور لتعليم البنات تعليما بسيطا لا يكاد يعدو رفع الامية في بساطة مع حفظ سور من الذكر الحكيم . كما كانت دور لتعليم بعض الصناعات اليدوية من خياطة وطرز وما يمت اليهما بصلة مما لا يسمح للفتاة كربة بيت ينتظرها ان تجهله .

نعم فاجاها التعليم الجديد وانفمرت في معاهده كاخيها الفتى رغم الاشواك التي كانت تعترضها في الطريق .

ثم فكر الشعب في نقطة حيوية هامة هي الخروج من الامية البغيضة فقام يعالج المشكل ويقاومه خصوصا من فاتهم التعليم ابان الشباب لعارض يتم او فقر فاخذوا يسترجعون ما ضاع في حسرة وندم ــ سالكين في هذا التعليم ما خطته الشعوب الاخرى في تصميماتها من طرق المقاومة ، غير ان قوة الاستعمار الغاشمة كانت تحول دون هذا التعليم وتسعى بكل جهودها لاقباره في مهده كما سنرى ذلك بعد .

وجاء الاستقلال بعد كفاح مرير كان في حظيرته ابعاد المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه هو واسرته الكريمة الى منفى سحيق (مدغشقر) بيد انها محنة فاتنة ! تنطبق عليها الحكمة المأثورة « كم من نقمة في طيها نعمة » فتجدد الحماس في النفوس وقويت حساسية المغامرة في يقظة واعية لحد التضحية فقام الشعب المغربي يكافح ويطالب بالتحرر وعود صاحب العرش الى عرشه مستميتا الى النهاية ، فلم يلبث ان عاد المبعد رحمة الله عليه حاملا راية النصر والتحرير ، واستانف الرسالة من جديد في حيوية انشط واجدى ــ مرددا في غير ما فرصة : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » (1) ولافتا نظره السديد نحو سائر المرافق الجديرة بالاهتمام ــ اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا ــ خاصة منها المعرفة ومحاربة الجهل المتفشي في الاوساط مكملا رسالته الخالدة التي كانت هجيراه منذ اعتلائه على عرش اسلافه المنعمين . كما تكفلت المقدمة ببسط ما امكن من مراحل ايجابية في تسلسل موجز ومشوق يبعث على ترقب ما ضمه الاصل من اعلام الفكر بالعاصمة ــ وشقيقتها سلا ــ راجيا من الله تعلى التوفيق .

المؤلف

ثانيا : الكتاب القرآني اثناء رمضان :

يتقمص المكتب القرآني ايام رمضان حالة جديدة غير ما كان عليه قبل ــ فكبار التلاميذ يضعون الالواح (يعلقونها كما يقولون) وفعلا تعلق في مسامير خاصة يسلك فيها عود من خشب معوج الطرف كالمحجن يحمل ما شاء الله من الواح . ثم ياخذون في دراسة القرآن الكريم وتكراره متهيئين لاداء التراويح في اختلاف المساجد . وحتى الصغار الذين استظهروا حصة من الكتاب يدربون بنفس « المسيد » على اداء التراويح بما معهم من محفوظ ، وبين العشاءين يصحبهم المعلم الى المسجد الذي يؤم فيه كامام راتب او يؤدي فيه التراويح ايام رمضان ، ويقدمهم بعد صلاة العشاء لاداء التراويح بالمصلين ــ بحزب او نصفه ، فاذا فرغ تقدم آخر برعاية المعلم ، وقد يحضر ابو الطفل او وليه رغبة في رؤية ابنه او قريبه يستظهر آيا من الكتاب العزيز وقد تقدم للتراويح بها وخلفه جماعة من المصلين ــ انها وايم الله لخصلة حميدة يمرن الصغار بها اداء الصلوات وتمكنها من انفسهم ــ

« فصادف قلبا خاليا فتمكنا »

ومن مظاهر رمضان التي تلفت النظر اكثر ، ويصبح « المسيد » معها ــ مدرسة فنية تعنى بالرسم وتهيىء تلاميذ ــ لما عرف بـ « للا بيض » فتوقف الواح الدراسة كما اشير اليه قبل ويامر المعلم الصغار

---

1) قالوا وما الجهاد الاكبر ؟ قال : جهاد القلب ، قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الالسنة ، وهو من كلام ابراهيم بن علية انتهى انظر الجزء الاول من كشف الخفا ص 424 .

— ان ياتي كل واحد ببيضة (1) وحامضة — ليمونة — وقدر من النقود لتزوق لوحته التي يدرس بها القرآن، او ياتي بورق سميك لهذه الغاية ؛ ثم يشرع الفقيه في تهييء ادوات العمل الفنـي ؛ فيحضر الورق الابيض الجيد الذي يلصق بالالواح او ما يقوم مقامها ؛ كمـا يحضر الالوان (الاصباغ) احمـر واصفر واخضر وازرق — لتحل في دوايا خاصة ذات عيون تبلغ الواحدة احيانا العشرة او تزيد — كل لون يوضع في عين وتعرف هذه الدواة بـ « المجمع » يصنع من فخار بمعمـل الفخارة ويطلى بطلاء أزرق كانه مقور (2) يعطيه رونقا مع تزويق وترخيم جوانبه وتقشيهـا ، وتحضر كذلك مساطر واقلام — كالمسطار (بكـار) المعروف عنـدنا بـ (الدبـد) .

وبعد ايجاد هذه الادوات وتهييئها — يشرع كبار التلاميذ في العمل فيبداون بتجليد بعض الالـواح بالورق ، واثر جفافها . . ياخذون في الرسم بالمسطار او (الدبد) واضعين عليها أشكالا بديعة من التراخيم والترويق الرقيق — البسيط منـه والمركب حسب مقدرة الرسام وباعه في الفن ، بل وابتغاء صاحب اللوح وطلبه ، اذ هناك انواع من الرسم — منها نوع يسمـى القصبة — وهو عبارة عن رسم يحتوي اعمدة في طـول الى عاو على صورة — مخروط — هندسي . ومنهـا المربع الذي ترقم جوانبه بتراخيم هندسية بداخلهـا بلاليط وتعاريج فنية جذابة .

وفي هذه الاثناء يكـون بعض التلاميـذ ازاء الرسامين قصد الاقتبـاس منهم والاخـذ عنهـم مايستطيعون الوصول اليه من فن الرسم الذي لـه مزيته في شحذ الاذهان واذكاء العقول .

اثر هذا ياتي دور التلوين وتناسب الالوان بعضها مع بعض في الوضع والتنسيق حيث تجذب النظـر وتلفته الى تنسيقها وترتيبها .

في هذا الوقت — يكلف الرسامون بعض التلاميذ بمساعدتهم على التلوين ، ويصبحون وقتئذ كمدربيـن على الفن يتمرنون عليه بتلوين الالواح المعبر عنهـا في اصطلاح الكتاب بن « التعمار » بل منهم مـن يحمـل المسطار (الدبد) بمجرد مشاهدته تسطير لوحـة او لوحتين ، ويجعل يرسم رسما قد لايفرق بينه وبين رسم — الكبار من التلاميذ .

لـذا تكون هذه الفترة من السنة التي تصادف شهر رمضان — فترة ملحوظة في الكتاب العتيـق — تساعد التلاميذ على التدرج الى ميدان الفن ، والفـن الجميل الـذي يذكـي فيهم روح التريث والترتيب والتنظيم ووضع الاشياء في نصاب ونسق رتيب ؛ وغير خاف ما للفن اليوم من عنايـة واعتبار في النفـوس والهيآت والمتاحف ، مما أصبح له أبطال عالميون بمـا سطروه من الواح زيتية فنية نالت الاعجاب والتشجيع المشرف حيث يحصل رساموها على جوائـز قيمـة واحيانا تشترى باثمان باهظة لتعلق في صدور الحجرات والقاعات رغبة في ان تكون امام الانظار والعيون تتملى من لحظة لاخرى بالنظر اليهـا .

لهذا يكون تلاميذ المكتب العتيق استيقظوا قبل سباقين الى ميدان الفن مقدرين قيمتـه ومزيتـه ، ومعبرين عنه بريشتهم احسن تعبير قبل ان يدرج في خانته أبناء العصر الجديد ، وتظهر به المدرسة الحديثة كشيء مبتكـر غريب .

وعندما تكاد عمليات الفن تشرف على الانتهـاء — يطلب مدير المكتب ومسيره من التلاميذ : « حـق اللوحة » للا بيض ، وفكها ليحملها الى منزله يوم ستة وعشرين رمضان (ليلة القدر المباركة) — وحق العيد المعروف — بحق لعواشر — وعشية اليوم يطلق سراح التلاميذ حيث يقضون آخر رمضان وسبعة أيام مـن شوال — في راحة هي عطلة العيد .

ومما جرت به عادة الاطفال — انهم ينشدون على لوحهم المزوق نشيدا طال العهد به ؛ وقد لا يعرفـه ويسمع به النشء الجديد اليوم : « لال بيـض بيـض واعطن وحد البيض باش نزوق لوح لـوح عنـد الطالب الخ

نشيد ماحون يشيد باللـوح المزخرف والفـن بالطبع — في توحيد وايمان ببعض السمعيات كالجنة ، والتضرع اليه تعلى في تحقيق المتمنى والرجـاء اللذين يعدان في مقدمة رغائب المؤمن المسلـم .

الرباط — عبد الله الجراري

---

1) البيضة وما معها لا دخل لها في الادوات وانما هي للمعلم خاصة في رمضان الذي لابد فيه عـادة مـن الحريرة وهي لاتستغني في خليطها غالبا عن البيض بماء الليمون تحسينا يضفي عليها لذة طيبة .

2) المقور كمعظم المطلى بالقطران .



محمد الأمري

هناك حقيقة تواجه الدارس للادب المغربي بصفة عامة ، وهي انه غالبا ما ترسم خطى الادب بالمشرق ، وقد كان ذلك منذ العصور الاولى التي عـرف فيها المغرب والاندلس الاسلام واللغة العربية ، بفضل الفتوحات العربية ، وكان الامر كذلك منذ انبثاق عصر النهضة الادبية بالمشرق .

ففي ميدان الشعر لا يماري احد فيما كان لشعراء الشرق من تاثير على الشعراء المغاربة ، كما لا تعزب عنا مختلف الاصداء التي كانت تتردد هنا لمختلف المدارس الشعرية هناك ، وفي ميدان المقالة كذلك ، ولعله الميدان الذي نستطيع القول بانه يتوفر على نتاج ضخم يجنح الى الجودة في غالبه .

اما في مجال القصة ـ وكما هو الامر في المقالة ايضا ـ فان هذا التاثير كان يصحبه تاثير آخر ليس مصدره الشرق ، ولكن اوربا وفرنسا بصفة خاصة ، على انه ان كان مباشرا عند البعض ، فلقد كان عند البعض الاخر بصورة غير مباشرة ، وعن طريق الشرق نفسه انتاجا او ترجمة . وقد انفتحت امامه آفاق ادبية جديدة ، فهب ادباؤه يتمثلون هذه الآفاق وينزعون الى التاثر بها .

لقد كان هناك تاثر اذن ، على الرغم مما كان يدعو اليه بعض الادباء المغاربة ، فهذا الاستاذ الطريس يقول في بعض مقالاته المتسلسلة تحت عنوان : « الحياة الادبية ببلادنا » والمنشورة بمجلة « المغرب الجديد(1) » « فليس من المتعين علينا ان نتبع الشرق ولا الغرب، وليس من حظنا أن نتكلف في اختيار نوع التعبير عن عواطفنا » .

وهذا الاستاذ الناصري يقول في بعض مقالاته: « ... اما من يفكر بعقل مغربي ، ويحس باحساس مغربي ، وينظر الى الاشياء كلها بعين مغربية صافية ، ويتسلح بكل الثقافات دون أن تفنى شخصيته الخاصة في واحدة منها ، فذلك ما لا يزال قليل العدد في هذا البلد (2) » .

ويقول الدكتور تقي الدين الهلالي في مقال : « في سبيل الدفاع عن الكرامة القومية » .

« والمقصود هنا دعوة أهل وطني الى الاقتصاد في مدح آداب غيرهم ، واحتقار آدابهم وحثهم على ترك التقليد (3) » ومثل ذلك قاله آخرون مع اختلاف في اللهجة اعتدالا او تطرفا ، كما جاء في مقال « الادب

1) العـدد 13 السـنة الثانيـة .
2) نفس المجلد ـ العـدد 11 ، السنة الثانية
3) المغرب الجديـد عـدد 14 السنة الثانيـة .

العربي المعاصر في الشمال الافريقي » للكتاني :
« فهذه مصر نرى اتجاهها الادبي يسير نحو هدم ما للعربية من آداب وفنون ، وجعل الادب الغربي هو الكل في الكل تفانيا في حب الجديد ، وتسترا باسم الاصلاح ، وتلك لبنان تسرع بخطى هوجاء نحو اللامذهبية الادبية ، وتندمج برعونة في قشور الادب الاجنبي (1) .

ثم ان الظاهرة التي تصحب هذا التاثر تتمثل في انه ياتي متاخرا ، بمعنى ان بعض المدارس الادبية قد تظهر بالشرق ، في حين نجد ان ادباءنا ما زالوا يدورون في فلك المدرسة التي ظهرت قبلها ، وانا هنا اعني الاتجاه الغالب ، والا قد لا نعدم بعض المبادرات الا انها لا تعد شيئا اذا قوبلت بالاتجاه العام ، كما انني اعني في نفس الوقت التاثر في المستوى الذي يجنح الى الجودة ، ونستطيع ان ناخذ كمثال على تاخر الاستجابة قضية الشعر الحر ، ولا نعدم امثلة اخرى من مختلف الفترات السابقة .

كان لابد من هذه المقدمة لنؤكد حقيقة واقعة لن يعمينا التعصب عن انكارها ، وليس من الانصاف للحقيقة تحمل البراهين لاثبات عكسها ، واذا كنا لا ننساق هاهنا وراء التشعب في تعليلها ، فاننا لا ننسى ذلك التعليل البسيط الذي يتمثل في ان وطننا يقع في بقعة اعتبرت احقابا طويلة في نهاية المعمور ، بعيدا عن مراكز الحضارات القديمة ، فكان اجدادنا في مختلف العصور يترقبون الطارق ، وكل طارق ياتي بجديد ، ومن هذا الجديد ما وقع الاقبال عليه واحتضن احتضانا ، ثم وقع النسج على منواله ليس في المجال الادبي فحسب ، ولكن في مجال الحضارة بصفة عامة ، وليس من الشرق فقط ، ولكن من الشمال ايضا يوم كانت هناك اندلس اسلامية ، ومنها بصفة او اخرى يوم صارت مسيحية، ومن جارتها فرنسا بشكل اقوى منذ عهد الحماية ، ونتيجة الاحتكاك وبرامج التعليم على ذلك العهد .

فهل كان محتوما علينا ان نكون كذلك ، اي ان نكون قاصرين عن الابتكار ؟ ! ابتكار شيء جديد يحدو حذونا فيه هؤلاء واولئك ، لقد ابتكروا هناك بالشرق فن المقامة ، وابتكر الاخرون بالشمال بالاندلس الاسلامية فن الموشحات ، واولئك وهؤلاء فن الازجال ، فماذا ابتكرنا نحن من هذا القبيل ؟

1) نفس المجلة ، عدد 15 ، السنة الثانية .

واذا وجدنا هناك من مجال كنا احسن حالا فيه من هذه الناحية ، فليس هو الادب بحال من الاحوال ! !
والمجال امامنا فسيح للبحث في هذه الظاهرة من جوانب مختلفة ، يتطرق عالم الاجتماع الى الظواهر الاجتماعية عندنا أصولها ونتائجها وتطوراتها ، ويتطرق المهتم بالحضارة الى مختلف المظاهر الحضارية ، اصولها ونتائجها وتطوراتها كذلك ، ويتطرق الناقد الى الناحية الثقافية والادبية دون ان يكون في غنى عن ابحاث هذا وذاك ! !

اما في مجال القصة ، فاننا ظللنا زمنا ننتج فيما ننتج من ادب — وكما كان اشقاؤنا بالشرق — فنا ادبيا أقرب الى القصة هو المقامة ، الا اننا لم نستطع طيلة الربع الاول من هذا القرن ان نطور هذه المقامة وندخل عليها عنصري التحليل والنقد الاجتماعي كما فعل أشقاؤنا بالشرق .

فنحن نقرا مثلا : « المقامة المكناسية » للاديب المرحوم محمد غريط دون ان نجد فيها من التحليل والنقد الاجتماعي ما نجده في « حديث عيسى بن هشام » للمويلحي ، و « ليالي سطيح » لحافظ ابراهيم ، و « ليالي الروح الحائر » لمحمد لطفي جمعة، على الرغم من انها تعتمد كلها اسلوب السجع.

فالمقامة المكناسية وصف لرحلة قصيرة قام بها بطل المقامة « المتجول بن السائح » الى مكناسة . — والراوي هنا بدون اسم — فوصف هناك ما راى من بعض المآثر التاريخية ، وبعض المظاهر العمرانية الحديثة ، وقد يثير في نفسه بعض ما رآه من بعض المشاهد والذكريات ، فساحة (الهديم) « حيث القياطين والموازين المرفوعة ، والبضائع الموضوعة » تذكر بطل المقامة — ولا يخال الا الكاتب نفسه — بـ « جامع الفناء » من مراكش الحمراء « حيث الصبا متوقد أشهابه ، والهوى منفتحا بابه ، والعيش رائقا شرابه » ومروره بدار ببعض الاحياء بمكناس يذكره ببعض ذكريات صباه بهذه المدينة ، « ووقفت بدار كنت بها أمرح ، وأؤلف متون اللعب واشرح ، وانا بما دون سبعة اعوام لا اصيخ لعتاب ولا لملام ، فكنت أرى الدرهم دينارا ، والعصا مكحلة تقذف نارا ، والقصبة حصانا ، والسطح ميدانا ، والصبابة حوضا ، ومفرس التمامة روضا ، ولا أرى غير المربية

والمعلم من الانـام عـدوا جافيـا ، ولا غير الاربعـاء والخميس حبيبا وافيا (1) » .

فاذا استثنينا السابقتين وفيهما بعض التحليل والنقد ، « شعور الطفل نحو مربيته ومعلمه ، وفرحه ليومي العطلة » لا تجد في باقي المقامة الا وصفا هو على دقته لا يرقى التحليل النقدي ، ولا يخلو من جمال في الاسلوب على طريقة مدرسة السجع .

على ان نوعا آخر من القصة ظهر خـلال العقـد الثالث من هذا القرن هو القصة التاريخية ، ولا شك في ان هذا النوع من القصص ظهر عندنا نتيجة شيوعه بالشرق ، في كثير من الصحف والمجلات او في بعض الكتب الخاصة ، لقصاصين من مثل جرجي زيدان ، ونقولا حداد ، وفرح انطون ، ويعقـوب صـروف ، وشكيب الجابري وغيرهم . ونستطيع ان نسوق على سبيل المثال قصة « ذكرى المولد النبوي الشريف في قصر البديع » للاديب المرحوم الحاج محمد بنونة ، في القسم الثاني (2) ، لان القسم الاول كان وصفا للقصر حسب روايات المؤرخين ، مع التذكير بانه سيتناول موضوع الاحتفال بذكرى المولد النبوي بهذا القصر « بهذه الصورة البسيطة : صورة العـرض السـاذج البعيد كل البعد عن اسلوب البحث العلمي ، وهـي طريقة فيها تمتع بدون لغوب ، وفيها لذة لا تضني الفكـر » .

ويلفت نظرنا في القصـة ـ على الرغـم مـن أن صاحبها لم يطلق عليها هذا الاسم ـ اختفاء اسلوب السجع ـ الا لماما ـ ليحل محله الاسلوب السردي الرشيق ، الحافل بالتصوير الدقيق ، والخيال الرائق الجميل ، ولا يخلو من تشويق لذيذ ، وهناك قصة : « مؤامرة على شاعر تديرها امرأة (3) » لكاتب مجهول امضاها ب « ابن المقفع » ، وفي هذه القصـة يدخل عنصر آخر هو عنصر الحوار ، ويعتمد احيانا على قال ... وقالت ... ويخلو منهما احيانا اخرى ، كما ان القصة ـ ويبدو انها معتمدة على بعض النوادر الواردة في كتاب الاغاني ـ لا تخلو من عقدة .

وفي هذه الفترة ظهرت القصة الاجتماعية التي يعد الاستاذ عبد الخالق الطريس من أول من طرقها ، فهو في قصته « فاطمة » يخرج بالقصة المغربيـة الى المجال الفسيح الذي انفتحـت آفاقـه امام القصـة العربية على العموم .

فاذا انتقلنا الى الفترة الثانية ، وتمتد من بداية العقد الرابع الى بزوغ الاستقلال لاحظنـا ان القصـة اخذت تحتل مكانتها في الصحف والمجلات المغربيـة ، ولا يكاد يخلو عدد منها من قصة موضوعة او مترجمة ، على أن ابرز قصاصي هذه الفترة هـم الادباء : احمـد بناني ، وعبد الرحمن الفاسي ، وعبد الهادي الشرايبي ، وعبد القادر بن الهاشمي ، واحمد الزغاري ، وعبد الله ابراهيم ، وقاسم الزهيري ، والفنـان المرحوم عبـد الكريم بن ثابت ، وعبد المجيد بن جلون ، وعبد الكريم غلاب ، وعبد العزيز بن عبد الله ، واحمد زياد ، وعلى الرغم من التفاوت الموجود بين هؤلاء سواء من حيث غزارة الانتاج القصصي او قلته ، وطريقـة العـرض والاسلوب فان هؤلاء ابرز من يمثل هذه الفترة ، واذا كان هناك من قاسم مشترك بينهم فهو انتزاع موضوعات قصصهم من المجتمع او التاريخ المغربي ، فالكاتـب احمد بناني في قصصـه « خابيـة (4) لا تمتلـيء » و « وفاء لفاس (5) ووفاء للحب » و « الفقيه البركة » و « صاحبنا (6) » يغلب عليه روح النقد الاجتماعي في اسلوب لا يخلو من سخرية لاذعة تذكر بالجاحظ من ادباء العربية ، ففي « خابية لا تمتلىء » تراه يذكـر بعض الأسـاليب التي يلجأ اليها باعة التحف الاثريـة لحمل السياح على الشراء ، وهي اساليب في معظمها غير شريفة ، الا انها على الرغم من تنوع النمـاذج التي ساقها الكاتب في هذه القصـة لم تثر اهتمـام السائح الامريكي الذي كانت مهمته تنحصر في البحث عن جزيرة « الاطلانتيد » التي طواها المحيط ، وكان اهلها يجعلون حمقاهم في مارستان خاص ، ويكلفونهم بملء خوابي مثقوبة ، وهذا ما حفز المجلس العلمـي الامريكي الى ايفاد العالم طوماس الى فاس عند ما بلغ الى علم المجلس وجود مارستان بهذه المدينـة يكلـف حمقاه بملء الخوابي المثقوبة ! ! .

---

1) مجلة النبوغ ج 1 سنة 1939 .
2) العدد 14 السنة الثانية من مجلة المغرب الجديد .
3) مجلـة النبـوغ المجلـد الاول 1939 .
4) الثقافـة المغربيـة ، غشـت 1941 .
5) الثقافـة المغربيـة شتنبـر 1941 .
6) رسالـة المغـرب ، س 9 ، عـدد 89 .

وفى قصة « الفقيه البركة » تتضح لنا خطة الكاتب فى النقد الاجتماعي حيث يصف هنا نوعا آخر من الناس اتخذ اسلوب التدجيل لنيل الحظوة والاحترام ، وشخصية الفقيه البركة ترمز لهذا الصنف من النصابين .

واذا كان الكاتب قد استطاع في «خابية لا تمتلىء» التخلص من اسلوب المقامة ، فهو هنا وفى قصة « صاحبنا » لم يستطع التخلص منه نهائيا ، وربما كان يقصد الى ذلك قصدا حتى يستطيع ان يغرق شخصية قصته فى لجة من السخرية على طريقة الجاحظ وصنيعه فى « رسالة التربيع والتدوير » مع ابن عبد الوهاب ؛ « وقيل عنه : ان اقل ما يحسنه احالة الذكر الى انثى ، والانثى الى ذكر ، والماء الى حجر ، والحبل الى ثعبان ، والتراب الى ذهب رنان .. » ومثل ذلك يقال فى قصة « صاحبنا » التي تصف ضربا آخر من النصابين ، ويمكن القول بأن قصتي « خابية لا تمتلىء » و « وفاء لفاس ووفاء للحب » تمثلان اكتمال الفن القصصي عند الكاتب فى شكله الحديث ، حيث استطاع التخلص فيهما من اسلوب المقامة نهائيا ، دون أن يخرج فيهما معا عن غرض النقد الاجتماعي الا انه فى هاتين القصتين لا يلجأ الى طريقة التهويل والتشويه ، وانما يكتفي ببعض اللذاعات الساخرة على طريقة القصاص الروسي دستوفسكي .

(يتبـــع)

الرباط : محمد الامري

— حـــزم —

قـال الجـاحـــظ :

قال رجل بخيل لغلامه : هات الطعام واغلق الباب ، فقال هذا خطأ ، بل اقول : اغلق الباب وهات بالطعام ، فقال له الرجل: انت حر لعلمك بالحزم .

القومية المغربية

انعكاسات في أدب القرنين العاشر والحادي عشر

للأستاذ : محمد حجي

- 4 -

ولعبد الرحمن التمنارتي دالية مطولة (103 بيت) يتفجع فيها على تدهور الاحوال فى المغرب وعودة المسيحيين الى احتلال الثغور بعد ان مكنهم المامون السعدي من العرائش داعيا الى مقاومتهم ورد عاديتهم بل والى غزوهم فى عقر دارهم . وسلك فى هذه القصيدة مسلكا غريبا اذ مهد بذكر دول المغرب من الادارسة حتى السعديين مشيرا بصورة خاصة الى امجادهم واهم معاركهم الظافرة ، مثيرا الحمية الوطنية فى بني قومه ليكونوا اباة اسيادا كاسلافهم . وبعد أن يفصل احداث الزلاقة والارك ووادي المخازن ، يلخص اعمال ملوك المغرب فى قوله :

فكم من ديون قد قضتها سيوفهم
على الكفر لم تمطل بهن عهود

وكم نسفوا من قرية بعد قرية
بأرض النصارى والانام شهود

روينا عن ابناء الزمان حروبهم
أحاديث منها قائم وحصيد

ثم يذكر بحسرة ما آلت اليه الاحوال فى هذه البلاد :

وقد افلت تلك المعالي شموسها
وضم بنيها فى الوهاد لحود

وسامنا سوء الهون من كل ترعة
بنو اللؤم قالوا ما بفيل اسود

فعرش منهم بالعرائش ثلة
شجت كل حلق والفؤاد تؤود

... فيالأسود المغربين تنبهوا
فقد طال ما انتم فى الغي رقود

... لدى مثلها تقضي السيوف مع القنا
ويلبس فيها مغفر وزرود

وشهب وشقر واضحات شياتها
وجرد لها منها عليها شهود

... خفافا ثقالا فانفروا وتجهزوا
امامكم النصر العزيز يقود

لئن اخلدت منا النفوس الى الثرى
فانى لنا دار النعيم خلود

... كأني باجيل النصارى تدكدكت
اذا نشرت يوما عليها بنود

فان تمتروا فادروا مشاهد من مضى
تؤيد عزمنا ضل عنه بليد

ولما استولى يحيى الحاحي على سوس فى اواخر العقد الثالث من القرن الهجري الحادي عشر ، سارع الى الاستنجاد به وقدمن مدينة سلا — وكانت آنئذ مهددة باحتلال الاسبان ، والملك السعدي زيدان فى مراكش عاجز عن انجادها — وقرىء كتاب السلويين فى الجامع الكبير بتارودانت ، وفيه شرح ضاف لما

أصابهم من العدو الرابض بالقرب منهم في المهدية المعمورة ، وما يتهددهم به من العز والكسح . فكتب التمنرتي رسالة (مفتوحة) في 25 جمادى الثانية عام 1025 الى جميع السوسيين يستنهض هممهم للجهاد والدفاع عن ذلك الجزء المهدد من الوطن ، مطلعها : « الحمد لله الذي قرن نصرة الدين باجتماع كلمته ، والف بين قلوب عباده المومنين في الذب عن حماه بعزته وحكمته . . . » . وانشأ خطبة في تحريض المقاتلين وبعث الحمية في نفوسهم ليخطب بها بعد تكامل الجيوش التي استنفرها يحيى الحاحي ، مطلعها : « الحمد لله الذي وعد المومنين النصر والظهور ، وجعله حقا عليه بمحض الفضل على مرور الازمان والدهور . . . » . والرسالة والخطبة موجودتان في مخطوطة الفوائد الجمة ، فلا نطيل بهما .

وفي أوائل عام 1039 / 1629 اخذ الاسبانيون يعدون – في تكتم – حملة كبرى للهجوم على المغرب مثلما فعل البرتغاليون من قبل بقيادة سبستيان ، وجمعوا لذلك اسطولا قويا في مرسى مالقة يضم 66 سفينة حربية ، واستنجدوا بالامم النصرانية الاخرى ليمدوهم بالرجال والعتاد والمؤونة فيشنوها حربا صليبية لا تبقي ولا تذر . وكانوا يقصدون النزول بثغر سلا . وتسربت اخبار الحملة الى التطوانيين فكتبوا رسالة عجيبة في الصنعة الانشائية (سجعا وتنميقا) آية في الشعور القومي والغيرة الوطنية ، وبعثوا بها الى اهل فاس يستنفرونهم ويستنصرونهم . والرسالة غفل لم يذكر اسم منشئها ، وان كنت ارجح – لاسباب – انها للامام العربي ابن يوسف الفاسي (المتوفى عام 1052 \ 62) . وبعث التطوانيون برسائل مماثلة الى السلويين المعنيين بالامر والى غيرهم من ابطال المقاومة في مختلف انحاء البلاد المغربية وجاء في تلك الرسالة : « الى اجلة الشرفاء والقضاة والفقهاء ، والخطباء والاعيان والنبهاء ، وحملة السيوف والاقلام ، وسائر الكافة من الخواص والعوام ، من اهل الحضرة الفاسية المحروسة (. . .) وان مما وجب به اعلامكم ، ليصرف الى ما يجب اعتناؤكم واهتمامكم ، ان النصارى – دمرهم الله – تواترت الاخبار لدينا عنهم ان طاغيتهم القائل الراي ، الخائب السعي ، قد وسوست اليه امنيته ، وانشبت اظفارها فيه بحول الله منيته ، ان يقصد باسطوله هذه العدوة ، ولعله اتخذ الخالي قبله قدوة . فاحتفل في جمع عمارة هي بحول الله من النصر فارغة ، وللمسلمين ان شاء الله تعالى غنيمة سائغة ، اشتملت الان على ستة وستين غرابا دون السفائن التي بين الكبار والصغار ، والله يلبس جميعهم الذلة والصغار . وهم الان بمرسى مالقة – اعادها الله – ينتظرون ما يرد عليهم من اممهم من المدد ، ويتكامل لزبهم من العدد والعدد ، وقد استعدوا بكل وجه يقدرون عليه ، وتنتهي طاقتهم اليه ، من عدة القتال ، وآلة المحاصرة والنزال ، مما يحتاج للهد والهدم ، والبناء والرم . وقد كانت هذه الامم الكافرة فيما سلف من السنين القريبة متنافرة ، فالان قد الفتهم دعوة التثليث ، وتنادوا الى غزو الاسلام والله المغيث . ونحن نستعين على الثلاثة بالواحد ، ونضرب بالتوحيد وجه كل مثلث جاحد . وكل شيء ما خلا الله باطل ، وجيد محلى بغير التوحيد عاطل . وعظم ما يتوقع من عبورهم ، ونزولهم بثغورهم ، زلزلة سلا في البر والبحر ، والله يرفع ما يتوقى من هذا الامر . وان كان لذلك البلد من هذا الامر حظ التعصيب ، فلكل ثغر بل بلد من ذلك سهم ونصيب ، على ان الاسلام يسلمه ولا يسلمه ، ومن مكر الماكر وغدر الغادر يحفظه ويعصمه ، وان اتسعت اقطاره ، وتنائت مدنه وامصاره جسد واحد ، ان اشتكى بعضه اشتكى كله ، ويؤلم الجمع ما يؤلم المفرد كثره وقله . فكتبنا الى تلك الحضرة التي هي قاعدة الاسلام ، المحتوية على جملة من حملة السيوف والاقلام ، والبلد الطيب المخصوص بجزالة الاراء واصالة الاحلام ، من الاسد المسارعة الى نصرة دين النبي عليه الصلاة والسلام ، لتاخذوا لفرض الواجب ما يستحقه من الاهبة ، وتتقربوا من ذلك الى الله تعالى باعظم قربة ، وتعرفوا بذلك من اليكم تعريفه من قبائل المسلمين واجنادها وانجادها ، وتبلغوا مبلغ الجد في استنفارها واستنجادها ، في اغوارها وانجادها . وليس يحتاج مثلكم ان يولع الى تحريض على الجهاد ، وحض على الجد فيه والاجتهاد ، فان وجوب ذلك كالشمس ليس لها حاجب ، وانتم اعرف الناس بالفرض والواجب . وقد عرفنا اهل هذه الثغور خصوصا اهل سلا ومن اليهم من الخاصة والجمهور . اما احوالكم من هذا الثغر فعلى حال تسركم ان شاء الله ، قد بذلوا المجهود في الاستعداد ، وبلغوا المقدور في استجماع آلة الجهاد ، وقد جعلوه نصب اعينهم ، وعمارة قلوبهم والسنتهم ، تطير بهم اجنحة العزم استباقا ، وتهزهم احاديث الجهاد طربا واشتياقا ، راجين احدى الحسنيين ، مؤملين النصر من منزل السكينة على جد الحسنيين . . . » .

وكانت فاس آنذاك – للأسف – عبارة عن مدينتين منفصلتين عدوة القرويين وعدوة الاندلس

فضلا عن المدينة البيضاء (فاس الجديد) . ومع ذلك كان للرسالة السابقة مفعولها ، وصدر عن العدوتين جوابان لا يختلفان في مضمونهما من حيث التعبير عن الشعور بالواجب ، والحماس الفياض ، والاستعداد الكامل للدفاع عن حوزة البلاد . والجوابان الى ذلك تحفتان ادبيتان ، اولهما من انشاء محمد بن قاسم ابن القاضي المتوفى أواخر عام 1040 / 1631 باسم سكان عدوة القرويين ، والثاني بقلم محمد المكلاتي المتوفى عام 1041 / 1632 على لسان أهل عدوة الاندلس . وقد جاء في جواب ابن القاضي بعد مقدمة طويلة مسجعة : « ... فاعلموا حفظكم الله ورعاكم ، واخصب بمنه وكرمه روض مجدكم ومرعاكم ، ان كتابكم الكريم ، وخطابكم العظيم ، وصل للقراء في البلد ، واجتمع عليه في الجامع الاعظم الصغير والكبير والوالد والولد ، حتى لم يبق من اهل المدينة من الخاصة والعامة احد ، وصاحوا كلهم عند سماعه صيحة واحدة ، تقطعت عند ذلك لسماعها القلوب والافئدة ، ونادت جميع العباد : يا للمسلمين ويا للجهاد . واقبلت الناس بالوفود ، واقشعرت من ضجيجهم المسامع والجلود ، وفاضت من شدة غيرة الاسلام مدامعهم على الوجنات والخدود . فياله من مجمع عظيم يجل عن الصفة ، ومشهد كبير لا يصفه الا من حضره وعرفه ، فاجتمعوا وتألفوا ، وتعاهدوا وتحالفوا ، ان كل من تخلف منهم عن هذا الامر العظيم اذا صدر ، ان دمه عندهم هدر . وعقائد الايمان والحمد لله في قلوبهم راسية ، وقلوبهم على الكفار والمنافقين قاسية . واما ما اشرتم اليه من ان العدو والكافر ، اخذ في جمع عسكره وجيشه المديد الوافر ، وانه قاصد لهذه العدوة ، ومرس بمالقة هي عنده الان دار الندوة ، فويل للكفرة الفجرة ، الم يعلموا ان الواحد منا للعشرة ، وتبا لهم من فئة ، الم يعلموا ان العشرة منا للمائة . واما ما ذكرتم انهم جمعوا ستة وستين غرابا ، فسيعود ذلك عليهم ان شاء الله حسرة وعذابا ، فويل لهم ولما جمعوا ، وتبا لرأيهم وبئس ما صنعوا . ولكن لو كان كبيرهم الذي علمهم السحر معه عقل وازن ، لذكرهم بشنيعة وادي المخازن ... » .

وفي صدر جواب المكلاتي :

شهد الاله وانت يا ارض اشهدي
انا اجبنا صرخة المستنجد

لما دعا الداعي وردد صوته
قمنا لنصرته ولم نتردد

وبعد مقدمة مسجعة يقول : « ... فكتابنا هذا اليكم من فاس ـ حرسها الله ـ وصنع الله في ريعان الشباب ، والعزم على من حاربه متوقد الشهاب ـ شكرا لله ـ وقد وصل كتابكم ففضضنا ختامه ، وتصفحنا اخباره واعلامه ، فاذا السحب والاؤها ، والبروق وقد خفق على رأس امير الكلم لواؤها ، فسجد له كل بليغ واقترب ، وبايعه رعايا الكتاب منشدين فسمعا للامير العرب ، وطاعة لداعيه للجهاد ، واخلاص النية لرب العباد . وما هو الا النذير العريان ، وخبر الواحد الذي صار كالعيان ، اشار الى جلية خبر العدو ـ دمره الله ـ وكيف لا يأخذ في التأهب والاستعداد ، ونادى كلابه من اقاصي البلاد ، ظانين انهم يعودون بالخلف وينقلبون ، (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) ، وانه شحن اساطيله بمرسى مالقة ـ اعادها الله ـ وما كان منه من الاستنفار بعد النفار ، ـ فما ذكرتم منا ناسيا ، ولا استحثثتم لنصرة الدين وانيا . ها نحن بعد التأهب واخذ الحذر ، طيرنا بالخبر في الآفاق ، اجنحة الاوراق ، وحملناه الركبان والرفاق ، فالسوا من هنالكم من طوائف المجاهدين بانجاز الله لهم موعد نصره ، وتبلج افق الاسلام عن سناء بدره ... » .

وقبل ان نختم هذا العرض الخاطف نشير الى ان كتبا اخرى قد الفت في موضوع الجهاد خلال الفترة التي نتحدث عنها زيادة على كتاب ابن يحيش التازي المتقدم . منها كتاب عيسى بن محمد البطوي من علماء جبال الريف في اوائل القرن الهجري الحادي عشر ، سماه (مطلب الفوز والفلاح ، في آداب طريق اهل الفضل والصلاح) ـ مخطوط في مجلدين ضخمين ـ خصص الباب الثامن منه لحكم الجهاد والرباط وفضائلهما وتمني الموت . وفي اثناء الابواب الاخرى حرص في كل مناسبة على ذكر مقاومة الاجنبي ، وبخاصة من طرف الشيوخ الذين درس عليهم وكان لهم قدم صدق في الدفاع عن الوطن . وقد عرف الجهاد لغة وشرعا ، واتى على ذكر اقسامه والاصل فيه ، وشروطه وفرائضه ، وبماذا يتعين ، وفيما يقاتل به ، وفضائله وآدابه . وكتب عشرات الصفحات في فضائل الجهاد مستشهدا بآيات واحاديث واشعار ، وروى قصصا عدة للمجاهدين ...

والف عالمان من شرفاء سجلماسة الحسنيين كتبا في الجهاد . اولهما الحافظ عبد الله بن علي بن طاهر المتوفى عام 1044 / 1634 . الف كتابين سمى

الاول (الاسعاف والانجاد في ذكر الايات الواردة في فضل الجهاد) . والثاني (لباب مراقي الجنة) جمع فيه نحو 130 حديث في فضل الجهاد واهله والنفقة فيه ووعيد تاركيه . . . ثم جاء ولده عبد الهادي المتوفى عام 1056 / 1646 فاخرج كتاب (فلك السعادة الدائر بفضل الجهاد والشهادة) وهو اختصار لكتاب مطول له في الموضوع لم نقف عليه ، قال عنه في المقدمة انــه يحتوي على 12 بابا و 28 فضلا . واما فلك السعــادة فيتركب من مقدمة في مشروعية القتال ، واثني عشر بابا ، الاول في الامر بالجهاد وحكمه وآدابه . . . والثاني في معرفة من يحارب وفي شروط النكاية والمهادنة ومنع الاستعانة بالمشرك . والثالث في فضل المسارعــة الى الجهاد ، والرابع في ذم الفرار وفضل القيام في الصف . والخامس في فضل انغماس العدد القليل في الكثيــر . والسادس في فضل الجهاد والمجاهدين وترجيح الجهاد على الحج وترجيح غزو البحر وشهادته وفضائـــل الجرح في سبيل الله . والسابع في وجوب النفقــة في سبيل الله وتجهيز الغازي . . . والثامن في الامر باعداد العدة وفضل الرمي والخيل . والتاســع في الربــاط والحراسة . والعاشر في فضل الشهادة . والحــادي عشر في بعض قصص المجاهدين والشهداء . والثاني عشر في الغنائم واحكام الغلول والجزية وفداء الاسرى . وينتهي الكتاب بخاتمة في ذكر النفل والسلب والامان . وفيه الى جانب الاحكام الدينية والتفصيلات الفقهية والمذهبية المتعلقة بالمواضيع الواردة في العناوين السابقة صفحات ادبية رائعة حيث يقف المؤلف من حين لآخر متحسرا على الحالة الصعبة التي يعيش فيها المغرب آنذاك ، متاملا في الاخطار المحدقة به ، فتجيش عواطفه ويخط قلمه فقرات ملتهبة بالوطنية الحقة والقوميــة الصارخة ، منها : « وانه ـ الجهاد ـ وان كان كفايــة فهو الان على التعيين لاجل ما عرض ، اذ كان واقعا في صدر الاسلام لاعلاء الدين وكلمته . **واما الان فقــد** افضى الامر الى مدافعة **الانســان حريمه وذريتــه** ، فتشتد عزيمته ، وتتأكد فريضته ، فيا لله ويا للابطال! ويا لحماة الزمان من الرجال ! **هــل فيكـم من يعيـن** المسلمين ؟ ! وينتصر **لاخوانه المومنين ؟ او من تهزه** اريحية التعطف فيلبي نداء المستصرخين ؟ او من لــه انفة ابية لا يرضى بترك اخوانه بين اظهر المشركين ؟ الا متعصب للدين ؟ الا من فيه غيرة على المسلمين ؟ الا من لــه شفقــة على المومنيــن **؟ الا من فيــه رحمــة** للمستضعفين ؟ الا ذو همة كريمة ! الا من له عزيمة ! الا شخص لا يرضى بالعار ! **الا شخص لا يبقى مــع** المراضع في الدار ! الا نفس لا تقبل التخلف مع عجزة النسوان ! الا من يابى أن يعد من جملة الصبيان ! امــا والله لو سمع هذا من تقدمكم من اهل الصلاح ، لبادروا الى الكفاح . ولو عاين ما وقع من فساد من سبق من الابطال ، لم يعرجوا على اهل ولا اطلال ، ولو ابصر اهل النجدة ما جرى في الاسلام ، لراوا ان الخير كله في ورود الحمام . عجبا كيف يستبيح الذل مقدام ! ام كيــف يجبن اريب همام ! ام كيف يتاخر متعصب لدينه ! ام كيف يتوانى مساجل عن نفيسه وثمينــه ، ام كيــف يتردد من يريد حماية الاوطان ، ام كيف يقصــر مــن يسعى لنفسه واهله في الامان ! ام كيف يصح في الاذهان توشية بملابس وتيجان ! ام كيف يستطاب طعـام او شراب ، او تضاجع ذوات الخدور الاتراب ! ام كيف تبقى في العيون قطرة من المدامع ، بعد تشييد البيـع وتخريب الصوامع ! ام كيف لا يتضمخ الانسان بالاحزان على محارب تعمر بالقرءان صارت لنواقيس الرهبان ! ام كيف يريد الحياة كرام ، بعد اخذ حصون الاسلام ! ام كيف يلذ قرار ، بعد اخذ سواحل البحار ! ام كيف يصحو عن الاسى عاقل ، بعد اخذ المراسي والمعاقل . . »

الربـاط محمد حجـي





تأليف : عبد الكريم التواتي
تعليق : ابراهيم حركات

يقع الكتاب في 688 صفحة ويشكل اكثر من نصفه عرضا تاريخيا للوجود العربي في الاندلس وهذا القسم بالذات تتناوله مصادر قديمة وحديثة كما هو معلوم ولكن الاستاذ التواتي نزع عنه صبغة الابحاث الجافة التي تكتنفها او تذيلها النقول والمراجع ، وقدم الينا في اسلوب شيق ادبي هذا العرض التاريخي الذي نحن احوج ما نكون اليه مجتمعا بعد ان كتب ولا زال متفرقا في الابحاث والرسائل الجامعية والخاصة فضلا عن المصادر القديمة .

والآن لننطلق مع الاستاذ التواتي في مقدمته أولا ، فهو هنا يدلي ببعض الافكار الجريئة التي وان لم تكن لها علاقة مباشرة بالموضوع فهي نتيجة عملية يجب استخلاصها من عبرة انهيار الوجود الاسلامي في الاندلس ، الا وهي الدعوة الى وحدة عربية اسلامية قبل الدعوة الى وحدة افريقية حيث يرى المؤلف في مقدمته ان العرب اضاعوا الاندلس (او هكذا تتضح فكرته على الاقل) حين اقاموا علاقاتهم بأولئك القوم (اي المسيحيين) على اساس غير ديني محض ، وحين اضحوا لا يهتمون الا بالمظاهر الدنيوية لتلك العلاقات ، فكانت ان حاقت بهم النتيجة الحتمية لكل علاقة من هذا القبيل » .

ويرى المؤلف تأكيدا لكلامه ، ومن خلال الاخطار المحدقة بالعرب « ان الدعوة الى الله والعمل على نشر الاسلام ، فيها كل الضمانات لابعاد كل خطر لا عن العرب وحدهم ولكن عن المجموعة البشرية قاطبة » .

قد تكون افكار المؤلف هنا وفي اي موضوع آخر من الكتاب قابلة للمناقشة كأية افكار أخرى مهما سمت، ولكن لا مراء في أن تاريخ الاندلس ومصيرها جديران بأن تستخلص منها نتائج عملية في تسيير دفة الحكم في العالم الاسلامي قاطبة . وهذا ما فعله الاستاذ التواتي بحق .

وفي الفصل الاول من هذا الكتاب يتناول الاستاذ موضوع العرب قبل الاسلام وهنا يلتفت مرة اخرى الى بعض الافكار الذكية التي يستند فيها الى مراجع حسنة، وهو فيما نفهم يمهد لقابلية العرب للحضارة وتاثيرهم المباشر في هذا الباب بالاندلس كما في غيرها .

على انه من الصعب أن نستعرض فصول الكتاب واحدا واحدا فقد تناول مختلف مراحل التاريخ الاندلسي من غير أن يدخل في تفاصيل الاحداث غالبا ، حيث يطل من عل ، وبمنظار مكبر ، على هذه الاحداث ، مسجلا نتائجها ومحللا اسبابها ثم يقدم ذلك باسلوبه الادبي الشيق الذي تستأثر به العاطفة وينساق به هول المصير وهو بعد في ثنايا مراحل الاضطراب الاولى من تاريخ ذلكم الفردوس المفقود .

ويقف الاخ التواتي وقفة طويلة عند الاحداث البارزة في تاريخ الاندلس والتي يسميها وأمثالها عبد الله عنان بالمواقف الحاسمة كوقعة الزلاقة والارك والعقاب .

وعند ما حلل موضوع تدخل المرابطين بالاندلس (ابتداء من ص 309) رأى أن نقل المعتمد الى المغرب منفيا كان من باب الحكمة ، والواقع ان هذا الرجل كغيره من أمراء الطوائف لو عاش هذا العصر في بلده للقي اسوأ مصير ، فقد خان الامانة التي كانت بين يديه ومد يده الى العدو بعد ان خشي على نفوذه من المرابطين ، فكان نفيه اشفاقا ورحمة من المرابطين ، هذا اذا تركنا جانبا ، الظروف التي قضى فيها بقية حياته وعبر عنها في شعره العاطفي الذي أنسى اخواننا من مؤرخي العرب كل شيء عن موالاته للعدو ضد اخوانه المسلمين .

وقد اهتدى المؤلف الى مواقف الخيانة التي طالما اظهرها امراء الاندلس في الوقت الذي كان فيه ملوك المغرب وشعبه يضحون بأنفس ما يملكونه لاقرار الوجود الاسلامي بالاندلس .

وقد شغلت حوالي 150 صفحة من الكتاب ظروف سقوط الاندلس وأسبابه بما في ذلك :

1) انعدام الوحدة في النضال العربي
2) الثورات الداخلية
3) تدخل المولدين والصقالبة والبربر
4) التدخل النسوي في شؤون الدولة والاغتيالات والخيانة
5) نشاط فلول الاسبان بالشمال
6) التدخل الكنسي
7) الاستنجاد بالمغرب
8) انعدام الروح الاسلامية في علاقات العرب بالاسبان .

ويمكن القول بان هذه الاسباب متكاملة ، لولا ان الترتيب المنطقي كان يحسن أن يبدأ بالسبب الخامس يليه الثالث فالرابع فالثاني فالسادس فالاول فالثامن ، اما العامل السابع فلا نتفق مع الصديق التواتي في اضافته الى باقي عوامل الانهيار ، فالمنطق يقتضي أن الاستنجاد بالمغرب طبيعي في ظروف كالتي اجتازتها الاندلس من يوم نشأتها دولة اسلامية ، وقد ظل العرب فيها اقلية حتى في اسعد ايامهم والا فكيف نحكم بانسجام « انعدام الوحدة في النضال العربي » و « انعدام الروح الاسلامية في علاقات العرب بالأسبان » مع عامل الاستنجاد بالمغرب ؟ .

وعلى كل ، فللمؤلف وجهة نظره فيما يرجع الى قضية التدخل المغربي بالاندلس حيث يعتبره « شعورا باقتناع الاندلسيين بعجزهم عن الوقوف منفردين في وجه هجومات اعدائهم النصارى » (ص 626) .

ولا بأس أن نلاحظ في هذا الباب ان التدخل المغربي بالاندلس لم يكن وبالا بأية حال وفي أي وقت على الاندلسيين ، فانطلاقا من جيش طارق الذي فتح بأسلحته الاندلس ، تشهد التدخل المرابطي الذي اخر سقوط الاندلس لمدة أربعة قرون والموحدي الذيواصل اقرار الوجود العربي ثم التدخل المريني الذي لم يتخل ابطاله عن نصرة هذه البلاد حتى بعد اندحار جيوشهم النظامية اذ لعب المتطوعة المغاربة اكرم دور بطولي في جهاد العدو ، ودون اي طمع مادي ، حتى آخر لحظة من الوجود العربي . وفي جميع ظروفالسيطرة المغربية كان الاندلسيون يعين منهم كثير من قواد الجيش وعديد من القضاة والولاة والموظفين ، ويفتح البلاط المغربي على مصراعيه لاستقبال مفكريهم وشعرائهم .

واخشى ان انساق هنا مع ذكرياتي عن تاريخ الاندلس واحداثها على حساب أفكار المؤلف الخاصة وطريقته الطريفة في ربط الاحداث بأسلوب عذب قلما تعرض به أحداث الاندلس خاصة .

ان كتاب الاخ التواتي هو تعليق مركز على الجانب المأسوي من تاريخ الاندلس ، وهو مع ذلك لا يخلو من معالجة للاحداث البارزة مع اختيار المؤلف لطريقة العرض المباشر في اغلب صفحات الكتاب وهي طريقة تتفق تماما مع الاتجاه الذي اختاره في معالجة الجانب المذكور من تاريخ الاندلس .

وموجز القول ان كتاب مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس جدير بالقراءة وهو غني بالآراء والافكار النيرة ، بل يصلح ان يوضع بين يدي طلاب الجامعة ليناقشوا آراء ونظريات مؤلفه ، ويطلعوا على جوانب خفية من عوامل انهيار الاندلس لان مأساة الاندلس حظيت بالوصف اكثر مما حظيت به العوامل التي أدت اليها .

فاس : ابراهيم حركات





للأستاذ : محمد احمد اشماعو

— 1 —

تقلبت الاميرة الجميلة (صباح) فى فراشها الوثير ، وازاحت عنها الاغطية الصوفية الثمينة ، ولوحت بذراعها البضة الناصعة الى ما فوق راسها ، فلامست شعرا رائعا فريدا فى نوعه بين شعور النساء فى (قرطبة) ، وبما انه لم يخضع بعد للانامل التي تسويه وتعطره ، فقد بدا متهدلا على الجبين الوضاء والوجه المليح الجذاب . وعادت الاميرة (صباح) فتقلبت مرة أخرى فى سريرها بدلال واسترخاء ، ثم هدات مصيخة الى الجوقة التي كانت منهمكة تحت شرفة القصر فى عزف نوبة (قائم ونصف العشاق) . ولم يكن فى هذا العزف اي ازعاج لمزاج الاميرة ، ذلك لان العزف يبتدىء ــ بأمر من الخليفة اعز الله امره ــ مع الشروق فى مجلس بعيد عن مخادع النوم بمسافات، ثم تأخذ الجوقة فى الانتقال شيئا فشيئا حتى تصل الى ما تحت الشرفات ، وبهذا يكون الاستيقاظ تدريجيا ، وبذلك ايضا تمازج الموسيقى ، فى اول الامر ، احلام النائمين ، ثم تأخذ فى اخراجهم من عالم الرؤى الزاهية الى دنيا اليقظة الجميل : دنيا القصور الرائعة بحجراتها الزاهرة الانيقة التي بذل فيها مهرة الصناع خلاصة مهارتهم : هندسة ، وبناء ، وزخرفة ، وتلوينا ، وتأثيثا ، وتجهيزا . فقامت الجدران هكذا سالبة للالباب برخامها الصقيل ، وفسيفسائها الملون الدقيق ، ونقشها العجيب الذي يجذب الانظار ويستهوي النفوس ويبعث فيها الانتعاش والالتذاذ ، ثم هذه الابواب والشرفات التي تعجب كل الاعجاب بأقواسها المقرنصة ومصاريعها التي لمستها يد الصناعة الدقيقة فاخرجت منها تحفا خلابة للعقول فى النقش والحفر ، ثم اضاف الفنانون روعة الى روعة ، فجاءوا بالبسط النادرة والارائك الفاخرة والمتكآت الناعمة والمسرجات المخرمة ، مع ما يلزم ويلائم من معلقات ومنشورات وستائر حريرية شفافة ذات الوان مختلفة : فى حمرة الورد ، وزرقة البنفسج وبياض الفل وصفرة الياسمين ...

ورغم أن الاميرة (صباح) لم تنم ليلتها الاخيرة نوما عميقا كافيا فلقد استيقظت فى هذه الضحى قوية النشاط شديدة العزم ، على ثغرها ابتسام ، وفى قلبها انتعاش ، وان كان فى خاطرها هواجس ، وما كان لهذه الهواجس ان تشوب داخليتها ، ذلك لانها اصابت من دنياها الكثير ، لقد انتقلت من قسوة البداوة ؛ وجفاء الحياة النصرانية وصخبها وفجورها وخشونتها الى حياة الاندلس الاسلامية المتحضرة الوقور الطاهرة المليئة بما يهز الفؤاد ويبهج العين ويمتع الذوق ويشنف السمع ... ان قصر (الزهراء) على جانب عظيم من الجلال والعظمة ، والصناعة الدقيقة والتجهيز الباذخ ، وسيد القصر (الحكم) ايده الله فى مستوى الرجل المثقف النابغة ، الشغوف بالعلوم والآداب وفنون الحكمة ، الخبير بالالحان الموسيقية والاوزان الشعرية ، الذواقة لعيون الامثال والحكم والالغاز والنكات ... ولا احلى على نفسه من مجالسة محدث

محنك ، او رحالة واسع الاسفار ، او مؤرخ خبير باسرار التاريخ ، او مطلع عليم بموضوعات الاسفار .

من اجل كل هذا يحظى هذا الخليفة الجليل بتقدير الاميرة (صباح) واعجابها وبحبها العميق والتفاني الذي لا حد له ، وهي – من جهتها – جديرة منه بالاعجاب والمحبة ، اذ وجد فيها المراة الكاملة ، اللبقة الذكية ، الحازمة القوية المجدة الصامدة ، ووجد فيها المراة العظيمة التي تقدر العلم وتحب مصاحبة العلماء ، لقد كانت عند حسن ظنه في تولي الشؤون الصغيرة والكبيرة وفي التدخل لحل المشكلات على الوجه المرضي الموفق ... وافتتن بها الامير اكثر ، وهي تلد له ولي عهده (عبد الرحمن) ولكن لما مات هذا الولد كانت قوية في تقبل الصدمة والصبر عليها ، وما مضت مدة حتى ولدت ولدها الثاني (هشاما) وبذلك صارت (ام هشام) وراعية ماهرة لشؤون هذا الولد ، واختارت له اختيارا من يقوم بحاجياته الصحية والتعليمية والمالية ... وهي في هذا الصباح –فعلا– بصدد اختيار احد الرجال الذين سيوكل امر ابنها بهم، وتخامرها هنا رغبة في ان يكون من بينهم رجل بالذات، رجل تريده – في الواقع – قريبا منها ، وقريبا من ولدها . لقد وصفوه لها وصفا خلابا ، وصفته الجواري مدلهات بجماله واكتماله وشخصيته البارعة ، وصفه خدام القصر كرجل لبق محنك لم تر مثله باعينهم ؛ بل ان الخليفة نفسه معجب به وبرسائله التي يكتبها الى المتظلمين الذين يفدون الى قصر الخليفة بقصد التشكي ، فرسائل (محمد بن ابي عامر) صارت ترضي متعة يجدها الخليفة في قراءتها ، ان لها طعما خاصا ولذة خاصة في بلاغتها وسبك معانيها وعذوبة بيانها ، لكم يتوق الامير ان يتكاثر المشتكون ليتوصل باكبر عدد ممكن من هذه الفرائد الادبية الممتعة ! لهذا لا عجب ان وجد الخليفة في نفسه عطفا خاصا على هذا الشاب ليعين وليا على امور ابنه العزيز (هشام) .

— 2 —

لم تهتم الاميرة (صباح) فجر هذا اليوم ، باصداء الموسيقى التي كانت ترددها جنبات القصر ، ذلك لان سمعها وبصرها وكل حواسها كان يستغرقها اعجاب عظيم بالرجل ، الرجل الذي دعي الى تولي شؤون الطفل (هشام) ، فاقبل على القصر مهيب الطلعة ، بهي الشخصية ، براق النظرات ، فتان البسمات ، نظيف الملبس ، انيق اللحية مرجل الشعر فواح العطر ، بالاضافة الى اللفظ المختار والفكرة العميقة ، والثقة بالنفس في غير شموخ او كبرياء ، والرقة في الجانب من غير تذلل او استخذاء ... كان الرجل من الرجال الحازمين القائمين على شؤون الدنيا ، العارفين باسرار صدور الرجال وباسرار صدور النساء ايضا ! لقد وفى للخليفة العظيم حقه من الاجلال والتعظيم ، ومنحه محض السمع والطاعة ، وابدى له كامل الاستعداد لخدمته والتفاني في الاخلاص له ... اما الاميرة (صباح) فقد اقبل عليها اقبال الحظ السعيد ، وسد امامها كل حيز او مجال ، فلم تعد تراه الا هو ، لقد نصب نفسه لان يحب ويهام به ويرى الاحلام ، احلام اليقظة والمنام ! الا انه حذر على نفسه ان يتزلق في غرام يثير حوله الاقاويل وشكوك الامير ولي نعمته .

فتن (صباح) ان يكون (محمد) ممتازا الى هذا الحد ، فهو رجل ذو اناقة جذابة وحديث ممتع ، وادب شامل ، له خبرة بشؤون العلوم والآداب ، وفنون الحساب والتنجيم ، واساليب التهذيب والتعليم ، وخطط سياسة الممالك والامصار ... ان الاميرة تكاد تكتشف في (محمد) كل يوم جديدا من براعته وخبرته ، حتى انه ليستطيع ان يفيد البستاني في غراسة خضره وبذرها ، واستنبات الزهور والرياحين وتلقيحها ، وهو ان صادف الطباخ عرفه بفنون غريبة من الاطعمة من شانها ان تعجب الخليفة والاميرة على السواء .

— 3 —

قالت (صباح) لوصيفتها الخاصة :

– اين هشام ؟

فابتسمت الوصيفة الذكية واجابت :

– هو بين يدي مربيه ، لقد اخذه الى الرياضة بعد طلوع الفجر فعاد منها يا مولاتي – كعادته – جليل الطلعة كطلعة امه حفظها الله ، ولعله الان منكب على حفظ ابيات من الشعر ...

– قاتل الله (ابن ابي عامر) ، هل يريد ان ينشىء من ابني شاعرا يهيم بالجمال ولا يتحدث الا عن الجمال ، ولا يعيش الا من اجل الجمال .. ؟ آه لو رجعت صبية ، انني والله لاكتفي من المعارف كلها بالشعر ! الم يتكفل الشعر بتطويع قواعد النحو والصرف وعلوم الشرع والفلك والحساب ... اذن ، كل شيء

في الشعر فلأترك ولدي للشعر فلا خوف عليه منه ! .

ــ بصراحة ــ يا مولاتي ــ ان صبيك يميل من الان للجميلات اليانعات ، ولعله يرى الى اي حد تميل النساء الى استاذه فيريد ان يحظى بشيء من ذلك !

ــ ليأخذوا الصغير فهو لهن ، اما (محمد) فهو ... ... اسكتي عليك اللعنة . اسمعي ــ بعد ايام ــ سينصب مولانا الخليفة محمد مسؤولا عاليا على مدينتنا هذه ، ووالله ان مدينتنا لسوف تصبح اكثر ازدهارا واوسع ثراء ، وسيجد حتى الفقراء وافر المال بين ايديهم ... اما نحن فسنفوز بهدايا لا يمكن ابدا ان تتخيلها او تتصور روعتها ، ما دام ذلك في استطاعة الرجل البارع (محمد) ... والله يا ملعونة لو طالبته بهدية لقطعت من لحمك باسناني ، هل فهمت؟

ــ حاشا مولاتي ان ازعجها او اثير ذرات الغبار من حولها ، الرجال العظام للنساء العظيمات ونحن لسنا الا وصيفات ، فاين منا مقام الاميرة السامي .. ؟

ــ من هذا التواضع اخاف ! ان لك لعيونا قاتلة ، فاقتربي مني افقوءهما لك واستريح !

هربت الوصيفة وبقيت الاميرة وحدها تنعم بتصورات الآمال والاحلام في فراشها ، ومن خلال الشرفة كانت تنعم بمناظر الرياض البهية وشمس الصباح المشرقة الساطعة الباهرة ، تحوم في طيها اسراب الحمام البيضاء ، هائمة عبر الجو الصافي الزرقة ، الرخي النسمات ... لكم تهيج النفس وتثور الاحلام في مثل هذا الصباح عند رقاق الشعور ، من حيث يحلمون وهم منطلقون عبر الرياض الزاهرة بين الورود والازهار الناضرة بين المياه المتدفقة ايديهم في ايدي احبتهم ، ومناكبهم تطاول مناكبهم فلا تلحقها ، واجسادهم تحتك عفوا ــ ببعضها فتشيع في الاجساد القشعريرة المثيرة ، حتى اذا وصل بهم التطواف الى خميلة ملتفة الاغصان ، وافرة الامن والامان ، ركنوا اليها وغابوا من حيث لا رقيب !

لقد سعت بكل ما لديها من لباقة ومن مكانة عند الامير حتى عين (محمدا) امينا على القصر بما فيه من مال ومتاع واناس ! وسعت بحذق كبير ان تزيل كل شك من نفس الخليفة من جهة تصرفات (ابن ابي عامر) اما هو فقد اعانها على سعيها بلطفه العظيم ولباقته البالغة ازاء الخليفة باروراء شغفه الى الكتب ، بحيث كان يتوصل بوسائله الخاصة باخر ما انتجته قرائح العلماء والحكماء والادباء بالمشرق والمغرب ، ثم يعطي من وقته للخليفة يقرا له ، ويناقش معه ، ويمدد معه اوقات المذاكرة والمطارحة الى حين يشعر الامير العليل بالانهاك ، وعندئذ يتحفه بقطعة شعرية لشاعر او شاعرة من المشرق او من المغرب وبذلك يبقى اثرا ممتعا في نفس الخليفة الجليل يبيت يخامره طيلة الليل ... !

— 4 —

لكم هو رقيق وبديع لحن هذا الصباح ، فالعازفون والعازفات حرصوا على ان يبدأوا يومهم هذا بنوبة (رصد الذيل) وبذلك تمتزج الاصوات والانغام متناسقة رقيقة ساحرة مما يجعل الاحاسيس تتضارب في النفوس بين الخشوع والاعتبار ، وبين الانتشاء والطرب ... لكن الامر مع (صبح) مختلف فهي لم تنفعل لما تسمع ما دام بالها منشغلا بمهمة عظيمة ، مهمة ضمان مستقبلها في هذا القصر السعيد الزاهر ومستقبل ولدها (هشام) العزيز .

لقد بذلت جهودا بكل ما لديها من اجلال وتقدير للخليفة وحب عميق لولدها ووله وافتتان بـ (محمد ابن ابي عامر) لتضمن استقرار الاحوال بتنصيب ولدها (هشام) وليا للعهد . فمن يدري ما تخبئه الايام؟ ان الخليفة منحرف الصحة متدهور الاحوال بدرجة اصبح ينقص معها من فترات بقائه في خزانته العامرة ، ويبكر بصرف العلماء والادباء من مجلسه ليختلي بالحكماء واهل الطب يفحصونه ويجرون عليه تجارب عقاقيرهم ... دون تحسن يذكر .

واطلت الاميرة من شرفة مخدعها فاذا بـ (محمد ابن ابي عامر) قائم قومة العزم والحزم المعهودة فيه ، ليشرف على الاعمال الكبرى والصغرى ، التي تنجز في هذا الصباح بمناسبة حفلة تنصيب (هشام) تلميذه وولد (الحكم) الجليل والضمانة الكبرى لبقائه عزيزا مكرما بهذا القصر . وبادرت نازلة لتشرف بنفسها على حفلة التنصيب بجميع مراحلها ، من اللحظة التي ادخل فيها الفتى الحمام لينظف ويعطر ويقص شعره ، الى الوقت الذي كان فيه بين يدي (العريفة) تلبسه لباسه الحريري ، وتشد نصفه بمنطقة من الديباج النادر ، وتعلق على كاهله رداء مزركشا فاخرا ، وتقلده خنجرا مرصعا باليواقيت والاحجار الكريمة ، وتميل الى رأسه فترجله بمشط عاجي ثم تفرق الشعر عند الجانب الايسر من الرأس ، بينما القرط الذهبي معلق بشحمة الاذن الفتية . وعندئذ بدا الامير الصغير في بياض ابيه ودقة ملامحه ، وفي قامة والدته واناقتها ...

وهز قلب الفتى هذا الجو الحافل الذي يحيط به ، انه بمثابة البدر ترمقه كل العيون باعجاب وافتتان ... وحدثته نفسه ان يتصرف الى متعه ومسلياته مع الوصائف الصغار والوصيفات الصغيرات بين دروب الرياض ومنعطفاتها ... ولكنه كان قد تلقى الوصايا الصارمة من مربيه (ابن ابي عامر) بان يكون رصينا متزنا في خطواته وفي دخوله على علية القوم ، وفي سلامه على والده المبجل ، وفي تلقي ولاية العهد ، ثم في تقبل التحيات والتبريكات من الحاضرين ...

— 5 —

طلع الفجر ، وتبدد الظلام في الانحاء ، وانكشف النهار عن سحاب ثقيل حجب وجه الشمس وخنق النسمات اللطاف التي اعتادت ان تداعب الازهار المتفتحة وتحمل منها العبير العابق الى اطراف القصر والى ما وراء الاسوار فتنتعش القلوب وتتشبع الصدور بنفحات العطر الزكي ، حتى البلابل التي كان من شانها ان تسبق العازفين والعازفات بالتغريد اصبحت اليوم وهي ترسل صفيرا هو الى الولولة والنحيب اقرب .

والاميرة (صباح) عاطلة من حليها والبستها الفاخرة متسربلة باللباس الابيض الذي يغطي كل اجزاء جسدها من قمة الراس الى اخماص القدمين ، ووجهها من خلال المنديل القطني الابيض يبدو كدرا حزينا ، حمرته ميالة الى الزرقة ، والعينان منتفختان من شدة البكاء على الخليفة التي انتقل الى جوار ربه. وبين الحين والحين كان يثير دمعها الغزير ذلك النواح المرير والعويل العميق اللذين ترسلهما الخادمات والوصائف وترددهما عنهن جنبات القصر الفسيح الذي يطبق عليه الحداد ، لقد تبدت زخارف القصر ونقوشه كانها من نوع تلك التزويقات التي يصنعها عابث بقضيبه ، وهو جالس على الارض في غير اهتمام ، حتى اذا قام، تخطاها بقدمه وتركها للرياح تعفيها وتمحوها محوا لا اسف بعده .

وتسلل ولي العهد تائها في جنبات القصر لا يدري ماذا سيفعل به ! لقد همسوا له انه سيصبح خليفة وسلطانا وملكا عظيما ليس له في الدنيا مثيل في مملكته الواسعة المتحضرة الجميلة ، فهل هذا صحيح ؟ ها هي حجرات ابيه الفخمة الوثيرة الفرش ، المبثوثة الزرابي، الفخمة الاثاث راكدة ... وهذه خزائنه العظيمة في احسن تنسيق وترتيب : جناح للاداب وفنونه ، وجناح للفقه ومذاهبه ، وجناح للتفسير باقلام الاقطاب الاعلام، وجناح للفلسفة وعلم التنجيم ، وجناح للطب والادوية ... ... كل هذه المئات والآلاف من الكتب لم تستطع ان تنقذ الخليفة العظيم ، الذي اقتناها وافنى العمر الغالي في رعايتها ، ولا ان تؤخر اجله سنوات اخرى ، بل ولا يوما آخر !

وبينما هذا الخليفة الفتى هائم محطم الفؤاد ضائع الفكر اذا بوصيفات والدته المخلصات يطبقن عليه ويحملنه الى والدته في حرص وعناية ، ان مسألة توليته الخليفة اصبحت محل نزاع واختلاف نظر ، فلا عجب ان انقلبت الاميرة الحزينة اليائسة الممزقة القلب الى امراة شديدة البأس ، ثابتة الجنان يقظة النظرات ، متوقدة العزم ، مستلهمة كل هذا من الرجل الاول في هذا القصر ، الحازم اليقظ (محمد بن ابي عامر) الذي جاء يخبرها ان عم ولدها يسعى في الاستيلاء على الخلافة بتواطىء مع جماعة من خدام القصر وخصيانه ووصفائه ! ومن عينيها التائهتين ومن تمتمات شفتيها استمد محمد عزمه وخطته الحاسمة فذهب الى قصر (المغيرة) عم هشام واشرف على اغتياله دون تردد وبذلك خلا الجو واستقرت الاحوال ... !

— 6 —

سمحت الاميرة بعد ايام ان يبدا اليوم ببعض القطع المعزوفة على العود منفردا ، ان لهذه الالة الرخيمة النقرات لتاثيرا على النفس ، هو اقرب الى التأثير الحزين منه الى التاثير المفرح المذهب للاحزان، ما دام الموقف يتطلب من الاميرة صبرا ومداراة لسكان هذا القصر من اقرباء الخليفة الهالك ... ان الحياة استمرار لا توقف معه ، وامل لا يخالطه يأس ، وتجدد لا يلحقه بلى ولا فناء . ها قد عاد للجو صفاؤه ، واستانفت البلابل تغاريدها ، وفتحت الورود اكمامها زاهية نضرة ، بل ان البستانيين قاموا — بعد توقف — بشذب الاشجار وسقي الاغراس وتنظيف الممرات . كما عاد الكتاب واصحاب البريد ومختلف الموظفين الى اعمالهم ، وعادت الطباخات الحاذقات الى مطابخهن يتفنن في تهيىء الاطعمة والاشربة والحلويات اللذيذة السائغة ... فلماذا يبقى — بعد هذا — قلب الاميرة المسكينة ساكنا معطلا منغلقا ؟ لا مناص له من ان يتحرك وينفعل ويتفتح !

تخلص الاميرة لما تعترف ، فيما بينها وبين نفسها ، انها لا تشعر في هذه الايام بفراغ كبير في قلبها! نعم ، ان هذا القلب كان يرتكز على ثلاث دعائم : زوجها الخليفة الجليل ، وابنها الغالي هشام ، وصفيها الودود محمد ... اما وقد مضى السيد الجليل الى حيث لا امل في رجوعه ، فلتشد بقوة على الدعامتين : دعامة الروح ودعامة القلب ، هشام ، ومحمد . محمد الرجل الذي هون عليها المصاب وآنسها برقيق اشعاره وبليغ حكمه ، وطرائفه ونكاته ... وبذلك حرك الدماء — من جديد — في عروقها ، وهز بدون رفق قلبها ، وافسح المجال واسعا امام خيالها حتى احست فعلا بالدفء يسري في شرايينها وبالدبيب المنعش يتمشى في اعضائها فيتمثل في وردتين متفتحتين على خديها . انها اصبحت تحب الدنيا من جديد !

ولم يفلت الرجل الحازم فرصة خلو القصر من رجله الاول ولذلك بادر — اول ما بادر به — الى اقصاء الصقالبة الذين ارادوا ان يستبدوا بالامور بعد موت الخليفة . لقد قتلهم بدون رحمة وانهى مشكلتهم . اما (صباح) فلم يصعب عليه ان يستبد بها ! وكيف لها ان تعصى او تمتنع وهي تحت رحمة رجولته وقوة شكيمته ، وذكائه وحزمه ومرونته في نفس الوقت . لم تتردد في وضع زمام نفسها ، وزمام شؤون ولدها ، وزمام مسائل القصر — بمن فيه وما فيه — في قبضته مع كامل الاطمئنان الى استبداده اللذيذ وطغيانه العجيب !

غير ان الرجل وان كان صادقا مخلصا في تسيير الامور فهو ثمرة ناضجة بعيدة عن متناول الاميرة ؛ تشتهيها ولا تجد السبيل لاشباع نهمها منها ؛ خشيته كانت ان تشبع وتعاف ؛ اذن فلتبق دائما مشتاقة مؤلمة ؛ ذات رجاء متصل بالليل وبالنهار !

— 7 —

غطت الابواق برعيقها القوي على رنين الاوتار في هذا الصباح النكد ، واهتزت جنبات القصر بقرع الطبول القاصف وهدير الفرسان الراعد ، وذلك ما زاد قلب الاميرة (صباح) انغلاقا على انغلاق . يا لقلوب الرجال ! ما بال (محمد) ... وقد اغدق الله عليه من النعم الكثير فاحيط بحب سيدة القصر الاولى وبتقدير الفتى المجيد (هشام) خليفة المسلمين الجديد، وباعجاب صغار سكان القصر وكباره ، وباعجاب صغيراته وكبيراته ايضا ، ما باله يبحث عن المتاعب بنفسه ويرمي بها الى المصير المجهول ! لقد عزم — ولا راد لعزمه — على ان يقود الجيوش الذاهبة الى الشمال لرد هجومات النصارى الذين ارادوا ان يستغلوا فرصة موت الامير من حيث تصور اختلال الامور بمن بعده . انه لم يعد الا منذ ايام ، وها هو يشد الرحلة مرة اخرى مسربلا بالحديد مزودا بالسلاح القاطع ، راكبا على جواد مطهم يخضع لشدات اللجام خضوعا تاما ويتهادى وسط شوارع (قرطبة) تتبعه الهتافات العالية ودعوات النصر الصادقة . يا لله من هذا الرجل ! لم يكفه اعجاب من في القصر من سيدات واسياد ، فرام الحصول على اعجاب الجماهير ، الجماهير التي تجد الرجولة والشجاعة وثبات القلوب ، ولا تريد دائما الا اخبار النصر ، لقد كادت هذه الجماهير ان ترفعه عن جواده وتضعه على الاكتاف عند رجوعه من غزوته الاولى المظفرة ، التي عاد منها تسبقه احمال الغنائم ، واسراب الاسارى المقيدين ، ويسير من حوله جموع المجاهدين يكسوهم غبار ارض المعركة ويسيل على جباههم عرق الجهد والتحمل الشديدين اللذين اجبروا بهما النصارى على استسلام او الفرار . وابى القائد (ابن عامر) المنصور الا ان يصلي مع الجموع الزاخرة على ارواح الشهداء ، ويخطب ببراعة منوها بهم ، ومرجعا كل فضل اليهم !

انها لمواقف رائعة اعجبت اهل (قرطبة)وامتعتهم. ورفعت من قيمتهم في اعين انفسهم ، فمن زمن بعيد لم يروا النصارى يمرون امامهم مقيدين اذلاء ، ومن زمن بعيد لم يسمعوا عن نصارى الشمال يطلبون مهادنة المسلمين وامانهم بعد ان اضطروا الى رفع راية الاستسلام امام الابطال المسلمين وصمودهم ... واليوم ها هم بفضل شجاعة القائد المظفر (ابن ابي عامر) يذوقون حلاوة الانتصار ويتمتعون بحياة السلم والاستقرار والهناء .

الا ان للاميرة (صباح) رايا آخر في كل هذا لا تستطيع ان تبوح به ! ! انها تعرف جبروت اقوام الشمال وشدة باسهم وصمودهم في ميادين الكفاح المرير ، فهم ان غلبوا مرة ليس معنى ذلك انهم سيغلبون في كل مرة ، اذ تضامنهم يشتد في حالة العسرة والانهزام ويستعينون بجيرانهم اقوام النصارى الاقربين والابعدين ، ويزيد في عزمهم وصمودهم تحريضات القسس والرهبان والقواد القويي الشكيمة ... ثم ان وعورة مناطق الشمال الجبلية تجعل محقهم النهائي امرا مستحيلا ، وتربصهم بالمسلمين امرا متيسرا ،

نعم ، هم يتربصون فى المنعطفات ، ووراء الصخور ، وفى بطون الاودية — فرادى وجماعات — وبذلك يتمكنون من بقر البطون وبتر الاذرع والافخاذ وحز الرؤوس ، ومن يدري ؟ فمحمد المنصور جريء يتقدم دائما مشاته وفرسانه ، افلا يقع يوما فى احد هذه الكمائن الفظيعة ؟ فليحفظ الله البطل (محمدا) فما زال فى قلوب احبائه حاجات فيه لم تقض !

— 8 —

مئات العازفين والعازفات اجتمعوا — فى هذا الصباح من هذا اليوم — بجنبات الرياض وابهاء القصر تحت قيادة موحدة ، لعزف اللحن الاندلسي الخالد (التواشيح السبع) ، وكانوا متحمسين فى عزفهم ، منسجمين فيه ، منتشين بالادوار الموسيقية التي يؤدونها ، ولا احلى على النفس ولا على النظر من اولئك الجواري الرشيقات الانيقات اللواتي اختلفن حسنا وبهاء وتساوين فى الفتنة الطاغية السالبة للعقول ، لقد تبدين كلهن منسدلات الشعور — السوداء والشقراء — حتى الاحضان ، عاليات الصدور دقيقات الخصور — ، عاريات الاذرع والنحور ، لا تكف السنتهن عن الانشاد ، ولا شفاههن عن الابتسام ، ولا عيونهن عن التحديق الفاتن او الغمز الساحر ، ورغم رقة انامل وعذوبتها ولمساتها الحريرية فانها كانت تشد على الاوتار شدا فيخرج اللحن عند لذ كاملا صداحا مطربا .

واختفى البطل (محمد) فى هذا اليوم الحافل متواريا فى احد الحجرات مع بعض الاقران ، بينما قام على الشؤون الخليفة الشاب نفسه ، يساعده أقرب المقربين اليه . وقامت الاميرة (صباح) بواجبها في اليوم السعيد ، وان كان الحفل العظيم المقام اليوم هو بمثابة مأتم عظيم لآمالها ، ومبكى اليم لحبها الذي ستدفنه ابتداء من هذا اليوم ! لقد خسرت الدعامة القوية الثانية التي كان يستند عليها قلبها الجريح ، وها هو الجريح عاد ينزف ، وسيبقى ينزف الى ان ينتهي من اليوم سيصبح محمد رجلا لامراة اخرى ، تكون هي اقرب اليه من كل واحدة ، اقرب الى شخصيته القوية ، وطلعته البهية ، وبسمته الفاتنة ، وسمرته الخلابة ، وجسده القوي وصحته الوافرة وحديثه الممتع ، وغزله الرقيق ، ورقته العجيبة ... سيكون صباحها معه وضحاها وزوالها ومساؤها وليلها الطويل معه ايضا ، وفى احضانه . ستؤاكله وتشاربه وتحادثه وتغازله ... وياخذ هو بكفها فى كفه ، ويمضي بها الى جولة بين الرياض بين الزهور الناضرة والمياه المتدفقة والاغصان المثمرة المتدلية والاطيار الشادية المترنمة ، سيجدان فى طريقهما عينا نابعة صافية فتشرب من مياهها العذبة فى كفه ، وستعترضهما بركة عامرة فينزعان عنهما ثيابهما ويرتميان فى مياهها الرقراقة ، وهناك تحت الماء تتشابك يداهما ، وتشد الذراع على الذراع وتطوقه الضفيرة المعطرة ، فلا تجد مناصا من الاعتذار له بضحكة رقيقة احلى على السمع من رنين الاوتار ...

اين للاميرة (صباح) الرزينة الرصينة فسحة فى الزمان والمكان ، ولو فى حجرة من حجرات الخدم البسيطة تغلق عليها بابها وتطلق العنان لنواحها ودموعها الغزيرة ، وتنتف شعرها وتعض على بنانها وتضرب على صدرها اسى ولوعة وحرقة على ضياع (محمد) سيد الابطال ومفخرة الرجال ذي المقدرة على جميع الافعال ... ولكن خشية الشامتين وتقولات المتقولين هي تضحك الان ملء شدقيها ، وتجري فى خفة ابنة العشرة ! انها تعطي اوامرها وتراقب الخدم ثم — تغتنم الفرصة — فتطل على حبيب القلب ، حبيب العمر ، حبيب الابد ، فتراه اكثر ازدهاء ورونقا وفتوة ، انه بين خلصائه واقرانه فى رقة عذراء وحيائها ، تعلوه صفرة خفيفة لا يمكن ان يتفطن الى سرها الاهي !

ثق يا محمد ان (صباح) التي تقدرك رجلا شهما ابيا بطلا، خبيرا بالدنيا والناس،لبقا في معاملة النسوة، جبارا في امتلاك البابهن وقلوبهن ... ثق ان هذه المراة ستفلق قلبها بعدك الى الابد ، لقد كانت تؤمل فيك وان لم تصرح ، وكانت تريدك لها وان لم تفصح ... اما وقد تجاهلتها فليسامحك الله ، ليسامحك على كرامة غالية اهملتها ، وقلب رقيق شغوف تخطيته . ولتهنأ (اسماء ابنة الغالب) ابنة زميلك فى الكفاح والجهاد ، ورفيقك فى مقارعة اهل الشمال ، وفتح اراضيهم وافناء رجالهم وسبي نسائهم ...

— 9 —

تمسكت الاميرة (صباح) بسندها الاخير الذي لم يبق لها سواه وهو ولدها (هشام) ، واخذت تعمل على تحريره من الحجر الذي جعلوه يعيش فيه ، وزينت له لذة التملك والتحكم والسيطرة ومتعة اعطاء الاوامر ثم رؤيتها بعد ذلك تسري نافذة بين الكبراء والرؤساء والموظفين لتنجز ، ودفعت به ليظهر امام افراد شعبه ليسمع هتافات النصر واصوات الولاء

وهمهمات الدعاء ... ولكن من تخاطب ؟

ان ممارسة الحكم عند (هشام) عبء ثقيل ، لا يمر معه يوم دون ان يكون البال منشغلا ، والراحة منعدمة والنوم مستعصيا ، زيادة على النوايا الخافية والاغراض المتعددة الكامنة في اقفاص الصدور ، وأنى للحاكم ان يركن لاحد ركونا تاما او يثق به ثقة تامة ..؟ فلم اجهاد النفس واقلاق الخاطر ورجل الدولة (محمد) قائم بواجبه في كل الظروف والاحوال ، مع المسؤولين جميعا على جميع المستويات ، كلهم يخافونه ويعملون تحت رقابة من صرامته اكثر مما يعملون من رقابة من ضمائرهم ... ثم هذه الغزوات الظافرة في ارض الاعداء ، لا يكاد يذكر تاريخ الاندلس ان دولة اسلامية هاجمت النصارى في عقر ديارهم مرات متتالية دون انهزام او حتى تراجع ... لا ... لا احد اولى مرة (محمد) في تولي الامور ، فهو اكفأ في تسييرها . اما (هشام) الخليفة الفتى ففي الاندلس الزاهرة على اتساع رقعتها ما يغري فتى مثله الى الفوز باللذائذ والمتع حيثما كانت ومع من تيسرت !

لكن (ام هشام) لا ترى هذا الراي السفيه ، ان سليل الخلفاء احق بامور دولته التي اسسها الاجداد بالجهد والعرق والدم، والامة لا تعرف الا خليفة وحيدا لها هو هشام ، ولا تعرف عن (ابن عامر) الا انه احد خدام الخليفة السابق ، واحد خدام الخليفة الجديد ، فلم يسمح لنفسه بأن يتطاول وان يتصدر ويتعنت ، فليبتعد ، او فليبعد ، مهما تطلب الامر من جهود واعمال وحتى دسائس ومكر ان اقتضى الحال ...

انه لم يعد للاميرة من عدو سوى (محمد بن ابي عامر) المكنى بالمنصور ، والايام لا تزيدها الا شعورا بهذا الحقد المرير . انها تضرب صفحا عما مضى وتتناساه ، وتؤكد ان هذا العربي تجاوز حده ، حتى انه جعل من ابنها الخليفة (الشكلي) ، ومن نفسه الخليفة (الفعلي) ، وافرغ على شخصه الالقاب ، ويأبى الا ان يظهر امام الخاصة والعامة بانه الحاكم المطلق التصرف ، بل انه يمهد بذلك — كما يقال — ليصبح الخليفة الجديد ... لا بد من عمل شيء ، اي شيء !

— 10 —

استاء (محمد بن ابي عامر) لما بلغه ان (ام هشام) اخذت تحيك المؤامرات وتسعى سعيا مستمرا جادا لتبعده من ميدان الحكم ، فما كان منه الا ان اتصل بالخليفة ، واطلعه على ما يجري من اعمال مشبوهة داخل الاندلس وخارجها ؛ لقد عرف كيف يعرض آراءه ومعلوماته ويصوغها في القالب المثير لهذا الخليفة الناشيء ! وكيف لا يعرف وهو يخاطب تلميذا قديما عريقا في مواقف التلمذة خالدا في جوها ...

وتحرك (هشام) فاستدعى امه ، وافهمها ان امور الدولة لا تعنيها في قليلها او كثيرها ، وانها بتصرفاتها تعرض أمن البلاد للخطر ، وقد يثور الشعب ويأتي على حكم الخلافة من اساسه ، وقد لا يتورع باتزال القربات بالخليفة نفسه وبعشيرته ، وعندئذ لا يحمد احد عاقبة التصرفات الطائشة . وبادر (المنصور) فضيق الخناق على (صباح) واحاطها بجيش من المتجسسات ، وفرض رقابة على تحركاتها، وامر ان يخصص لها جناح من قصر الزهراء البهيج لا يكاد يقربه احد ، واوكل بها طائفة من عجائز الخدم يحملون اليها الطعام والشراب ويضفون الى جوها الكئيب كآبة اخرى بشكاوهم وبعجزهم ...

وهكذا امست الاميرةالسابقة لا يحلو لها الخروج الا في الامسيات الكئيبة العابسة من حيث تراقب بطرف كليل مغارب الشمس ، وتجد انسجاما كبيرا مع الافق المغطي بالسحب الباعث على القنوط واليأس اما اصباحهم الزاهرة والحانهم الرائعة — هناك — فلم تعد تهمها كثيرا ولا قليلا . انها في نظرها اوهام باطلة في دنيا زائفة .

الرباط : محمد بن احمد اشماعو



* في الموسم الماضي نظم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي استفتاء حول قضايا ومشاكل اللغة العربية .

وقد حظي ذلك الاستفتاء باهتمام المفكرين العرب والمستشرقين ، والمعتنين بالدراسات اللغوية والشرقية في العالم ، اذ حددوا في اجابتهم – التي نشر البعض منها في مجلة اللسان العربي ، العدد الخامس مع مقدمة وتلخيص وتعليق – أنواع المشاكل التي تعترض سير وانتشار لغة الضاد ...

ومزيدا في بحث قضايا اللغة العربية وعلاقتها مع الانسان والعالم ، قرر المكتب الدائم تنظيم استفتاء آخر حول :

« علاقة الاسلام باللغة العربية »

والسؤال الموضوع هو :

هل هناك تلازم أو ارتباط ما بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية ؟ وفي حالة الايجاب ما هو مدى التلازم أو هذا الارتباط ؟

أسئلة ايضاحية :

هل تناصرون الراي القائل بوجود علاقة سببية بين الاسلام واللغة العربية وانه لولا الاسلام لما تأتى للغة العربية ان تنتشر في العالم كما انه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن لما انتشر الاسلام ؟ – مهما كان جوابكم هل يمكنكم أن تتفضلوا بالاستدلال على صحة رايكم بواقع بيئتكم الاقليمية وبماضيها ؟

هلا تلاحظون في بلدكم بصفة خاصة وفي البلاد الاسلامية بصفة عامة ان الوعي الاسلامي والوازع الديني يقويان ويضعفان تبعا لما يعتري لغة الضاد من قوة وضعف وان العكس بالعكس ؟

ما هو مدى تأثير الفكر الاسلامي عن طريق لغة القرآن في اللهجات او اللغات الاقليمية في الاقطار الاسلامية غير العربية او لدى الجاليات الاسلامية في الاقطار الغربية أو الاسيوية ؟

اذا كان هنالك تأثير ما للمجتمع الاقليمية في تعابيركم العربية المحلية فما هي نسبته ومداه ؟

ما هي المكانة التي يجب ان تحتلها العربية في بلدكم بالنسبة للغات الاجنبية ؟

* سعيا وراء تدعيم الروابط الثقافية بين بلدان المغرب العربي الكبير : تونس – الجزائر – ليبيا – المغرب الاقصى .

فان النادي الثقافي ابو القاسم الشابي ينظم مسابقة في القصة الطويلة بين كتاب هذه الاقطار الشقيقة حسب الشروط التالية :

1 – ان تكون القصة باللغة العربية الفصحى في اي موضوع يختاره الكاتب .

2 – ان تقدم في خمس نظائر مرقومة ، غير مكتوب عليها اسم المؤلف ومصحوبة بظرف يذكر بداخله الاسم والعنوان ، مع بيان عنوان القصة المعروضة .

3 – ان توجه في اجل اقصاه موفى شهر اوت 1968 باسم السيد رئيس (النادي الثقافي ابو القاسم الشابي) حي الوردية – تونس) ، عن طريق البريد المضمون الوصول .

4 – ان لا تكون القصة قد نشرت أو أذيعت .

الجائزة المرصودة : 1.000 دينار تونسي

والملاحظ ان مقدار هذه الجائزة وضعته الشركة التونسية للتوزيع على ذمة النادي قصد تشجيع الانتاج القصصي وهي تتعهد بنشر القصة الفائزة مع ضمان حقوق التأليف لصاحبها . وسيقع اسناد هذه الجائزة يوم 9 اكتوبر 1968 بمناسبة ذكرى (ابي القاسم الشابي) .

* اقيم في الرباط حفل تكريمي لنابغة المغرب الفذ استاذ الجيل الحافظ المحدث سيدي المدني بالحسني .

وقد اقيم هذا الحفل بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاته حضره بعض تلامذة الحافظ المدني ونخبة من رجال الفكر حيث افتتح الحفل بعد صلاة المغرب بالامداح النبوية وبعدها تقدم الاستاذ السيد عبد الله الجراري فتحدث عن احد مؤلفات الفقيد وحلله

تحليلا دقيقا وبعده اخذ الكلمة الاستاذ حسن ابراهيم الكتاني الذي ارتجل كلمة تحدث فيها عن الفقيد ودوره في التوجيه العلمي زهاء نصف قرن .

وبعده تحدث الشيخ المكي الناصري عن حياة الفقيد بكلمة مستوفية .

ثم انتقل المحتفلون لتاليف لجنة « احياء تراث الحافظ المدني » من بين السادة الحاضرين ضمت حوالي خمسة عشر عضوا من رجال الفكر والادب .

* صدر اخيرا عن مكتبة الرشاد « مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس » والكتاب يطلعك على اهم اسباب انتكاسات العرب وتوقف انطلاقاتهم عبر القرون من لدن سقوط الاندلس الى سقوط القدس الشريف . كما يضع امامك الادواء التي اصابت الوجود العربي وتوشك ان تحول دون مواصلته الزحف لنشر دعوته الانسانية في العالم . كما يجلي غوامض الاسرار في الازمة الاندلسية ومأساة سقوط فلسطين الشهيدة .

هذا الكتاب .. « مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس » من تاليف الاستاذ عبد الكريم التواتي المفتش بالتعليم الثانوي .

* اصدر الاستاذ السيد عنيبة محمد الحمري ديوانه : «الحب .. مهزلة القرون » .

* شهد المغرب مهرجانات كبرى بمناسبة ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، حضرها علماء مبرزون من تونس ، وليبيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، ولبنان ، والاتحاد السوفييتي ، والباكستان ، والصين والسينغال ، والتشاد ، والنيجر وايران ، والسودان ، الذين وفدوا على المغرب ، بدعوة من صاحب الجلالة ، للمشاركة في هذه المهرجانات الكبرى ، حيث قاموا بالقاء سلسلة من المحاضرات والندوات في مختلف المنظمات الثقافية في الرباط ، وغير الرباط ، في موضوع نزول القرآن ، والعمل بتعاليمه ودستوره ، حتى يعود للمسلمين مجدهم الغابر ، تحت راية هذا الكتاب العزيز .

* انعم صاحب الجلالة على العلماء الذين شاركوا في مهرجانات ذكرى مرور نزول القرآن ، بوسام الكفاءة الفكرية ، وذلك في حفل اقامه صاحب الجلالة تكريما لهؤلاء العلماء .

* قدم اتحاد كتاب المغرب العربي ، مجموع الاكتتاب الذي اشرف على جمعه ، لفائدة منكوبي العدوان الصهيوني ، وذلك الى سفير المملكة السعودية

* نظم سفيرنا بالمملكة الليبية ، الاستاذ عبد الهادي التازي ، معرضا تاريخيا وثائقيا ، بمركز السفارة المغربية هناك ، عرض فيه الوثائق التي تمس العلاقات الليبية المغربية .

* مثل المغرب في مؤتمر العلوم الافريقية الذي انعقد مؤخرا في دكار الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس .

* في منتصف الشهر الماضي عقدت جمعية تاريخ المغرب اجتماعها العام ، وذلك في كلية الاداب بالرباط .

* في نطاق برنامج دار الشبيبة المدرسية الثقافي بالدار البيضاء ، نظمت ندوة ثقافية بعنوان « مفهوم الموت عند اندري مالرو »

* افتتح في المركز الفرنسي بالدار البيضاء ، في الاسابيع الاخيرة معرض طريف ، عرضت خلاله مختلف انواع لعب الاطفال التي ظهرت خلال القرون الماضية .

* صدر في سلسلة كتاب « العلم » رقم 5 ديوان الحرية للشاعر المرحوم عبد الكريم بن ثابت .

* صدر للاستاذ علال الفاسي ، كتاب تحت عنوان « دائما مع الشعب » .

* اصدرت مجلة « الايمان » عددا خاصا ممتازا عن الذكرى العظيمة لمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم .

* وزع معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش على العلماء الذين زاروا المغرب للمشاركة في ذكرى نزول القرآن نسخا من المصحف الشريف الذي أمر باصداره صاحب الجلالة ، وصدر عن وزارة الاوقاف ، وذلك في حفل ببيت معالي الوزير.

※ اقام اتحاد كتاب المغرب العربي ، حفلة تكريمية للاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون ، بدار الفكر ، حضرها كثير من الادباء والمثقفين ، والمهتمين بالفكر ، تقديرا للمجهودات الجلى التي بذلها الاستاذ كنون فى ميدان الفكر والعلم داخل المغرب وخارجه ، وقد تكلم فى هذا الحفل الاساتذة : محمد عزيز الحبابي ، وعبد الكريم غلاب ، وعلي الصقلي ، وعبد الله الكامل الكتاني ، وعمر بهاء الدين الاميري ، وكلهم اشادوا باستاذية كنون وايادیه البيضاء فى مجال التاليف .

وفى الاخير شكر المحتفى به ، اتحاد كتاب المغرب العربي ، والخطباء الذين نوهوا بأعماله .

※ تأسست فى الرباط « جمعية الآباء واصدقاء الاطفال المتخلفين علقيا » .

※ نظمت وزارة البريد سلسلة من المحاضرات الفنية التي تهدف الى اطلاع المهندسين على التطورات التقنية الحديثة فى ميدان المواصلات السلكية واللاسلكية

※ افتتح بالدار البيضاء مؤخرا معرض فني كبير للنحت ، عرضت فيه 76 عملا من الاعمال الفنية .

※ « منوعات الاستاذ محمد الفاسي » كتاب يصدر قريبا عن رئاسة جامعة محمد الخامس ، بمناسبة ذكرى تأسيس جامعة محمد الخامس .

※ زار تونس الاستاذ محمد بن تاويت ، لالقاء سلسلة من المحاضرات هناك . وقد أجرت معه جريدة « العمل » التونسية حديثا فى شؤون الثقافة والفكر .

※ احتفل فى المغرب ، بالموسم الثقافي التونسي ابتداء من 12 فبراير الماضي الى 18 منه . وقد دشن هذا الاحتفال بمسرح محمد الخامس من جانب معالي كاتب الدولة فى الشؤون الخارجية التونسية الحبيب بورقيبة الابن ، برفقة معالي وزير التربية المغربية ، ومعالي وزير الانباء ، وشخصيات ثقافية أخرى . وقد عرضت فى هذا المسرح مجموعة قيمة من الكتب التونسية الحديثة ، وبعض المخطوطات النادرة ، كما عرضت عدة افلام من انتاج تونسي ، الى جانب مسرحية « بيرما » للشاعر الاسباني فيدريكو كرثيا لوركا .

وسيقام بتونس موسم ثقافي مغربي مماثل ، وذلك نتيجة الاتفاقية المبرمة بين المملكة المغربية ، والجمهورية التونسية .

※ زارت المغرب ، بدعوة حكومية ، المغنية المصرية المشهورة السيدة ام كلثوم ، واحيت ثلاث حفلات ناجحة فى مسرح محمد الخامس ، بمناسبة عيد العرش السعيد .

وقد احتفت بها جميع الاوساط المغربية احتفاء كبيرا ، وتركت خلفها صدى عميقا فى نفوس مستمعيها وقد نقلت التلفزة المغربية حفلاتها الثلاث .

وقبل ان تغادر المغرب ، زارت فاس ، ومكناس، ومراكش ، والدار البيضاء ، للوقوف على التراث المغربي النفيس ، كما قامت بالترحم على جلالة المغفور له محمد الخامس .

※ صدر عن الدار التونسية للنشر كتاب « شموع على الطريق » لمحمد الصباغ ، كما سيصدر عن نفس الدار كتاب « رسالة الفكر » للاستاذ عبد الكريم غلاب.

※ اقيمت عدة احتفالات كبيرة فى سائر المدن المغربية تمجيدا لعيد العرش ، واصدرت الصحف والمجلات اعدادا خاصة بهذه المناسبة الكريمة .

※ اصدرت وزارة التربية والتعليم مجلة بعنوان « اللقاء » ، كما اصدرت كتابة الدولة فى الشبيبة والرياضة مجلة تعنى بشؤون الشباب ، والثقافة . والفكر . نتمنى لهما الازدهار والنجاح .

※ قامت فرقة « المعمورة » بعرض مسرحية « ولي الله » فى اهم المدن المغربية .

※ قام بزيارة الى المغرب ، وفد برلماني ايطالي .

※ نظمت جمعية ابن بطوطة بطنجة مهرجانا ثقافيا غنيا .

※ عين الاستاذ مرسي زغلول ، مندوبا دائما للمغرب ، فى هيأة اليونسكو .

※ اصدرت مجلة « باري ماتش » عددا خاصا عن المغرب .

✽ زار المغرب اخيرا الاستاذ نذير فانصة ، صاحب مجلة « الاخاء » الايرانية .

✽ نظم معهد « غوتة » الالماني اسبوعا للثقافة الالمانية بالمغرب .

✽ فى اطار العلاقات الثقافية بين المغرب والجزائر قامت فرقة المسرح البلدي لمدينة الدار البيضاء بعرض مسرحية « ديوان سيدي عبد الرحمان المجدوب » فى مختلف المدن الجزائرية .

✽ نظمت سفارة المغرب بباريس بالتعاون مع المركز السينمائي المغربي ، اسبوعا للافلام المغربية ، بالعاصمة الفرنسية .

✽ درس معالي وزير التربية مشاكل جامعة القرويين وجامعة محمد الخامس ، مع المسؤولين عنهما .

✽ القى الاستاذ البير ديترس استاذ العلوم الاسلامية بجامعة كوتيخين بالمانيا محاضرة بالعربية بمدرج كلية الاداب بالرباط ، فى موضوع « مساهمة العرب فى تاريخ العلوم الطبيعية » .

✽ افتتح بالنادي الثقافي التابع لكتابة الدولة فى الشبيبة والرياضة ، بمدينة القنيطرة معرض للرسوم الزيتية والنحت ، بمشاركة الفنانين .

✽ يوجد تحت الطبع — كتابان للاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون .

✽ منحت جامعة لاغوس الدكتوراه الفخرية للاستاذ السيد محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس.

✽ اصدرت مجلة « اتصال » البلغارية ، عددا خاصا عن الآداب والفنون فى المغرب .

✽ اصدر الدكتور عبد الكبير الخطيبي ، مدير معهد العلوم الاجتماعية كتابا بالفرنسية عن « القصة فى المغرب العربي » .

✽ تصدر قريبا عن معهد العلوم الاجتماعية بالرباط، مجلة حولية تعنى بالشؤون الاجتماعية بثلاث لغات : العربية ، والانجليزية والفرنسية .

✽ انتخب الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس ، نائب رئيس للمجلس الدائم للمؤتمر الدولي للدراسات الافريقية الذي عقد مؤخرا فى العاصمة السينغالية .

✽ نظم بتطوان مهرجان ديني كبير بمناسبة الذكرى الثانية والثمانين لوفاة العالم الشيخ سيدي عبد السلام بن ريسون .

✽ يصدر قريبا عن المركز الجامعي للبحث العلمي العدد الحادي والثاني عشر من مجلة « البحث العلمي » .

✽ ترأس وزير التربية الوطنية مؤخرا اجتماعا لدراسة مشاكل التعليم التقني .

✽ زار المغرب فى هذه الايام الاستاذ فانسان مونطاي مدير المعهد الاساسي لافريقيا السوداء بدكار . والقى عدة محاضرات فى كبريات المدن المغربية .

✽ سيستمر الاحتفال بذكرى نزول القرآن طوال هذه السنة ، بناء على تعليمات الملك المعظم الذي خصص لهذه السنة القرآنية ، مشروعات مهمة ، ستقوم حكومته بتنفيذها خلالها .

✽ فاز الراهب لوريدو ديات من مدينة طنجة بجائزة جامعة غرناطة عن رسالة أطروحته « المغرب فى النصف الاول من القرن الثامن عشر » . وقد صدرت هذه الاطروحة فى سلسلة تصدرها جامعة غرناطة بعنوان : « دفاتر عن تاريخ الاسلام » .

✽ نوقشت فى كلية الحقوق بالرباط ، الرسالة التي تقدم بها الاستاذ محمد المزغراني ، وهو من خريجي القرويين ، ودار الحديث ، وذلك لنيل الديبلوم فى الدراسات القانونية . وتتكون الرسالة من 170 صفحة وكانت لجنة الامتحان تتكون من الاساتذة : علال الفاسي ، والدكتور مأمون الكزبري ، والدكتور علي العبيدي . وقد منحت اللجنة درجة الدبلوم فى الدراسات القانونية للاستاذ صاحب الرسالة .

✽ جرت فى الرباط ، بكلية الطب ، مباراة التبريز فى الطب ، لاختيار اربعة اساتذة مغاربة للتدريس فى الكلية المذكورة ، وذلك تحت اشراف لجنة التحكيم التي كانت

تتكون من 16 استاذا من مختلف كليات الطب بفرنسا. وكان النجاح حليف الدكاترة : عبد اللطيف بربيش ، عبد القادر التونسي ، عز الدين العراقي ، عبد الهادي مسواك .

* قام مكتب التربية الشعبية التابع لكتابة الدولة في الشبيبة والرياضة بانجاز شريط ثقافي حول حياة وكفاح الملك الراحل محمد الخامس . وقام بتوزيعه على جميع اقاليم المملكة لتقديمه في حلقات خاصة بالنوادي الثقافية ، ودور الشباب .

* تستعد مجلة «البحث العلمي» لاصدار عدد خاص في موضوع القرآن الكريم ، وذلك في اطار الاحتفال بذكرى مرور 14 قرنا على نزوله .

* ستوجه وزارة التربية والتعليم استاذين للتدريس في مدارس السينغال .

* انضم المغرب الى معاهدة استكشاف واستخدام الفضاء العلوي .

* عقد السيد وزير التعليم جلسة عمل خصصها لدار الحديث الحسنية ، لاعادة النظر في اصلاحها .

* توفي بالقاهرة الدكتور جمال الدين الشيال ، عميد كلية الآداب بالاسكندرية ، واستاذ التاريخ الاسلامي . وهذا الاسم اللامع معروف في الاوساط التعليمية والثقافية بالمغرب ، حيث قضى بين ظهرانينا مدة طويلة ، كان يشتغل فيها بالتدريس ، والقاء المحاضرات ، والمشاركة في الندوات الفكرية . كما أن له بهذه البلاد اصدقاء ومحبين . ومن مؤلفات المرحوم : « أعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي » « مصر والشام بين دولتين » « رفاعة الطهطاوي » « تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي » « مجمل تاريخ دمياط والاسكندرية » كما قام بتحقيق كتاب « مفرج الكروب في اخبار بني ايوب » .

* صدر في تونس كتاب « أليس الصبح بقريب » للعلامة المعروف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

* قام الاستاذ الشاذلي النيفر بتحقيق مخطوطة « الفارسية في تاريخ الدولة الحفصية » وصدر الى الاسواق .

* أوصى الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب بأن تحفظ مكتبته بعد وفاته في كلية الشريعة بتونس ، لينتفع بها بنو وطنه .

* « جيش التوشيح » عنوان كتاب لابن الخطيب ، وتحقيق الشيخ محمد ماخور، صدر اخيرا في تونس .

* كما صدر للاستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتاب « الادب التونسي » .

* « الحان عربية على أوتار من الغرب » عنوان كتاب ، صدر حديثا للاديب الليبي فؤاد الكعباري .

* « تاريخ الرواية الحديثة » ، اسم كتاب صدر مؤخرا عن منشورات عويدات ببروت ، وقد قام بنقله الى اللغة العربية الاستاذ جورج سالم ، وهو من تاليف ر . م . البير يس .

* المكتبة العصرية البيروتية اصدرت كتابا بعنوان : « الدخل والعمالة والنمو الاقتصادي » من تاليف والاس بيترسون ، وترجمة الاستاذ برهان دجاني . وقد نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين .

* احتجبت عن الصدور مجلة « افكار » التي كانت تصدرها وزارة الثقافة بالمملكة الاردنية، بسبب الظروف القاسية التي تمر بها هذه المملكة .

* صدرت عن دار نزار قباني ببيروت « الاعمال الشعرية الكاملة » للشاعر صاحب الدار .

* اصدر مؤخرا الاستاذ شاكر جابر قصة بعنوان « الهارب » والمؤلف من الكتاب العراقيين المعروفين في ميدان التاليف .

* انتهى الاستاذان خليل العطية ، وعبد الله الحيدري من جمع وتحقيق ديوان مسكين الدارمي .

* « اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى » عنوان كتاب صدر مؤخرا ، وهو من تاليف الاستاذ نجدة فتحي صفوة .

* كتاب «اخبار الظراف والمتماجنين» لابن الجوزي، صدر اخيرا بتقديم وتعليق السيد محمد بحر العلوم ،

كما قام نفس المحقق بتحقيق كتاب « النقود الاسلامية المسمى بشذور العقود فى ذكر النقود . للمقريزي .

* صدر للشاعر حسان يوسف المطفى ديوان تحت اسم « غدا تلتهب الرمال » .

* فرغ الاستاذ عبد الله الحيدري من تحقيق كتاب « عقود الجمان فى عدم صحبة ابناء الزمان » لمرتضى الكردي المتوفى 1133 هجرية .

* اصدر الاستاذ عبد الرزاق الهلالي كتابا يحمل عنوان « قصة الارض والفلاح والاصلاح الزراعي فى الوطن العربي » ، مشتملا على دراسة علمية لدعوات الاصلاح الزراعي فى الوطن العربي والقوانين التي انتهت اليها تلك الدعوات .

* « شعراء من كربلاء » هذه الدراسة الشعرية الفها فى كتاب الاستاذ سلمان هادي الطعمة .

* صدر للاسوان ديوان « لو ينطق النابالم » للشاعر محمد علي الخفاجي .

* قام الاستاذ نجيب المانع بترجمة كتاب « دوستويفسكي » الى اللغة العربية ، وهو من تاليف الاستاذ رينيه ويليك استاذ الادب المقارن فى جامعة ييل

* صدر فى دمشق كتاب « الشرق الاحمر » من تاليف الاستاذ سلامة عبيد ، وهو عبارة عن انطباعات المؤلف عن الصين الشعبية .

* « رقائق الشعر فى الادب والزهد والوعظ » مجموعة قصائد قام بجمعها وطبعها الاستاذان محمود مهدي الاستانبولي ، وخير الدين وانلي .

* فى جدة صدر ديوان بعنوان « الشجرة ذات السياج الشوكي » وهو للشاعر محمد عمر عرب

* قام الاستاذ ادوار الخراط بترجمة رواية الشوارع العارية » للروائي الايطالي فاسكو براتوليني الى اللغة العربية ، وصدرت عن دار الاداب ببيروت .

* من الكتب المهمة التي كان لصدورها صدى كبير ، كتاب « المورد » ، وهو قاموس انجليزي — عربي ، قام بتاليفه الاستاذ منير البعلبكي .

* فاز الكاتب لويس كيو بالجائزة الوطنية للاداب الفرنسية . والكاتب يبلغ الثانية والسبعين ، وله عدة روايات منها « لعبة الصبر » و « الدم الاسود » . كما فاز الكاتب الفرنسي ايسين مارتن بالجائزة الوطنية الكبرى للفنون . واحرز كذلك الكاتب روبير اسكاربيت على الجائزة الادبية العالمية للسلام . ويبلغ قدرها خمسين الف فرنك بلجيكي .

* نعت القاهرة ، عميد كلية التجارة بها ، الاستاذ رضوان احمد خالد .

* كما نعت الكاتب المعروف الاستاذ محمد توفيق دياب عن 82 سنة .

* كما نعت الدكتور محمد احمد ابو الفرج ، الاستاذ بكلية الاداب بجامعة الاسكندرية .

* الكاتبة العربية ابكار السقاف ، اصدرت كتابا بعنوان « اسرائيل وعقيدة الارض الموعودة » .

* « الكتابات العامية فى سامراء » ، صدر هذا الكتاب فى بغداد لمؤلفه الشيخ يونس ابراهيم السامرائي .

* بقرار من المجمع العلمي العراقي ، ستترجم « المعلمة الاسلامية » من اللغة الانجليزية الى العربية

* اوصت لجنة احياء التراث الشعبي بوزارة الثقافة بالعراق ، طبع «ديوان العباس بن مرداس» و «الجمان فى تشبيهات القرآن » . وسيقوم بتحقيق الكتاب الاول الدكتور يحيى الجبوري ، وبتحقيق الكتاب الثاني الدكتور احمد مطلوب ، والدكتورة خديجة الحديثي .

* صدر فى دمشق الجزء الاول من « قاموس احياء الالفاظ » الذي قدمه وحققه وشرحه الاستاذ اسامة الطيبي .

* اتم الاديب الدمشقي سعد صائب ، ترجمة مجموعة شعرية للكاتبة السورية الانسة ديزي موصلي الى اللغة العربية .

* ستصدر للمستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس ، طبعة جديدة من مؤلفه الشهير « الله اكبر » .

* جائزة مونسو الفرنسية التي تمنح لكاتب اجنبي اسهم في نشر الثقافة الفرنسية ، منحت في هذه السنة الى الروائي اللبناني فرج الله حايك .

* صدر في حلب كتاب « فتح الله الصقال » من تأليف الاستاذ البدوي الملثم .

* وفي نفس هذه المدينة اقيم تمثال للشاعر البحتري
* مجلة « الايمان » التي تصدر في النجف ، اصدرت عددا خاصا بالعدوان الصهيوني على فلسطين ، والبلاد العربية المجاورة .

* رفعت في دار الكتب اللبنانية صورة العلامة الشيخ احمد عارف الزين ، صاحب مجلة « العرفان » الذي توفي سنة 1960 ، عرفانا بجميله على الثقافة العربية ، من خلال مجلته « العرفان » التي اسهمت في الفكر العربي بنصيب وافر .

* « اصداف الصمت » ، للشاعر رياض فاخوري ، صدر في بيروت خلال الاسابيع القريبة .

* نعت لبنان الاديب الكبير رئيف الخوري . وللفقيد مجموعة من الكتب النفيسة في الادب، والبحث، والعلم والترجمة .

* صدر في هذا الاسبوع عن « دار اليمامة » في الرياض كتاب « ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ، وهو من تأليف الشيخ محمد الجاسر .

* صدر للاستاذ أنور الجندي في القاهرة كتاب عنوانه « تطور الصحافة العربية » والكتاب دراسة عن الصحافة الاخبارية في مصر منذ نشأة الصحافة المصرية الى أوائل الحرب العالمية الثانية .

* يصدر قريبا للاستاذ انور الجندي اول حلقة من الموسوعة العربية الاسلامية عن الفكر والتاريخ الاسلامي والثقافة العربية . موضوع الكتاب الاول (الاسلام وحركة التاريخ) الكتاب دراسة شاملة لحركة التاريخ الاسلامي منذ فجر الاسلام الى العصر الحديث .

* يعد الاستاذ انور الجندي كتابين جديدين الاول : (اعلام واصحاب اقلام) يضم 52 دراسة لشخصيات من اعلام العالم العربي في النصف قرن الماضي ، وسيصدر اوائل الشهر المقبل .
والثاني : (الاسلام وحركة التاريخ) يتضمن عرضا جديدا لتاريخ الاسلام وهذا تحت الاعداد .

* وقد صدر له اخيرا كتاب عظيم تحت عنوان : (الاسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب) ويقع في 400 صفحة بارك الله في عمر الاستاذ الكبير انور الجندي .

* نظم في احدى المتاحف بلينينغراد معرض لفن الرسم في الشرق القديم ، عرضت فيه مخطوطات مهمة . ومن بين المخطوطات نسخة للمقامات الحريرية .

* سيحتفل في هذه السنة بمرور 1200 سنة على وفاة الامام ابي حنيفة ، وميلاد الامام الشافعي ، كما سيحتفل بمرور 700 سنة على وفاة السهروردي ، ومرور 550 سنة على وفاة ابي العباس القلقشندي ، و 100 سنة على ميلاد امير الشعراء احمد شوقي .

* اصدر الاستاذ الشيخ محمد حسن آل ياسين « شرح قصيدة الصاحب بن عباد » في اصول الدين .

* صدر للدكتور صالح احمد العلي كتاب بعنوان « موظفو بلاد الشام على العهد الاموي » .

* « الفكر العربي المعاصر » اسم الكتاب الذي صدر في لندن للكاتب الانجليزي ماكموري الذي يشتمل على دراسات في الادب العربي المعاصر .

* صدر في القاهرة كتاب « حياة شاعر » ، يتضمن حياة الشاعر السوفييتي بفنوشنكو ، الذي قام بترجمته الى العربية الاستاذ حليم طوسون .

* في طاجكستان ، انتهى طبع ملحمة الفردوسي « الشاهنامة » في 9 مجلدات .

* بدا في الجمهورية العربية المتحدة جمع الوثائق القانونية والقضائية والسياسية لمصر في جميع العصور لجرد هذه الوثائق وتصويرها وفهرستها .

* عهدت مكتبة الكونغرس الاميركية الى احدى دور النشر الانجليزية بطبع قائمة تحتوي على اسماء جميع

الكتب التي ظهرت في العالم العربي منذ اختراع المطبعة الى يومنا هذا .

* في لندن ، بيعت بالمزاد العلني مخطوطة من البردى تحتوي على شعر يوناني .

* لاول مرة تظهر موسوعة عن الخط العربي ، قام بتاليفها الاستاذ ناجي زين الدين .

* تقوم السيدة كور باعداد رسالة الدكتوراه عن السيدة أم كلثوم ، سيدة الطرب العربي .

* قامت رابطة العالم الاسلامي بترجمة صحيح البخاري الى اللغة الانجليزية .

* تم في القاهرة ، طبع ديوان الشاعر العراقي الكبير ابراهيم الزهاوي ، بتحقيق الاستاذ عبد الله الجبوري .

* قرر وزير الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة ، ترجمة كتاب « انهيار الدولة الرومانية وسقوطها » .

* انشيء بالاسكندرية متحف للخط العربي منذ فجر الاسلام الى أيامنا هذه .

* قرر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالعربية المتحدة ، اصدار كتاب يضم بروتوكولات حكماء صهيون باللغتين الانجليزية والفرنسية ، لفضح دسائس الصهاينة ووسائلها غير المشروعة . وسيوزع الكتاب على 67 مركزا ثقافيا اسلاميا ، في آسيا ، وأوربا ، وأميركا اللاتينية .

* اقيم في دمشق احتفال تخليدا للذكرى المائوية السابعة للطبيب العربي ابن النفيس .

* صدر عن المكتبة العصرية ببيروت كتاب « الحركة اللغوية في الاندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف » من تاليف البير حبيب .

* صدر باللغة الايطالية كتاب « تاريخ العرب » الذي الفه المؤرخ اللبناني فليب حتى .